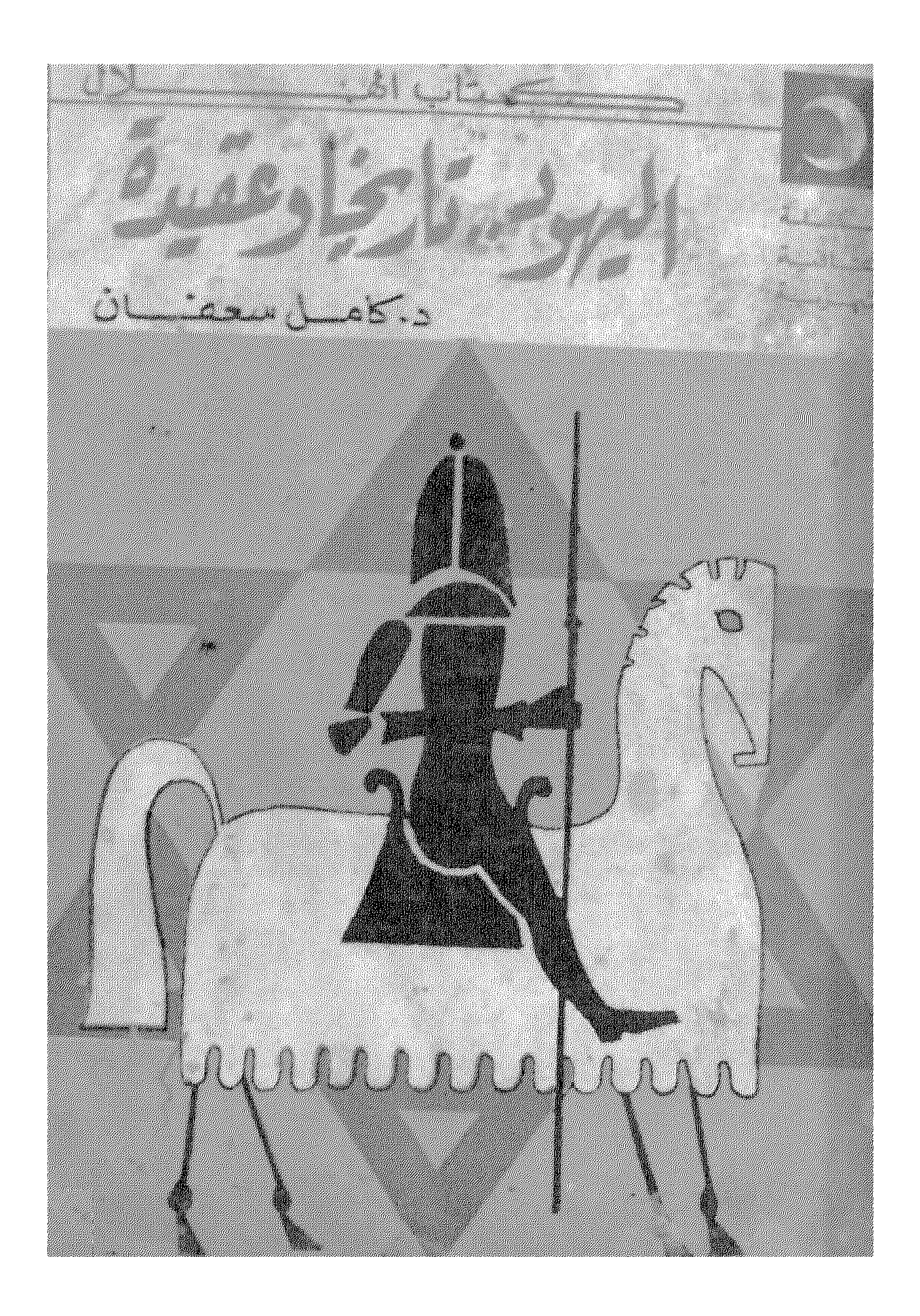

كتاب الهلال
اليهود تاريخاً وعقيدة
د. كامل سعفان

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : د. حسين مؤنس

سكرتير التحرير : عايد عياد

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

KITAB AL-HILAL

العدد ٣٦٤ ـ جمادى الأولى ١٤٠١ ـ ابريل ١٩٨١

No. 364 — April 1981

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى – ١٢ عددا – فى جمهورية مصر العربية جنيهان مصريان بالبريد العادى . وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان ثلاثة ونصف جنيه مصرى بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم سبعة دولارات بالبريد العادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج. م. ع. بحوالة بريدية غير حكومية وباقى بلاد العالم بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــــلاف بريشـــة :
الفنانة : سميحة حسنين

د. كامل سعفان

اليهود

تاريخاً وعقيدة

دار الهلال

الفصل الأول

التاريخ اليهودى

١ ـ اليهود فى تاريخهم القديم

٢ ـ اليهود فى ظل دولة الاسلام

٣ ـ اليهود فى أوروبا

٤ ـ اليهود والقرآن

٥ ـ اليهود والصهيونية

اليهود في تاريخهم القديم

لا نكاد نجد توقيتا محددا للهجرة التى قام بها ابراهيم – عليه السلام – من مدينة (أور) الكلدانية – كما تقول التوراة – في طريقه الى مصر ، ثم عودته الى بلاد كنعان .. وان كان أكثر المؤرخين يرجعون بداية الرحلة الى حوالى ٢٠٠٠ ق . م ، ويرجع بعضهم حدوثها عام ١٧٥٠ ق . م .

كما أن أكثر المؤرخين يرجعون بأبى الأنبياء الى أصل آرامى ، والآراميون ينتسبون الى أصول عربية هاجرت من الجنوب فى أزمنة سابقة ، وظلت اللغة الآرامية تحمل فى جذورها السمات العربية ..

هذا .. مع أن أسماء آباء ابراهيم التى أوردتها التوراة تشترك مع أسماء معروفة أيامئذ فى المنطقة القريبة من مدينة حران – جنوبى تركيا – أمثال (تيرا وناحور وسروج وبلغ) ، بالاضافة الى أن اسم (ابراهيم) قد ورد فى نصوص ذلك العهد (أبراثاما) ، يسمى به الناس ذكورهم ..

ولعل السبب فى هذا الترابط – وما يوهم بالاختلاط – مرده الى الاضطرابات التى صحبت سقوط (أور) في أواخر دولة (أور) الثالثة ، تحت هجمات العيلاميين

والعموريين .. ولا شك فى أن كثيرين هاجروا ـ ابان هذا الصراع السياسى والعسكرى ـ وحملوا معهم تلك الأسماء التى تسمى بها ابراهيم وآباؤه .. وفى نفس الوقت أخذ ابراهيم طريقه الى الشمال ، ثم الى الجنوب طلبا للأمان ، مما يفيد أن وجود هذه (الأسماء) فى حران ثمرة من ثمار الهجرة اليها ..

ويؤيد جون بريت John Bright هجرة ابراهيم من أور فى كتابه (تاريخ اسرائيل) بأن (الأثر البابلى الواضح الذى نلمسه فى كتابات التوراة الحالية ـ عند كلامها عن الخليقة وأصل الكون ونهاية الطوفان ـ ما هو الا ما بقى فى أذهان العبريين (١) وقت كتابتهم هذا الجزء من التوراة بعد ذلك ، مما جلبه معه ابراهيم من معتقدات بابلية ، ولقنها أولاده ، وبقيت تنتقل بالرواية من جيل الى جيل ، حتى أيام تدوينها ، على عهد سليمان بن داود .

وفى هذا الجزء من التوراة المعنون بالخليقة ـ تكوين ـ تقرأ أن ابراهيم قد نصب اليازور الدمشقى وارثا له ، حيث لم يكن لديه من يرثه وقتذاك ، وأن هذا العمل قد لقى غضب الله .. والعجيب أن تنصيب شخص عقيم لرجل آخر وارثا له ، يعتنى بدفنه ، ويرث ما يترك ، كان معروفا بين الخوريين الذين اتخذ فريق منهم مدينة نوزى ـ يورغان تبه ، قرب كركوك ـ عاصمة لهم ، وقطن فريق منهم سورية وفلسطين وآسيا الصغرى .

---

(١) أطلق على اليهود لفظ عابيرو وحابيرو وهابيرو وعابورا «العبرانيون أو العبريون » مما يفيد العبور والارتحال وعدم الاستقرار ، والمصريون الى اليوم يطلقون على النعجة اسم « عابورا » مما يفيد صحة التعليل .

وينبغي ملاحظة ان هجرة ابراهيم لم تـكن هجرة أفراد ، بل كانت هجرة جمـــاعات ، تضم الزوجات والأبناء والعبيد وما يملكون من الحيوانات ..

من أجل هذا تمكن ابراهيم من الوقوف بجيش عدته ٣١٨ رجلا من أهل بيته فى مواجهـة (كدرلعومر) والملوك الذين معه ، وطاردهم (الى حوبة التى عن شمال دمشق ((تكوين — ١٥) ..

وهذه الهجرة الجماعية لم تكن تأخذ طريقا أمما ، بل كانت تنتجع المراعى ولم يكن لها هدف محـدد .. ومن ثم مر ابراهيم ببلاد كثيرة استضافته ، وأكرمت مثواه ، وصاهر منها ، وانتهى مطافه الى هذه الأرض التى تزخر بشعوب كثيرة قنزية ، وقينية ، وقدمونية ، وفرزية ، ورفائية ، وأمورية ، وحرفاشية ، ويبوسية ، وحيثية ، وكنعانية ، وفلسطينية .. (تكوين — ١٥) ..

والتقى ابراهيم بديانات مختلفة ، تسللت الى ديانته، والى ديانة أبنائه من بعده ، عن طريق الأخبار المتناقلة فى تلك الجماعة الكبيرة المتحركة ، مع تطوير الروايات المنقولة ، فنسب الى ابراهيم والى الأنبياء من بعده — حتى جاء عصر التوراة المدونة — اعـداد من الآلهة ، لا شك فى أنهم أبرياء منها ..

ومع الآلهة العـديدين الذين نسبتهم التوراة الى (الآباء) فان كتاب التوراة حرصوا على تأكيد ملـكية أرض كنعان بوعد من (الرب) لابراهيم ، حتى ليحار المرء اى رب هذا ؟! . ولماذا كان حرص (الآباء) بعد ذلك على الهجرة الى مصر ، دون التمسك بوعد الله ؟!

(قال الرب لأبرام — بعد اعتزال لوط عنه — ارفع

عينيك ، وانظر من الوضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، لأن جميع الأرض التى أنت ترى ، لك أعطيتها ، ولنسلك الى الأبد .. قم امش فى الأرض طولها وعرضها ، لأنى لك أعطيها .. (تكوين — ١٣) .

لكن — بعد ذلك — (قطع الرب مع أبرام ميثاقا ، قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات) .. (تكوين — ١٥) .

ولعلهم — من أجل هذا الميثاق — كانوا يذهبون الى مصر ، بحكم كونها داخلة فى هذا الميثاق !!

ومن تمام الميثاق أن الرب سيخرج من صلب ابراهيم اثنى عشر سبطا ، يملكون أرض كنعان ، مقابل عبادتهم له وحده .. وطلب منه أن يختن الذكور علامة هذا الميثاق .

وما لبث ابراهيم أن رزق باسماعيل من جاريته (هاجر) التى ارتحلت بابنها الى الجنوب ، الى واد غير ذى زرع عند بيت الله المحرم ، وولدت (سارة) اسحق الذى أنجب يعقوب ، وخلف يعقوب اثنى عشر ولدا ، هم الأسباط : رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالى وجاد وأشير .

ولقد هيأ لهم (يوسف) فى مصر ، وارتحل يعقوب وأبناؤه بدعوة من يوسف وكان عددهم سبعين فردا (١)، وظلوا فى مصر خمسمائة عام تقريبا ، تكاثروا فيهما غاية التكاثر ، حتى صاروا سبعمائة ألف تقريبا — كما

---

(١) هناك من يقول ان هذا تم فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد زمن العمارنة .

تدعي التوراة (عدد ــ ١) عندما بداوا رحلة الخروج ، هربا من فرعون مصر سنة ١٢١٣ ق . م ، وان كان المؤرخون يرون أنهم لم يتجاوزوا عشرة آلاف .

وخلال وجودهم في مصر ربطوا مصالحهم بوجود حكام مصر من (الهكسوس) المستعمرين ــ (٢٠٩٨ ــ ١٥٨٧ ق . م) ــ وأنشبوا مخالبهم في الاقتصاد المصرى ، واتسع نفوذهم في مجالات مختلفة ، فلما انتصر المصريون على الهكسوس نقم الحكم الوطنى عليهم ، لأنهم أثروا على حساب المواطنين المغلوبين على أمرهم ، وتآمروا مع المستعمر ضد أصحاب الأرض ولم يشاركوا فيما يباشر المصريون من أعمال البناء وفلاحة الأرض ، وحينما كانت تنزل الشدائد بالبلاد استغلوها لاضعاف معنويات الشعب ، وضيقوا عليه وسائل العيش .. ومن ثم أحس اليهود في ظل الحكم الوطنى بأن دولتهم الى زوال ، فأخذوا يجمعون اموالهم ، ويستعدون للافلات بمكاسبهم ، ولكنهم تجاوزوا وطمعوا فيما يملك المصريون من الذهب ، ونهبوا خزائن القمح في المنطقة التى تمركزوا فيهاباقليم الشرقية. ــ منطقة الصالحية اليوم ــ اذ صدرت اليهم أوامر الرب (انكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة ، وأمتعة ذهب ، وثيابا ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم ، فتسلبون المصريين) .. (خروج ــ ٣) .

ولكن مطاردة المصريين لهم ، وقسوة ما أصابهم من الهلع والرعب ، جعلهم يتيهون في سيناء أربعين عاما ، لا يدرون من امرهم ، حتى كاد يفنى جيل (الخروج) وقدر (الرب) ما أصابهم ، فقال : (لا يرد الشعب

الى مصر ، الرب قد قال لكم : لا تعودوا ترجعون في هذه الطريق) .. (تثنية ــ ١٧) ونسي (الرب) ميثاقه لابراهيم .

وأراد موسى أن يخفف من آلامهم ، وأن يبث في قلوبهم الأمن والأمل ، فقال على لسان الرب في جبل حوريب : (انى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم ، انى علمت أوجاعهم ، فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين ، وأصعدهم من تلك الأرض الى أرض جديدة وواسعة ، الى أرض تفيض لبنا وعسلا ، الى مكان الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحوريين واليبوسيين) .. (خروج ــ ٣) .

وقد اختلف المؤرخون فى أصل موسى ، هل هو مصرى أو عبرانى ؟

وحجة من يدعون أنه مصري كون اسمه مصريا بمعنى الطفل أو الابن ، وأنه كان ذا مكانة بين الحاكمين ، اذ كان ضابطا فى جيش مصر ضد الأحباش ، كما يقول فرويد ، مستعينا بما قال الفيلسوف اليهودى ويوسيفوس المؤرخ اليهودى .

وهذا زعم باطل ، لأن الاسم والمكانة يرجعان الى تبنى امرأة فرعون له ، كما تقول رواية القرآن الكريم ، بعد ما أمر فرعون بذبح مواليد اليهود من الذكور : « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ، ولا تخافى ، ولا تحزنى ، انا رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين ، فالتقطه آل فرعون ... وقالت امرأة فرعون : قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه ،

عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا » (القصص — ٩/٧) .

وبدون نظر الى ما جاء فى القرآن الكريم ، فليس ما يمنع من التسمى بالأسماء المصرية خلال خمسمائة عام ، وماذا يحول دون أن يصبح موسى قائدا فى جيش مصر ، وقد ربط يوسف بين اليهود والمناصب القيادية فى الدولة ؟ ثم ان اليهود كانوا فى خدمة (الهكسوس) المستعمرين ، مما يساعد على الوصول الى المناصب الكبيرة ، وتاريخ الشرق مع اليهود — حتى عهد قريب — لم يكن يحرمهم من هذه المناصب ، فكان منهم أصحاب الكلمة النافذة فى المجتمع الاسلامى !!

وتخبرنا المصادر التاريخية — كما جاء فى القرآن الكريم — أن موسى قتل مصريا ، وخاف أن يؤخذ بجريمته ، ففر الى بلاد مدين ، والتقى بكاهنها (يثرون) — نبى الله شعيب — وتزوج ابنته ، وأخذ عنه بعض التعاليم الدينية ، وحين عودته الى مصر ناداه الله : « اخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ، وأنا اخترتك ، فاستمع لما يوحى ، اننى أنا الله ، لا اله الا أنا ، فأعبدنى ، وأقم الصلاة لذكرى ... اذهب الى فرعون انه طغى ... اذهب أنت وأخوك بآياتى ، ولاتنيا فى ذكرى .. فقولا له قولا لينا ، لعله يتذكر أو يخشى » .. (طه — الربع الأول) .

ونجح موسى فى تجميع الشعب اليهودى من حوله ، وانضم اليه عدد من المصريين الساخطين من الأسارى والعبيد ، وخرج الشعب فارا من وجه فرعون (منفتاح ١٢١٣ ق . م) (١) الذى أبى الا أن ينتقم من هؤلاء

---

(١) قرأت أخيرا مايرجح أنه تحتمس الثالث وليس رمسيس الثانى أو منفتاح . مجلة أكتوبر عدد سبتمبر سنة ١٩٧٧ م .

الذين قصدوا الى تدمير الاقتصاد المصرى .

ويمد الله العون لهؤلاء المطاردين ، فيفتح لهم طريقا فى البحر ، ويفجر لهم الينابيع ، وينزل لهم المن والسلوى .. ولكن طبيعة الجحود فى نفوس هؤلاء القوم تأبى الا الكفر بالله وبنعمته، « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى : اجعل لنا الها كما لهم آلهة ... قال : أغير الله أبغيكم الها ، وهو فضلكم على العالمين ؟! » (الأعراف ١٣٨/١٤٠) .

وما لبث موسى أن ذهب للقاء ربه ، فاذا هم ينتهزون فرصة غيبته ، فيصنعون عجلا من الذهب يعبدونه .

وتسجل التوراة أن هؤلاء القوم قد وقعوا فى أسر الآلهة الأسطورية فى المناطق التى نزلوا بها ، وبخاصة الاله (يهوه) اله البراكين الذى يظهر مغلفا بالسحاب نهارا ، وبالنار ليلا ، ويتابعهم حيثما ارتحلوا .(عدد ــ ١٤) .. وكانت تتلخص عبادته فى اقامة مآدب صحراوية وذبائح وقرابين محروقة .. وكذلك الالهة (عنات) ، الهة الأساطير الكنعانية ، ذات الشهوة الدامية .. وعلى هذا تتمثل أوامر الرب فى صورة انتقامية رهيبة .. يقول الرب لموسى : (متى أتى بك الرب الهك الى الأرض التى أنت داخل اليها لتمتلكها ، وطرد شعوبا كثيرة من أمامك ... لا تقطع لهم عهدا ، ولا تشفق عليهم ، ولا تصاهرهم) .. (تثنية ــ ٧) (أما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب الهك نصيبا ، فلا تستبق منها نسمة ما) .. (تثنية ــ ٢٠) من أجل أنهم (لم يلاقوكم بالخبز والماء ، فى الطريق عند خروجكم من مصر) .. (تثنية ــ ٢٣) .

بعد ما قويت شوكة اليهود بقيادة (يشوع) (١) أطلق الرب يده فى أصحاب الأرض قتلا ونهبا وختلا ورجما وحرقا وصلبا وتمثيلا .. (حرموا كل ما فى المدينة ، من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير ، بحد السيف .. وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها) .. (يشوع ٦ ، ٨ ، ١٠) .

نزل هذا كله بأريحا ، وعاى ، ولبنه ، ولخيش ، وجازر ، وعجلون ، ودبير ، وحاصور .

ولقد بلغت روح الانتقام والتشفى عند يشوع — كما تحكى التوراة (٢) — حد أنه بعد ما انهزم ملوك الأموريين الخمسة ، ووقعوا فى أسره ، قال (لقواده ، رجال الحرب الذين ساروا معه : تقدموا ، وضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء الملوك .. وضربهم يشوع بعد ذلك ، وقتلهم ، وعلقهم على خمس خشب ، وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء) .. (يشوع — ١٠) .

ويرى المؤرخون أن طبيعة هذه الانتصارات لم تكن بسبب قوة اليهود وشجاعتهم ، بل بسبب ما أصاب البلاد من تمزق وفوضى ، حتى عاثت فيها عصابات الخابيرو — المكاريين — فسادا ، وكان أن طلب (عبدو خيبا) — حاكم القدس نيابة عن الفرعون المصرى — خمسين جنديا فقط لحفظ النظام .. فاذا انتصر يشوع بأكثر

---

(١) يذكر اخوان الصفاء أنه « يوشع بن نون ولد يوسف النبى » وانه ظهر فيهم بعد وفاة موسى بأربعين سنة من التيه — « رسائل اخوان الصفا ، ج ٤ ص ٢٨ ط دار صادر ببيروت سنة ١٩٥٧ » على حين يتحدث المفسرون للقرآن الكريم أنه الفتى الذى صحب موسى فى طريقه الى الرجل الصالح .

(٢) لم نناقش أخبار التوراة لانها تعبر عن واقع التاريخ النفسى والسياسى والعسكرى لليهود .

من عشرة آلاف موحدين تحت قيـــادته فالأمر لا يعدو مغامرة فى غير ميدان .

يقول جوستاف لوبون : (ان عـــدد بنى اسرائيل ، واحتياجاتهم وبؤسهم فى مصر ، وحرمانهم الهـــائل ـــ مما جمع بينهم وأقنطهم ، فصاروا كقطيع الذئاب الهزيلة التى دفعها الجوع الى الاقتراب حتى من المدن) ...

ويقول : (كان بنو اسرائيل أقل من أمة حتى زمن شاءول ، وكانوا أخلاطا من عصـــابات جامحـــة ، كانوا مجموعة غير منسجمة من قبـــائل ســـامية صغيرة أفاقة بدوية ، تقوم حياتها على الغزو والفتح والجدب وانتهاب القرى الصغيرة ، حيث تقضى عيشا رغيدا دفعة واحده فى بضعة أيام ، فاذا مضت هذه الأيام القليلة عادت الى حياة التيه والبؤس) .

***

بعد أن استولى يشوع على أرض كنعان قسمها بين احدى عشرة قبيلة (سبطا) ، وجعل لقبيلة (لاوى) الشئون الدينية ، استجابة لقول الرب مخاطبا موسى : (قرب اليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بنى اسرائيل ، ليكهن لى) .. (خروج ـــ ٢٨) .

ويلاحظ فى ذلك الحـــــين أن أثر موسى فيهم كان محدودا ، اذ لم يـــكد يبقى له من وجود فيهم يتجاوز (لوحين) ، كتب فيهما (الرب) الوصايا العشر وظلا فى (تابوت) ينتقـــل معهم حتى بنى ســـليمان بيت الرب .

ولأنهم كانوا أصحاب حضـــــارة بدائية بدوية فقـــد اصابهم الاستقرار ـــ فى أرض زراعية ذات مجتمع له

أصوله الحضارية العريقة ـ بالخضوع لتقاليد المجتمع الجديد ، وقدسوا الاله (بعل) ، وهجروا لهجتهم السامية الأصلية ، واتخذوا اللغة الكنعانية ، وورثوا عن الكنعانيين أسس الثقافة المادية ، كما تسللت اليهم تقاليد الفحش المقدس ، اذ كان العذارى ينذرن أنفسهن حال بلوغهن للاله ، فيمارسن البغاء مع زوار معبده ، وكذلك أخذوا بتقاليد عبادة الاله (تموز) الذى كان الكنعانيون يعتقدون ـ كغيرهم من أقوام الشرق الأوسط القديم ـ موته صيفا وعودة الحياة اليه ربيعا .

ومن أثر الحضارة الكنعانية أن أصبح قادة اليهود ـ بعد يشوع ـ قضاة ، انحطوا بالبلاد سياسيا ، بسبب توقف الزحف العسكرى ، والانغماس فى حياة مدنية غير مألوفة .. وظل بنو اسرائيل ـ كما قال جوستاف لوبون ـ قوما من الزراع والرعاة ، حتى بعد صلتهم الطويلة بالحضارة الكلدانية ، من بعد المصرية والكنعانية، وبقى بنو اسرائيل ـ حتى فى عهد ملوكهم ـ بدويين ، أفاقين ، مغيرين ، سفاكين ، مندفعين فى الخصام الوحشى ، فاذا ما بلغ الجهد منهم ركنوا الى خيال رخيص ، تائهة أبصارهم فى الفضاء ، كسالى ، خالين من الفكر ، كأنعامهم التى يحرسونها ...

***

جاء الفلسطينيون من جزيرة كريت ، فرارا من وجه الهجرات اليونانية التى أزاحتهم عن مواطنهم ، ودخلوا أرض كنعان ، وسكنوا غزة وأشدود وعسقلان وأكرون وجات ، وانتصروا على سكان البلاد انتصارا باهرا ، بفضل أسلحتهم المصنوعة من الحديد ، وبلغوا أوج قوتهم فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر ق . م .

بفضل ثقافتهم المتقدمة ـ كما يقول البروفسور روبنسون ـ وبفضل العربات الحديدية التى كانوا يركبونها فى الحرب (١) .. فلما التقوا باليهود حوالى ١٠٥٠ ق . م . اوقعوا بهم هزائم متلاحقة ، حتى استولوا على تابوت العهد وأخذوه الى أشدود ، وظلت لهم اليد العليا ، مما دفع الاسرائيليين الى الالتفاف حول شخص يحيى أملهم ، ويغذى طموحهم فى السيطرة من جديد ، وكان ان توجوا الملك شاءول ـ حوالى ١٠٢٠/١٠٠٤ ق . م ـ الذى كان معروفا بالقوة والبأس ، ولكنه لم ينجح فى مهمته ، وقتل هو وأولاده ، وقطع الاعداء راسه ، وعلقوه مع أبنائه فى بيسان ، وأودعوا درعه وسلاحه قربانا فى معبد الالهة عشتاروت .

وولى الأمر داود ـ الذى كان حامل درع شاءول فى حدود ١٠٠٤/٩٦٠ ق . م . وكان فى أول الامر يحكم بصفته تابعا للفلسطينيين ، ولكنه تمكن من احراز الاستقلال ، ولم يكتف بذلك ، بل انه وسع حدود مملكته الى جهات لم يبلغها سلطان اليهود من قبل ، واحتل القدس ، وجعلها عاصمة ملكه ، بعد مقاومة عنيدة من اليبوسيين استمرت طويلا ، واقام ادارة على الطراز المصرى القديم ، وأجبر دمشق على دفع الخراج له ، كما احبط مؤامرة ابنه أبشالوم ، وأخمد ثورة الولايات الشمالية من مملكته ، وأخضع الموابين والأدوميين والعمونيين .. ومع هذا فالدولة فى أوج خيلائها ـ كما يقول بيللوك ـ كانت مائة وعشرين ميلا فى أطول أطوالها، وستين ميلا فى أعرض أعراضها ، واقل من ذلك بكثير

---

(١) (وكان الرب مع يهوذا ، فملك الجبل ، ولكن لم يطرد سكان الوادى ، لان لهم مركبات حديد) القضاة ـ ١٩ .

فى أغلب الأحيان ، فاذا خرج الرجل مع طلوع الشمس من القدس متجها شرقا أو شمالا أو غربا ، كان فى وسعه أن يبلغ أطرافهـــا فى فترة وجيزة من الصباح .. انه لا يقطع اثنى عشر ميلا فى أى من هذه الاتجاهات الا ويــكون قد خرج من حدود تلك المقاطعة .

وخلف داود ابنه سليمان الذى بدأ حكمه بقتل أخيه الأكبر أدونيا ، وقتل يؤاب رئيس جيش أبيه ، وعزل أبياثار الكاهن .. وكانت مصر وأشور فى حالة اضطراب مما ساعده على البلوغ بمملكته (٩٢٥/٩٦٠ ق . م) أوج ازدهارها .

كان اهتمامه بالتجارة الخارجية والصناعة والتعــدين والبناء والتعمير من عوامل عيشة البذخ والاسراف ، على غرار ملوك مصر وآشور ، وأسرف فى بناء قصره الذى استغرق بناؤه ثلاثة عشر عاما . واشـــتهر كذلك ببناء المعبد المشهور باسم (هيكل سليمان) ، واستغرق بناؤه سبع سنين ، وقد اتضحت فى بنائه الرمزية الكنعانية . واهتم ببناء الحصون والقلاع والثكنات ، وأنشأ بمساعدة صديقه (حيرام) ملك صور أسطولا من السفن التجارية فى البحر الأحمر .. واتخذ من مصاهرة الدول المجاورة سبيلا الى الاستقرار .

ومع ذلك نشط أعداؤه ، فاستعادوا بعض البقاع التى كانت خاضعة لأبيه وانـكمش ملـكه فى آخر عهــده ، فاقتصر على غرب الأردن .

***

بعد سليمان انقسمت الدولة الى قسمين : (يهوذا) تحت حــكم (رحبعام) ابن سليمان الــذى لم يستطع

بسبب بطشه جمع شمل البلاد ، واتخذ عاصمة ملكه (أورشليم) ، أما (اسرائيل) فكانت تحت حكم (بربعام) ـ من سبط أفرايم ـ الذى اتخذ عاصمة دولته مدينة (السامرة) فى الشمال (٩٢٢ ق . م . تقريبا) .

ووقع العـــداء بين الدولتين ، وحدثت سلسلة من الحروب والفتن والاختلاف فى العقيدة أطمعت شيشنق فرعون مصر وصهر سليمان ، فاستولى على أورشليم ، ونهب ما فيها من كنوز .. وفى هذه الأثناء كانت دولة الأشوريين تزداد قوة ، فتوجه سرجون (٧٢٢ ق . م) الى الشام ، واستولى على السـامرة ، ونقل كثـيرا من سكانها أسرى ، ثم قضى على دولة يهوذا .

واستسلم الملك (أحاز) لحكم تجلات بلاصر ، الملك الاشورى .. وفى عهده بنى الهيكل للمرة الثانية باشراف (أوريا) الكاهن ، ثم أخذ هذا الملك الاسرائيلى مذبحا وثنيا ، واستعمله فى معبده (الملوك الثانى ـ ١٦) ، مما دعا الى ظهـور عصر الأنبياء الذين يندون بالشرك ويستمطرون اللعنات على الآثمين .

وحدث صراع بين الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الأدعياء ، وأصبح لـكل حاكم أنبياؤه ، وبرز (ايليا) بمراثيه ، وشجع (اليشع) على قيـام ثورة أدت الى قتل الملك (أخاب) وزوجته ايزابيل وجميع كهنة الاله بعل ... أما النبى (عاموس) القروى الذى كان يأتى الى المدينة ليبيع ويشترى ويرى الترف والفســاد فقد دعا الى الاصلاح الاجتماعى ، وحث الأثرياء على الرأفة بالفقراء ، وانذر الناس بغضب (يهوه) وانتقامه ، كما انتقـد الفحش المقدس ، وعبادة الآلهة الأخرى .

وفى سنة ٦٢١ ق . م ادعى حاخام المعبد فى القدس أنه رأى أثناء نومه النبى موسى ، وانه اخبره بأن اسرائيل قد ضلت سواء السبيل ، وأن الكتاب الذى كتبه من كلمات الخالق موجودة فى مكان حدده من المعبد .. فلما استيقظ الحاخام حفر فى المكان الذى ذكره موسى ، فوجد سفر (التثنية) .. وصدرت اوامر الملك بتنفيذ ما جاء فى السفر وازالة مظاهر الوثنية .. ودبت الحياة من جديد فى العروق الجافة .

لكن ما لبث أن سقطت القدس (سنة ٥٩٨ ق . م) فى يد نبوخذ نصر ملك بابل ، وساق أمامه الملك (يهوياقين) والنبى (حزقيال) ، ومعهما سبعة آلاف رجل مسلح وألف عامل ، مكبلين بالحديد ، فكان هذا الأسر البابلى الأول .. وبعد سنوات ثارت مملكة يهوذا بتحريض من مصر ، فغضب نبوخذ نصر ، ودمر أورشليم (سنة ٥٨٦ ق . م) وحرق هيكل سليمان ، وسلب خزائن المدينة ونقلها الى بابل ، وقتل من سكانها عددا كبيرا ، وأخذ معه أربعين ألف أسير (لينوحوا عند مياه الفرات فى بابل) ، وكان هذا هو الأسر الثانى ، وقبض على الملك (صدفيا) واخذه الى معسكره ، وذبح أولاده أمام عينيه ، ثم فقأ عينيه ، وأخذه مكبلا مع الأسرى ، وشرد من بقى من اليهود .

ويعلل التلمود ما نزل باليهود بقوله : (عندما بلغت ذنوب اسرائيل مبلغها ، وفاقت حدود ما يطيقه الاله العظيم ، وعندما رفضوا أن ينصتوا لكلمات وتحذيرات ارمياه) الذى وجه القول الى نبوخذ نصر : (لا تظن أنك بقوتك وحدها استطعت أن تتغلب على شعب الرب المختار ، انها ذنوبهم الفاجرة التى ساقتهم الى هذا

العـــذاب) اذ انتشر الزنى بالأخت وبالأم ، كما انتشر اللواط والمساحقة ومواقعة البهائم ، وخلطوا أفظع الملاذ بالطقوس المقـــدسة ، وعدت ضروب البغاء تـكريما لعشتروت ، وعد الانهماك فى السـكر على بسط الأزهار وتحت ظلال الزيتون ــ كما يقول جوستاف لوبون ــ نوعا من العبادة .

وطال هذا الأسر ستين عاما ، مما ساعد على الاختلاط بحضارة جديدة ضيعت ما بقى من أصالة العبريين .. وصار الدين اليهودى غير خاص باليهود ، نتيجة غلبة الثقـــافة الـكلدانية ، والتزاوج بين الأسرى والمجتمع الجـــديد .. لكن مع هذا تولد الاحساس بالضياع ، وضرورة الحفاظ على ما بقى من الكيان اليهودى ، فالتف الأسرى حول النبى (حزقيال) .

ولما كان سقوط الدولة الـكلدانية تحت أيدى الفرس سنة ٥٣٨ ق . م . أخذ اليهود يحتلون الوظائف العالية فى الدولة الفارسية ، وصارت (أستير) ملكة بفضل ابن عمهـــا (مردخاى) ، وتســلطت أستير على الملك (أحشويرش) ، فصلب وزيره هامان وبنيه العشرة ، لأنه كاد يفتك بمردخاى وعشيرته ، و (أعطى الملك اليهود مدينة فمدينة أن يجتمعوا ويقفوا لأجل أنفسهم ، ويهلكوا ويقتلوا ويبيدوا قوة كل شعب وكورة تضادهم ، حتى الأطفال والنساء ، وأن يسلبوا غنيمتهم) ، فكان (كثير من شعوب الأرض تهودوا ، لأن رعب اليهود وقع عليهم) اذ قتلوا من مبغضيهم أكثر من خمسة وخمسين ألفا (١) .. (سفر أستير) .

---

(١) يجرى احتفال « عيد الفوريم » فى ذكرى هذه المذابح يومى ١٤ ، ١٥ آذار فى التقويم العبرى .

ومع أن أحداث القصة وردت فى التوراة ، وعلى أقلام بعض المؤرخين ، فان الدكتور فؤاد حسنين على ـ وهو الحجة المثبت ـ يرى أن هذه القصة ليست عبرية الأصل ، فهى تصور ملحمة حربية بين الآلهة البابليين والعيلميين ، اذ ان أستير فى الواقع هى عشتر ، وهامان هو اله العيلميين ، ومردخاى هو مردوك .. ولهذا عارض الكثيرون من اليهود أقحامها على العهد القديم .

ثم ان أحداث القصة تثير تساؤلات ، فالشاه يبدو موافقا على ما اتخذه هامان من اجراءات ، وفى موضع آخر يبدو كارها أسفا ، دون سبب .. وكيف يجهل هامان العلاقة بين مردخاى وأستير ، وهو الوزير المتصرف ؟ هذا الى أن التاريخ الايرانى لا يعرف ملكة باسم فشنى (وشنى زوجة أحشويرش) أو أستير .. (راجع التوراة الهيروغليفية ص ١٧٤/١٨٢) .

***

بعد ما أخذ قورش بلاد بابل سنة ٥٣٨ ق . م سمح لليهود بالعودة الى فلسطين فرجع اليها حوالى ٤٢ ألفا ، وسخا الملك معهم ، فرد اليهم الأوعية التى أخذت من معابدهم وأضاف الى كنوز المعبد اليهودى فى القدس أموالا من خزانته الخاصة .

وقاد اليهود فى عودتهم ـ ابان حكم داريوس (٥٢١/٤٨٦ ق . م) ـ زربابل (زيرو بابل) (١) .

وعقب العودة بنوا مذبحا على موقع المعبد ، ولم يتموا بناء المعبد بسبب الحالة الاقتصادية .

---

(١) من اسمه يتبين أثر الاسر فى التغيير الاجتماعى ، وتقوم الحجة على من يطعنون فى عبرانية موسى بسبب اسمه .

وحاول اتمام البناء النبيان زكريا وحجاى .. لكن البنيان لم يتم الا عندما ظهر (عزرا) النبى ، وقد ساعد عزرا ملك فارس أرتكسيس (أرتحشيش) ــ ٤٦٥/٤٢٤ ق . م ــ الذي أباح لعزرا أن يأخذ معه الى أورشليم كل يهودى يبغى العودة ، وطالبه الملك أن يكيف اليهودية حسب كتاب الشريعة الذى بيده ، فرحل مع عزرا ستة آلاف يهودى ، بينهم نفر من الكهنة واللاويين ، فغيروا العقيدة اليهودية التى كانت قائمة فى فلسطين وتداك ، وغذوها بالنبوءات اليهودية الجديدة التى ظهرت فى السبى ...

وبعد اكتمال المعبد وقف فيهم عزرا وأعطاهم (القانون) ، وجعلهم يقسمون على المحافظة عليه ، وكان أهم حدث فى ذلك الحين هو اكتمال كتابة أسفار موسى الخمسة (التوراة) ، وبهذا بدأ عصر القوة فى المعتقد اليهودى ، والتصلب الدينى .

وكان من أثر الديانة الفارسية الايمان بالبعث والحساب، وبأن هناك محاكمة قاسية يجريها الخالق ، فيذهب بعدها من يثبت اجرامه الى جهنم ، والمؤمنون يذهبون الى الجنة .. وصاروا يؤمنون بوجود قوة للشر سموها الشيطان الذى يغرى بالعصيان ، كما صاروا يؤمنون بالملائكة وبالجن .. وكانوا ينظرون الى (قورش) على أنه (المخلص) الذى كانوا ينتظرونه ليعيد (مملكة يهوذا) .

وفى سنة ٣٣٢ ق . م دخل الاسكندر المقدونى فلسطين، واحتل القدس ، فخرج اليه اليهود فرحين داعين أن يخلصهم من نير الفرس وطغيانهم ، جاحدين فضل الفرس عليهم .

وبعد وفاة الاسكندر (سنة ٣٢٣ ق . م) صارت فلسطين في أيدى السلوقيين ، وظلت مسرحا للاضطرابات ، يتداولها السلوقيون والبطالسة .

وقد تأثرت البلاد بالحضارة الهلينية ، فأقيمت الملاعب ، وترك الكثيرون عادة الختان وصاروا يأكلون لحم الخنزير ، ويذبحونه داخل المعبد .

وهاجر بعض المثقفين الى الاسكندرية ، ودرسوا الفلسفة اليونانية ، وتم التزاوج بين الفكر اليونانى والديانة اليهودية .

وتمتع اليهود بحرية مباشرة طقوسهم الدينية ، حتى كان (انطيوخوس آبيفانوس) — ١٧٥/١٦٤ ق . م — فحاول نشر الثقافة الهيلينية بطريقة أثارت ثائرة اليهود ، فانتقم منهم أشد انتقام ، وحول المعبد اليهودى دارا لعبادة (زوس) ، كما حرم تقديس يوم السبت والاحتفال بالأعياد . ومنع الختان ، وحرم حيازة التوراة ، وجعل عقاب المخالفين الاعدام ، وأقام كثيرا من المعابد الوثنية ، وأجبر اليهود على تقديم القرابين لها .

وكانت نتيجة هذا الامتهان العقائدى أن ثار الكاهن (متياس) ، والتف حوله كثير من اليهود ، لكن الحركة انتهت بفتك ذريع باليهود فى أحد أيام السبت ، حيث لا تجوز الحركة فى ذلك اليوم ، مما حدا بالحاخامات الى الافتاء بالدفاع عن النفس فى هذا اليوم ...

وتجددت الثورات بقيادة أبناء (متياس) لتحرير الأرض ، وكان أهمها تلك التى كانت بقيادة (يهوذا بن متياس) جوداس المكابى ، فأحرز انتصارا على الملك السلوقى ، وحررت القدس ، واستعادت المعبد

سنة ١٦٥ ق . م ، وحصل اليهود على الحرية الكاملة فى تأدية شعائرهم الدينية ، وطمحوا الى تحقيق الحرية السياسية ، فاستمر القتال حتى قتل يهوذا المكابى سنة ١٦٠ ق . م ، وخلفه أخوه (يوناثان) ، وقتل عام ١٤٤ ق . م ، وجاء بعده أخوه (سمعان) ، فكتب له التوفيق ، حتى منحه الشعب اليهودى عام ١٤٠ ق . م لقب الامارة والقيادة ورئاسة الحاخاميين .

***

وبعد أن وقعت البلاد فى أيدى الرومان عقد اليهود مع السلطات الرومانية الحاكمة صلحا ، منحوا بموجبه حرية العبادة .

وثار اليهود سنة ٧٠ م ضد الرومان ، الا أن القائد الرومانى (تيتوس) دمر أورشليم ، وحرق الهيكل ، وبنى معبدا للاله (جوبيتر) ، وقتل عددا كبيرا من اليهود ، وساق الى الأسر مئات المئات ، واختص (تيتوس) صديقه (فرونتو) بيهود أورشليم ، فعمل فيهم صلبا وتعذيبا ، كما أرسل الأقوياء منهم الى مصر ليعملوا فى مناجمها مدى الحياة ، أما الأطفال والنساء فقد بيعوا فى مختلف أسواق الأمبراطورية الرومانية بأبخس الأثمان ، وكانت أمنية اليهودى ، أن يقع فى أيد رحيمة تعطف عليه خوفا من أن يقع فى حلبة مصارعة الثيران .. وتشرد الكثيرون فى بقاع الأرض ، وبخاصة فى بلاد ما بين النهرين ، الجزيرة العربية ومصر وبرقة .

وحاول اليهود الثورة فى عهد تراجان (سنة ١٦٠ م) ، لكن ثورتهم باءت بالفشل وأخذ تراجان — بعد أن أعمل القتل فيهم — عددا من الأسرى الى روما ، شكلوا مع

من سبقوهم جالية يهودية كبيرة ، نشطت فى التبشير باليهودية ، فكان أن أصدر نيرون أمرا بتحريم اليهودية ، بعدما أحس بخطر انتشارها ،واعتناق زوجته لها .

ونتيجـــة قسوة تراجان وهادريان ونيرون ، هدأت ثورات اليهود ، وتفرغ أحبارهم لـكتابة الكتب الدينية، فكان التلمود البابلى والفلسطينى .

***

بعد اعلان (دقلديانوس ــ ٢٨٤/٣٧٠ م) المسيحية دينا رسميا للبلاد ، أصبحت القدس عاصمة مسيحية ، وأصبحت اليهودية بدعة ، اعتناقها جريمة ، ولقى اليهود من الاضطهـــاد على يد المسيحيين ما لم يلاقــوا فى كل العصور وبخاصة بعدما انتشرت المسيحية فى أوروبا .

وفى القرن الرابع الميلادى عقـــد صلح بين الـكنيسة والدولة الرومانية نص على اعتبار اليهودية العدو الأول للمسيحية عقائديا وسياسيا ، فصدرت مجموعة القوانين المعروفة باسم قوانين قسطنطين ، وصدر القرار التالى فى ١٨ أكتوبر سنة ٣١٥ م :

(ليعلم اليهود عامة أنه بعد صدور هذا القـــانون يعاقب كل يهودى ــ يتعرض ليهودى آخر ترك ملته الى المسيحية ــ بالاعدام حرقا هو ومن يعاونه ، أو يحرضه، ويعاقب بنفس العقوبة كل مسيحى منحرف ، أو أى فرد من أفراد الشعب ، يعتنق اليهودية الدنيئة) .

وجاء (جستنيان) فحرم عليهم اقامة الصلوات وقراءة الـكتاب المقدس باللغـــة العبرية ، وطالبهم باستخدام ترجمة يونانية .

وتكاثرت القوانين القيصرية الخاصة بانزال العقوبات بهم ، وظل هذا حالهم حتى ظهر الملك الفارسى خسرو الثانى ، وانقض على أملاك الروم ، وسقطت فى يده اورشليم ، فما كان من اليهود الا أن اشتركوا مع الفرس فى التنكيل بالمسيحيين ، وخربوا الأديرة والكنائس ، واضطروا عـددا كبـيرا من المسيحيين الى اعتنـاق اليهودية ، ثم عاد اليهود وخانوا الفـرس ، مما دفـع القائد الفارسى الى التنكيل بهم وسبى عددا كبيرا منهم وأرسلهم الى فارس .

وبعـد ذلك أخـذ اليهـود يتوددون الى القيصر (هيرقليدس) ، فاستجاب لهم رغبة فى الانتقـام من الفرس ، ولما انتصر (هيرقليدس) على الفرس ، واستعاد أورشليم ، ثأر للمسيحيين من اليهود ، ونكل بهم شر تنكيل .

وفى سنة ٤٣٩ م صدر تشريع ينص على انه لا يجوز لليهودى أن يتقلد مناصب ، أو يحمل أنواط شرف ، كما لا يجوز تعيينه فى عمل يتصل بالادارة أو الدفاع عن اليهود .

وأصبح يزدجرد الثانى سنة ٤٣٨ م فى العراق جلادا لليهـود ، بتحريض من (مزدك) فاضطهـدهم ، وأغلق معاهدهم الدينية ، وطاردهم .

وهكذا ...

استمر اليهود طيلة فترات التاريخ يلاقون الاضطهاد والقسوة ، ولم يتنفسوا الصعداء الا فى ظل الاسلام ، حيث وفر لهم الحرية والأمان .

اليهود في ظل دولة الإسلام

نتيجة كل من الغزو البابلى والغزو الرومانى وما لحق أورشليم من تخريب وتدمير ، وما أصاب الشعب الاسرائيلى من تمزق أدى الى هجرات كثيرة — استقرت جموع من المهاجرين اليهود شمالى الحجاز ، وكانت منهم بطون بنى النضير وبنى قريظة وبنى قينقاع وبنى المصطلق.

وتجمع المصادر التى وصلتنا على أن هؤلاء اليهود وجدوا بين القبائل العربية الأمن والسلام ، وجادت العروبة على اليهود باللغة ، فأجادوها ، وصار منهم الشعراء والخطباء والحكماء ، واكتسبوا بعض الخلال العربية ، ونعموا بالحرية المفقودة أجيالا ، وبالرجولة الضائعة ، وبالفطرة العربية الموروثة .

كانوا يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية ، وأنشأوا لهم مزارع فى خيبر ووادى القرى وتيماء .. واشتغلوا بالتجارة والربا ، وأكلوا أموال الناس بالباطل .. واشتهر بنو قينقاع بصناعة السيوف والدروع والآلات الحديدية.

واستوطن بعضهم بلاد اليمن فى العصر الحميرى الثانى (٣٠٠/٥٢٥ م) حيث وجدت ديانتهم أرضا خصيبة ، فاعتنقها بنو حمير ، وبطون من كنانة وكندة وبنى الحارث ، تدعيما لهم فى وجه المطامع الحبشية ،

وخوفا من سيطرة الدولة الرومانية الشرقية ...،

ولقد صارت اليهودية فى نظر معتنقيها اليمنيين تمثل الروح القومية ، على حين صارت المسيحية رمزا للتدخل الاجنبى ، واثرا من آثاره ، لهـــذا كان الصراع بين الديانتين محتمل الوقوع بين حين وآخر .

وانفجــر الصراع بمذبحــة كبرى أوقعهـــا اليهود بمسيحيى نجران سنة ٥٢٣ م ، فاستنجد من أفلت منهم بالبيزنطيين ، فــأرسل الامبراطور جستين الأول (٥١٨/٥٢٧ م) الى ملك الحبشة يدعوه الى أن يضــع حدا لعـــدوان اليهود فى اليمن ، واستطاع أبرهة أن يهزم ذا نواس اليهودى سنة ٥٢٥ م .

وبهذا سقطت دولة حمير فى أيدى الأحباش ، وقضى على جميع آثار دولتهم الســـياسية والدينية ، ووقع اليهود فى قبضة العناصر النصرانية ، وفر منهم من فر الى شمالى الجزيرة أو الى بلاد فارس .

وتبع هجرة الأوس والخزرج الى يثرب أن صار وفاق بين العرب واليهود بسبب أن العرب كانوا شركاء اليهود فى عداوة الرومان ، أو لأن العرب كانوا سوقا جديدة للمنتجات اليهودية .

ولكن سرعان ما تعرف العرب على المطامع اليهودية،وعلى ما يتصفون به من اللؤم والغدر والخداع .. فدب بينهم الخلاف الذى كان يصل الى حد الحروب ، وكان اليهود يخشون التمادى فى العـــداء خوفا على مصــالحهم الاقتصــادية ، وتحسبا للوجود الرومانى فى الشمال والجنوب .

وكان اتصال بين الغساسنة وعرب الأوس والخزرج ،

فازداد خوف اليهود ، وعملوا على الوقيعة بين القبيلتين، وناصروا فريقـــا ضد فريق ، حتى كان يوم (بعاث) المشهور .

ومع ظهور الاسلام أخذ اليهود يتتبعون أخبار الدعوة الجديدة ، ووقفوا منها موقف المستطلع ، قبل أن يميلوا معها أو عليها .

جاءهم النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط يسألان فى وسيلة لاحراج (محمـــد) وكشف دعـــواه ، فقال أحبارهم : (سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ، ما كان أمرهم ، فانه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها بم كانت نبوءته ، وسلوه عن الروح ما هى ، فان أخبركم بذلك فاتبعوه ، فانه نبى ، وان لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا به ما بدا لكم) .

وبعد أن تمت بيعة العقبة الأولى أخذ اليهود يحسون بخطر الاسلام ، وكان عندهم أمل فى أن يلتقوا بالرسول — صلى الله عليه وسلم — ويؤثروا عليــــه ، فيدخل دينهم .

وكان النبى — عليه الصـــلاة والسلام — يرغب فى لقاء اليهود ، على أساس أنهم أهل كتاب بشر بمقدمه ، عساهم يدخلون دينه .

وما ان هاجر الرسول الى يثرب حتى بادر اليهود بحسن استقباله ، وازداد رجاء الرسول فيهم ، فوثق صلاته بهم ، وتقرب من كبارهم ، وعقد معهم معـــاهدة صداقة ومودة .. وكان الهدف من وراء هذه المعاهدة أن يجمع الرسول شمل المهاجرين والأنصار مع اليهود فى

مواجهة المشركين .. وكانت بيعة العقبة الثانية قد أزالت ما بين الأوس والخزرج من أسباب المشاحنة .

ولكن ما لبث اليهود أن أخذوا يثيرون الفتن بين الأوس والخزرج ، ويدسون للمسلمين ، حتى قال الله فيهم : « يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ، وكيف تكفرون ، وأنتم تتلى عليكم آيات الله ، وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .. (آل عمران — ١٠١) .

وتتبع اليهود رسول الله بالأسئلة ليحرجوه ، وطلبوا اليه كتابا من السماء : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم » (النساء — ١٥٣) .

ولما كان فشلهم فى اثارة الفتنة لا يزيدهم الا عنادا وكفرا ، فلبس بعضهم ثوب الاسلام ليطعنوا الاسلام باسم المسلمين ، « وقالت طائفة من أهل الكتاب : آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ، واكفروا آخره ، لعلهم يرجعون » (آل عمران — ٧٢) « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ، انما نحن مستهزئون » (البقرة — ١٤) .

واتخذوا المسجد وحلقات العلم مجلسا ، ليتسقطوا أخبار المسلمين ، وليطلعوا على أحوالهم ، وينقلوا ذلك الى اليهود وحلفائهم من المشركين .

فلما حدثت موقعة بدر ، لم يشتركوا مع الرسول ،

تطبيقا لنصوص المعاهدة ، وأشاعوا هزيمة المسلمين وقتل الرسول .

ثم سخر بنو قينقاع من امرأة مسلمة ، فوقع الشر بين المسلمين وبينهم ، ولولا أن الرسول تدارك الأمر لنشبت الحرب . لكن بني قينقاع لم يرعووا ، واغتروا بقوتهم ، وعرضوا بالمسلمين ، فحاصرهم الرسول في ديارهم خمسة عشر يوما حتى استسلموا ، ورضوا بالجلاء عن المدينة الى أذرعات في حدود الشام .

ولم يشترك اليهود في موقعة أحد ، بقصد تخذيل المسلمين ، وزادوا فدبر يهود بني النضير كمينا لأربعين مسلما ذهبوا يعلمون قبائل نجدية أمور الدين ، وقتلوهم عن آخرهم ، ما عدا رجلا أخبر بما حدث ، فذهب اليهم الرسول وصاحباه أبو بكر وعمر ، ليتحدث بشأن ما جرى ، فكادوا يقتلوه بصخرة تلقى من فوق جدار ، فما كان من الرسول الا أن أنذرهم بالخروج قبل عشرة أيام ، فمن بقي ضرب عنقه ، لكن المنافقين أغروهم بالبقاء ، ووعدوهم بالقتال الى جانبهم ، فحاصرهم الرسول حتى استسلموا ، وتم جلاؤهم ، فريق الى الشام ، وفريق الى خيبر .

وأما بنو قريظة فقد تعاونوا مع قريش وغطفان في معركة الخندق ، وصاروا يثبطون همم المسلمين بما يشيعون من شائعات ، ويتجسسون عليهم ، وائتمروا بفتح ثغرة في حصونهم ينفذ منها المشركون .

وكفى الله المؤمنين شر قتال الأحزاب ، فسار الرسول الى حصون بني قريظة ، وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة ، فانهاروا ، وصاروا « يخربون بيوتهم بأيديهم

وأيدى المؤمنين » .. وطلبوا تحكيم سعد بن معاذ ، فحكم بقتل الرجال ، وسبى النساء ، وتقسيم الأموال ، وقتل منهم اذ ذاك ما يقرب من التسعمائة .

ولما وصلت هذه الأخبار الى يهود خيبر ، خافوا ، وتحالفوا مع يهود وادى القرى ليزحفوا على يثرب ، وأخذوا يرسلون رجالا بالأموال ليؤلبوا العرب وليوقعوا بين المسلمين .

وانتظر الرسول حتى فرغ من قريش بمعاهدة الحديبية ، واتجه الى خيبر ، وافتتحها حصنا حصنا .

ولما طلبوا من الرسول حقن الدماء أجابهم الى طلبهم ، ورد اليهم صحائف من التوراة فى أيدى المسلمين ، وصاهرهم ، ومع هذا أرادوا قتل الرسول باهدائه شاة مسمومة .

بعد هذا لم تعد لليهود شوكة فى أرض المسلمين ، فمن بقى تحت الحكم الاسلامى - كبنى غادية وبنى حنينة - ظلوا على حالهم فى عهد الرسول وعهد أبى بكر .

وفى عهد عمر علم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال فى فراش موته : (لا يجتمع بجزيرة العرب دينان) ، فأجلى من ليس له عهد مع رسول الله .

وحين تسلم عمر بيت المقدس من البطريك صفرونيوس سنة ٦٣٦ م اشترط البطريك - فى معاهدة عمر - منع اليهود من الاقامة فى المدينة المقدسة .. ولكن ما كاد المسلمون يتسلمون مقاليد الأمور فى البلاد حتى قضوا على استبداد المسيحيين باليهود ، وما لبث اليهود أن

استعادوا نشاطهم العلمى ، وظهرت فى طبرية نهضة علمية مباركة .

وفى عهـــد عثمان نشط اليهـود الذين لبسوا ثوب الاسلام بقيادة عبد الله بن سبأ ، وظلوا يؤلبون المسلمين على عثمان ، بدعوى أنه ليس أحق بالخلافة ، وأن من اختاروه لها جماعة من الطغاة الخارجين على الدين ، وأن انتقال الرسول الى الرفيق الأعلى نقل شخصيته الى على ، كما انتقلت شخصية موسى الى يوشع .. وطورد هذا الرجل من البصرة الى الكوفة الى مصر ، وكانت دعوته من عوامل قتل عثمان رضى الله عنه ، وظهور الفتنة الكبرى فى التاريخ الاسلامى .

زمن الفتوح الاسلامية :

وقد تم فتح كثير من الأمصار فى عهد عمر وعثمان ، ابرزها بلاد العراق والشام ومصر .

وقد رحب أكثر أهل الذمة النصارى واليهود بالفتح الاسلامى ، خلاصا من الاضطهاد الرومانى والفارسى ، ومن الصراع الطائفى ، ولاعفائهم من الخدمة العسكرية ، ولتمتعهم بالحرية الدينية فى ظل الاسلام ، وفى ظـل المبادىء الانسانية السامية التى أعلنها أبو بكر فى وصيته قادته :

(لا تخونوا ، ولا تغـدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ، ولا تعقروا نخلا وتحرقوه ، ولا تقطعوا شـــجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكل ، وسوف تمرون بأناس قـد فرغوا

أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له) .

وعاش اليهود فى أمن وسلام خلال عهود الخلفاء الراشدين وبنى أمية .

وفى العصر العباسى تمتعوا بحياة أكثر تساهلا ، ووجدوا المجال مفتوحا أمام مواهبهم وقدراتهم العلمية ، حتى أصبح لهم فى بغداد مكانة عالية بفضل تشجيع الخلفاء ، وتقديرهم للعلماء .

واحترف اليهود عددا من الحرف ، كالصباغة والنسيج وصناعة الزجاج وادارة السفن ،وتولوا كثيرا من المناصب العامة ، وسافر تجارهم فى بلاد المشرق والمغرب، وعادوا بالكسب الوفير ، كان منهم معظم الصيارفة ، كما كان لهم من يدير شئونهم الدينية ، ويتولى أمور القضاء فيهم .

وفي هذا الوقت ترجمت التوراة والتلمود الى العربية .

وبلغ عدد اليهود فى العراق ستمائة ألف ، أنشأوا ببغداد مستعمرة كبيرة ظلت قائمة حتى سقطت المدينة فى أيدى المغول ، وكان بالمستعمرة عشر مدارس ربانية ، وثلاثة وعشرين كنيسا ، وكان المعبد الرئيسى مبنيا بالرخام المختلف الألوان ، ومزدانا بزينة الذهب والفضة.

وكانت لليهود فى الأقطار الاسلامية علاقات واتصالات دينية ، حتى كان رئيس يهود الفسطاط عراقيا .

ولما قامت الفتنة بين الامين والمأمون ركبوا ظهرها ، فأصابهم منها ما أصابهم .

وتمتع اليهود فى الأندلس بحرية أكبر وانتشروا فى

جميع ميـــــادين الزراعة والصناعة والمال والمناصب العامة ، ولبسوا ثياب العرب ، وتكلموا بلغتهم ، واعتادوا عاداتهم .

وكان (حسداى بن شيروط) اليهودى يتولى استقبال سفراء الدول الذين كانوا يفدون على البلاط الأموى فى عهد عبد الرحمن الناصر .

وبسبب الحرية الدينية والعلمية التى تمتعوا بهـــا جعلوا ينشئون المجامع العـــلمية فى قرطبة وطليطلة وبرشلونة وغرناطة وغيرها .

وفى بعض الأوقات صارت حرفة الطب وقفا عليهم تقريبا ...

وفى أشبيلية دعا المعتمد بن عباد الى بلاطه اسحق بن بروك العالم الفلكى ، ومنحه لقب أمير ، وجعله حاخام كل المجامع اليهودية .

وفى غرناطة صار (شمويل هلاوى بن نجرله) وزيرا يهوديا فى دولة اسلامية ، ولما مات خلفه ابنه يوسف نجرلة .

وقد غلبت على (يوسف) هذا طبعة الكبر والفطرسة والتعصب فى اليهود ، فجرؤ على القـــول فى القرآن ساخرا مستخفا ، فثار سكان البلاد وصلبوه ، وذبحوا أربعة آلاف يهودى فى غرناطة ، وأرغم البـــاقون على مغادرة البلاد .

ولما كان عهد المرابطين ضيقوا على اليهود الخناق .. وجاء الموحدون فخيروهم بين الاســـلام والخروج من البلاد ، فخرج الكثيرون ، وتظاهرت البقية بالاسلام .

والسر فى قسوة المرابطين والموحـــدين أنهما دولتان قامتا على أنقاض فســـاد وتآمر وانهزامية فى صفوف المســـلمين ، وتسلل نصرانى يهودى فى عروق الدولة المختلفة ، وفى أجهزتها الادارية الرئيسية .. وكأنما احس اليهود بأن السفينة تغرق ، فعجلوا باغراقها ، لتكون لهم الحظوة فى دولة الاسبان .

وفى مصر أدى تعريب الدواوين الى انتشار اللغـــة العربية بين أهل الذمة ، وأصبح الجميع يتكلمون لغــة واحدة ، مما أدى الى نوع من الوحـــدة الاجتمـاعية والتقارب الفكرى ..

وانتشر الاسلام بين أهل الكتاب على نطاق واسع فى العصر الطولونى .. وفى العصر الأخشيدى كان لليهود محـاكمهم الخاصة .. وبلغ عــدد الذميين فى العصر الفاطمى خمسة ملايين نسمة ، ممـا يوحى بالاستقرار والخير الذى كانوا ينعمون به .. وقد تولى (ابن سعيد التترى) اليهودى نظارة الخاصة لأم المستنصر الخليفة .. وكان من جراء سيطرة اليهود على كثير من مقاليد البلاد أن قال فيهم الشاعر :

يهود هذا الزمان قد بلغـــوا
غاية آمالهـــم ، وقـد ملـكوا
العز فيهم ، والمـال عنـــدهم
ومنهـــم المستشار والملك
يا أهل مصر انى نصحت لـكم
تهــــودوا ، قــد تهـود الملك

ولم تكتف الدولة الفـاطمية باباحة ممارسة الشعائر الدينية لليهود ، بل شاركت فى أعيادهم الدينية باغلاق

الدواوين وتوزيع الهدايا والحلوى .

وفى العصر الأيوبى توسط لدى صلاح الدين طبيبه الخاص (موسى بن ميمون ١١٣٥/١٢٠٤ م) فتدفق اليهود من بلدان أوروبا الى فلسطين ومصر ، وفى ظل بيت صلاح الدين عومل اليهود معاملة خاصة ، وتلقوا كل حماية ممكنة .

وجاء العثمانيون ففتحوا لهم أبواب الوظائف الحكومية والمهن الحرة ، حتى وصلوا الى أعلى المراتب ، وكان أطباء أكثر سلاطين آل عثمان يهوداً ، وصارت لهم المزارع والمتاجر والمصانع ، وكثرت دور العبادة .. وزحفوا الى البلقان التى سبق أن طاردتهم واستعادوا وجودهم فى قلب أوروبا .

ومع ذلك .. فقد سجل التاريخ أن اليهود لم يكن منهم سنة ١٢٦٧ م بمدينة القدس الا اثنان أخوان ، وفى عام ١٣٢٧ م توطنت فيها طائفة صغيرة تشتغل بالصياغة ، وخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر تراوح عددهم بين ٢٥٠ و ١٥٠٠ .. ولعل ذلك يرجع الى استمرار الأخذ باتفاقية (عمر ــ صفرونيوس)، وحرصا على حماية الأماكن المقدسة اسلامية ومسيحية .

فى مصر الحديثة :

وفى داخل البلاد العربية ــ فى عصرنا هذا ــ تمتع اليهود حتى بحرية الحركة ضد أصحاب البلاد أنفسهم .

فاذا أخذنا مصر مثلا نجد أنه بينما كانت قضية الاضطهاد الواقع على الضابط اليهودى دريفوس تهز

المجتمع اليهودى فى أوروبا كان الكاتب والمفكر اليهودى يعقوب صنوع (ابو نضارة) يصدر جريدته (التنكيت والتبكيت) مسهما فى انهاض الحركة الوطنية عن طريق الصحافة والمسرح .. فلمـا اشتد الاضطهاد الأوروبى لليهود نجد حكومة حسين رشدى باشا ــ فى عهــد السـلطان حسين ــ تسارع الى استضافة المهـاجرين اليهود من روسيا وبولندا ومن فلسطين ذاتها ــ ابان الحرب العالمية الأولى ــ وتنظم عملية الغوث لهم ، وتعيد الأمان الى نفوسهم .. وتفتح لهم الاسكندرية مناطق القبارى والبلدية ومبنى الحجر الصحى ومحطة الورديان ودار المحافظة من الأماكن الحكومية .. كما أمر السلطان حسين بأن تصرف لهم اعانة يومية قدرها ثمانون جنيها زيدت الى مائة ، وهو مبلغ غير ضئيل فى ذلك الحين ، بالاضافة الى تبرع أثرياء اليهود وغيرهم ...

وقد جاء فى صحيفة (مصر) الاسرائيلية (٣١ يناير سنة ١٩١٥) أنه كان (يعيش فى منطقة القبارى نحو ١٦٠٠ نسمة ، يتكلمون أربع عشرة لغة ، وتستخدم اللغة العبرية وسيلة للتفاهم بينهم ، والمكان يشبه قرية مستديرة الشكل ، وهى مسورة ضمانا للأمن) ، وقد بنى لهم المصريون (معبدا ومستشفى ، فضلا عن أن المكان نفسه صحى وملائم للمعيشة ، وبه حدائق خضراء وطرقات مرصوفة ونافورات مياه) .

كتب ادجار ساويرس رئيسهم بمدينة الاسكندرية ــ شاكرا حسين رشدى باشا يقول : (لقد اثبتم مرة أخرى تحرر هذا البلد وضيافته الكريمة ، وان طائفتنا لعلى ثقة فى هذه المناسبة بأنها تعبر عن عرفان يهود العالم

للحكومة المصرية على الاجراءات السريعة الفعالة التى اتخذتها لمساعدة هؤلاء المطرودين البؤساء) .

وفى مارس ١٩١٥ م دعت لجنة اللاجئين بالاسكندرية الى اجتماع حضره نحو مائتى شاب ، وتناقش الحاضرون بشأن تكوين فرقة يهودية تنضم للقوات البريطانية ، شريطة أن تحارب فى الجبهة الفلسطينية ، لتمكين الوجود اليهودى فى فلسطين ، دون أدنى رعاية وتقدير للأرض التى فتحت ذراعيها لاحتضانهم .

وتألفت على الفور فى الاسكندرية فرقة تضم ٥٠٠ متطوع ، ٣٥٠ من اللاجئين ، ١٥٠ من يهود الاسكندرية، وسميت هذه الفرقة (فرقة راكبى البغال) التى أدت للانجليز ــ أثناء حملة غاليبولى ــ خدمات كثيرة ، حتى صدر الأمر بتسريحها فى مارس سنة ١٩١٦ م .

وكان جنود الفرقة يلبسون قبعات عليها نجمة داود ، ولها علم مرسوم عليه هذه النجمة ، وباركها الحاخام اليهودى الاكبر (ديللا برجولا) ، ووزع على أفرادها كتيبات باللغة العبرية تحتوى على التعاليم الداعية الى التمسك بالعقيدة وبالواجبات العسكرية .

وبعد حل هذه الفرقة تكون فى لندن (الفيلق اليهودى) فى ٥ اغسطس سنة ١٩١٧ م ، بقيادة الكولونيل باترسون للمساهمة فى العمليات الحربية فى فلسطين ، واستقبل هذا الفيلق أثناء مروره بالاسكندرية استقبالا حافلا من يهود المدينة .

وقد رأى اليهود فى هذا الفيلق (نواة لجيش يهودى ، يقوم ــ حين يكسبون الحرب ــ بتوزيع فصائله فى فلسطين ، لكى يلتزم العرب دائما حدود النظام) .

وفى عهد الملك فؤاد (١٩١٧/١٩٣٦) رسخت أقدام اليهود فى البلاد ، وتفتحت أمامهم الأبواب الواسعة فى كل مجال ، حتى عرفت مصر وزيرا لماليتها اليهودى يوسف قطاوى باشا ، وكان تعيينه تقديرا أدبيا وتكريما للطائفة اليهودية ، واحتل عدد من اليهود مقاعد فى مجلس الشيوخ والنواب .

وتأسست المحافل اليهودية فى القاهرة والاسكندرية وعواصم الأقاليم المختلفة ، وساهمت المحافل فى مساعدة اليهود اللاجئين .. وكان من أشهرها محفل (ابن ميمون) الذى افتتح فى ١٦ يناير سنة ١٨٨٧ ، وظل يمارس ألوان النشاط ، فلما كان عام ١٩٤٤ اختير حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية رئيسا شرفيا له .. والى جوار هذا المحفل الكبير كان محفل (الياهو جنابى) بالاسكندرية ، ومحفل (بناى بريث) بالقاهرة، ومحفل (ماجن ديفيد) بالمنصورة ، ومحفل (أوهيل) بطنطا ، ومحفل (اسرائيل) ببور سعيد .

وبلغ عدد المعابد فى القاهرة ـ خلال النصف الأول من القرن العشرين حوالى ٢٩ معبدا ، وفى الاسكندرية ٢٠ معبدا ، بالاضافة الى عدد من المعابد فى بور سعيد ودمنهور وكفر الزيات وطنطا والزقازيق والمنصورة وميت غمر والمحلة الكبرى .

والى جانب نشاط المحافل والمعابد فى الميادين الثقافية والاجتماعية والسياسية تأسست جمعيات كثيرة تمارس مختلف ألوان النشاط .. منها جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية (١٩٢٥) ، وكان يرأسها يوسف قطاوى باشا والجماعة الفنية اليهودية

بالقاهرة (١٩١٢) ، وجمعية بخور حوليم (١٩٠٩) ، والاتحاد الاسرائيلى بهوليوبوليس (١٩٢٢) واتحـــاد الشبيبة اليهودية (١٩٣٥) والجمعية الخيرية الاسرائيلية بالاسكندرية (١٨٨٥) ، والمبرة الاسرائيلية للمساعدات المدرسية للغــذاء والــكساء (١٨٩٤) وجمعية المــكابى الرياضية (١٩١٠) .

وفى سنة ١٩١٧ أسست الجــالية اليهودية جريدة (النهضة اليهودية) بالفرنسية ، وحلت محلها ـ بعــد خمس سنوات (المجلة الصهيونية) .. وفى سنة ١٩٢٠ صدرت (مجلة اسرائيل) فى ثلاث طبعات ، العبرية والفرنسية والعربية .. وصـــــدرت مجلة (الفجر) بالقاهرة سنة ١٩٢٤ ، وكان أول صدورها باستانبول سنة ١٩٠٨ وتوقفت ســــنة ١٩١٩ .. وصدرت مجلة (كاديما) الأسبوعية سنة ١٩٣٥ ، وفى الاسكندرية صدرت (الرسول الصهيونى) بالفرنسية سنة ١٩٠١ ، وفى سنة ١٩١٢ صـــدرت (مجلة مصر الاسرائيلية) بالفرنسية ، وصدرت مجلة (الشمس) بالعربية سنة ١٩٣٤ وكان لها اتجاه صهيونى بارز ، وصدرت جريدة (المنبر اليهودى) سنة ١٩٣٦ منبرا للحركة الصهيونية، وقد جاء فى عددها الصادر فى ٢٥ مارس سنة ١٩٤٢ بقلم المحامى فيلكس بنزاقين عضــو المنظمة الصهيونية الجديدة ، بعد زيارة للقدس .

(يا يهود مصر ، ان الشعلة عالية على جبل المكبر ، وقد أضـــاءت روحى ويجب أن تضىء أرواحكم .. ان الجامعة العبرية توجه اليكم نداء عاجلا لمدها بمعونتكم ، فلا تترددوا فى تقديم العون لها دون تحفظ ، فأنتم بهذا انما تقومون بأوجب الواجبات وأعظمها) .

وسيطرت على الاقتصـــاد المصرى خـلال الفترة ١٨٩٧/١٩٤٧ عائلات رولو وموصـيرى وعاداه وعـدس وقطاوى وشيكوريل وجاتينيو وجرين ومنشه ومزراحى وغيرها من العائلات اليهودية .

واذا كان يوسف قطاوى باشا قد تولى وزارة المالية فقد كان ابنه أصلان قطـاوى بك سكرتيرا عاما لمصلحة الأملاك الأميرية ، ومنـدوبا عن مصر فى شركة قنـال السويس ، ومندوبا للحكومة فى البنك الأهلى المصرى ، وتولى رئاسة (لجنة مدارس الطائفة اليهودية) ، وكان عضوا فى المحافل والمؤسسات الدينية اليهودية . . وشغل الابن الثانى رينيه قطـاوى بك مناصب فى كثـير من الشركات ، وكان عضوا بمجلس النواب عن دائرة كوم امبو ، وعضـوا بالجمعية الزراعية الملكية ، وعضوا بمجلس الطائفة ولجنة مدارسها ، كما كان من مؤسسى جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية .

وسيطر جوزيف موصيرى على معظم دور السينما فى القاهرة والاسكندرية والسويس وبور سعيد واحتـكر استيراد الأفلام الخام وبيعها وطبع الترجمة على الأفـلام الاجنبية .

وكان سلفاتور شـيكوريل بك رئيسا لمجلس ادارة مؤسسة شيكوريل وعضوا بمجلس الغرفة التجـارية المصرية ، وعضو البعثة الاقتصادية المصرية التى سافرت الى السودان لفتح مجالات أمام رءوس الأموال المصرية ، كما كان من مؤسسى جماعة أصدقاء الجامعة العبرية .

وفيكتور هرارى صار مديرا للحسـابات المركزية ، ومندوبا عن الحكومة المصرية فى لجنة اصلاح ميزانية

الأوقاف . كمـــا تولى رئاسة الجمعية المصرية للدائرة السنية ، وكان رئيسا وعضوا بمجالس ادارة عـــدد من البنوك والشركات .

وأدوين جعار كان رئيس جمعية التجار المصـــدرين بالاسكندرية ، ولجنة بذرة القطن ، ولجنة بورصة مينا البصل ، وفي الوقت نفسه كان نائب رئيس الطـــائفة الاسرائيلية بالاسكندرية ، وتولى أمانة الصندوق الدولى لحماية المرأة والفتاة لمدة ١٥ سنة .

وفى سنة ١٩٤٢ م - حين كان العداء للسامية على أشده - كان اليهود فى مصر يسهمون فى ادارة وتوجيه ١٠٣ شركة من مجموع الشركات البالغ عـــددها وقتئذ ٣٠٨ ، فضلا عن الاسهام في انشاء عدد كبير من المصارف والشركات المالية والائتمانية التى كانت تتولى تقـــديم القروض ، وبيع وشراء الأوراق المـــالية والمستندات ، وتتاجر فى العقـــــارات والأراضى الزراعيـــة ، وتمول المشروعات الصناعية والتجارية ... وأسهم الراسماليون اليهود فى انشاء عدد من شركات النقل البرى والبحرى .. وأسهموا فى الصناعات الزراعية وفى صناعة البناء ، وانتاج مواده ، واستغلال المحاجر .

وبرز عدد من اليهود فى ميادين الهنـــــدسة والطب والعلوم والزراعة ونالوا شهرة واسعة ، وحصلوا أموالا وفيرة وظل حاخام يهود مصر « دافيـــد ناحوم » عضوا بالمجمع اللغوى فى مصر حتى وفاته سنة ١٩٥٠ .

واستغل اليهود هذه السماحة المصرية لصالح الأطماع الصهيونية ، فأسست جمعيـــــة (بنى صهيون) سنة ١٩٠٨ ، التى اندمجت فى جمعية (زئير زيون) سنة

١٩٠٩ بالاسكندرية ، وقد شاركت هذه الجمعية بمجهود كبير فى تكوين (فرقة راكبى البغال) ، وأنشأت مكتبا للاستعلامات ، مهمته توطين اليهـــود فى فلسطين ، والدعوة الى الهجرة اليهودية ، وتسهيل مهمة المهاجرين أثناء مرورهم بمصر الى فلسطين .

وفى ١٢ اغسطس سنة ١٩١٨ أعلن البـــارون منشه وجوب تكوين لجنة الهدف منها لم شمل كافة الجمعيات اليهوديه من اجل الاهتمام بكل ما له صلة بفلسطين . وتدعيم الجامعه العبرية فى فلسطين ، والمساعدة على توطين اليهود وانشاء المستشفيات والجمعيات الخيريه .. وفى ١٤ أغسطس سنة ١٩١٨ دعت اللجنـــة حاييم وايزمان أثناء مروره بالاسكندرية ليلقى كلمة شرح فيها المتطلبات العـــاجلة للقضية الصهيونية ، وبين موقف المنظمة العالمية سياسيا واقتصاديا وعقـــائديا ، وكشف عن عدم كفاية التنظيمات القائمة على تحقيق الهدف ، وأوضح الوسائل الكفيلة بعلاج ذلك ... وعقب هـــذا أطلقت اللجنة على نفسها (اللجنة المشايعة لفلسطين) ، ودعت الى الاكتتاب ، فســــارع عدد كبير من يهـــود الاسكندرية الى التبرع ، وبلغت الاكتتابات الأولى فى بضعة أيام ١٠٠١٩ جنيها .

وفى نفس الوقت أسس (ليون كاسترو) أول فرع للمنظمة الصهيونية فى مصر وأصبحت جمعيـــة (زئير زيون) سنة ١٩١٨ فرع المنظمة الصهيونية العـــالمية فى الاسكندرية ، ثم انضم اليها أعضاء (اللجنـــة المشايعة لفلسطين) ، وأقامت المنظمة فرعا لها فى بور سعيد ، وفى القـــاهرة اتخـــذت مقرا لهـــا بشارع أبو السباع (جواد حسنى الآن) ، وأعلنت صراحة أن هدفها نشر

الدعوة الصهيونية بين جماهير اليهود ، والمساعدة على تأسيس الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، وسارع ليون كاسترو الى اصـــدار (المجلة الصهيونية) سنة ١٩١٨ لتكون لسان حال المنظمة ... وأنشأ فرع المنظمة فى مصر ــ بكل من القـــاهرة والاسكندرية وبور سعيد فرعا للصندوق القـــومى اليهودى (كيرن كايميت) ، يجمع تبرعات اليهـــود لشراء الأراضى فى فلسطين ، ويساعد على توطين العمال اليهود بها .

وتأسست سنة ١٩٣٢ الجمعيـــة المصرية لأصدقاء الدراسات العبرية برئاسة رودلف شالوم ، لتـــكوين العناصر القـــادرة على نشر الثقافة العبرية بين أبناء الطائفة ، وتزويدهم بالفكر الصهيونى .

واصبحت (المحافل اليهودية) منبرا صريحا للدعوة الصهيونية ، فيها تنظم اللقاءات ، وتلقى المحـــاضرات وتدبر المؤامرات .

وفى سنة ١٩٤١ تأسست (اللجنة اليهودية للترفيه عن البحارة والجنود والطيارين) لاقامة النوادى الترفيهية للجنود اليهود ، وتقديم المســاعدات الدينية والروحية والمادية .

وفى أواخر مارس سنة ١٩٤٢ حضر الى مصر اسحق بن زيفي ــ الذى صار رئيسا لجمهورية اسرائيل فيمابعد ــ وكان وقتئذ رئيسا للمجلس الوطنى اليهودى فى فلسطين ، وزاره الحاخام الأكبر وكبار أبناء الطـــائفة ، وعقد اجتماعا خاصا مع أعضاء المجلس الأعلى للطـــائفة برئاسة يوسف قطـــاوى باشا ، وناقش معهم جوانب المشـــكلة الفلسطينية ، وبين وجهة نظر المجلس الوطنى اليهودى .

وفى سنة ١٩٤٣ قرر ليون كاسترو أن يعيد تشكيل فرع المنظمة الصهيونية تحت اسم (الاتحاد الصهيونى المصرى) واتخذ له مقرا بشارع عماد الدين رقم ١١٦ ، وعندما انعقدت الجمعية العمومية للاتحاد الصهيونى فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٤٤ - بعد مقتل اللورد موين - ألقى كاسترو كلمة أكد فيها أن يهود الولايات المتحدة أصبحوا يعترفون بأنه لم يعد هناك ملجأ للشعب اليهودى الا ما حدده هرتزل ، ووجه نداء ليهود مصر أن يضاعفوا جهودهم من أجل الوصول الى هذا الهدف .

***

بعد ما استقال جابوتنسكى من الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية - فى يناير سنة ١٩٢٣ م - احتجاجا على سياسة (الكتاب الأبيض) - الذى صدر سنة ١٩٢٢ - متهما زملاءه فى المنظمة بفقدانهم الواقعية السياسية، لأنهم يسايرون بريطانيا ، مع أنها تسوف فى تنفيذ وعد بلفور - عاد ألبير ستراسلسكى الى مصر عام ١٩٢٩ ليؤسس فرعا لحزب (التصحيحيين) يبشر بدعوته المتطرفة ، ويحمل لواء المعارضة فى صفوف فرع المنظمة الصهيونية بمصر ، وأصدر جريدة سياسية أسبوعية باسم (الصوت اليهودى) بالقاهرة ، واتخذ مقرها منتدى للاجتماعات السياسية الصهيونية .. ولم يمض عام ١٩٣٦ حتى أنشأ (ستراسلسكى) فرعا آخر للمنظمة الجديدة بالاسكندرية ، وفرعا ثالثا ببور سعيد ، وشهد عام ١٩٣٧ نشاطا كبيرا على أثر نشر تقرير (لجنة بيل الملكية) بشأن العلاقات العربية اليهودية فى فلسطين -، اذ مر جابوتنسكى بالاسكندرية واجتمع بأعضاء المنظمة الجديدة ، وعقد مؤتمرا صحفيا بفندق سيسيل فى ٥

يولية سنة ١٩٣٧ ، تنـاول فيه المشكلة الفـلسطينية .
واعلن استنكاره لفكرة التقسيم ، واصرار المنظمة على اقامة دولة يهــودية فى الحدود التاريخية لاسرائيل ، وضرورة تنظيم الهجـــرة على نطاق واسع ، وأكد أنه لا يمكن الحصول على موافقة العرب الا بعد اقامة الدولة الصهيونية قسرا وجبرا ، وفرضها على معارضيها .

وافتتح (جاك سيد) مكتبا عقاريا بالاسكندرية ، وكيلا عن عـــدد من المؤسسات اليهودية فى فلسطين ، فى محاولة لتجريد العرب من أراضيهم .

وبعد أن أصبح فرع المنظمة فى مصر تابعا من الناحية التنظيمية لمكتب القـدس ، وللتوجيه الشخصى لرئيسه التمان ، حضر التمان سنة ١٩٤٢ الى القاهرة ، وعقـد اجتماعا بمنزل سيمون يانـكوفيتش بشارع نوبار باشا ، وناقش المشكلة الفلسطينية ، وخطـة المستقبل بالنسبة للوطن القومي اليهودى ، ومصير الجنود بعد تسريحهم من جيوش الحلفاء ، وفى سنة ١٩٤٣ ألقى التمان — فى مكتب الاســـتعلامات الصهيونى التابع للوكالة اليهودية بالاسكندرية — محاضرة عن مركز اليهـود فى ألمانيا ، وطالب بالعمل على تحرير اليهود فى ألمانيا ودول البلقان ، وجمع آلاف الجنيهات من أثرياء اليهود فى مصر .. وفى فبراير سنة ١٩٤٤ عقد التمان مؤتمرا صهيونيا كبيرا فى منزل المسيو روسانو بالاسكندرية ، أكد فيه أنه فى حالة فشل الصهيونية فى الحصول على مطـالبهم بالوســائل السلمية فانهم سيضطرون الى العنف وحمل السلاح .. وفى ١٩ ابريل سنة ١٩٤٤ اجتمع التمان بجورج جيز باشا وكيل حكمدارية الاسكندرية ، وهـــدد بأنه اذا لم تستجب الحكومة البريطـــانية لانشاء الوطن القـومى

اليهودى فى فلسطين ، فان الصهيونيين سيتكفلون بتحقيقها بوسائلهم الخاصة ، وانه هو شخصيا سيتقدم الصفوف ، ولم يملك جيز الا ان يقول : انه لا يعنيه الا الابتعاد بيهود مصر عن التورط فى مشاكل اليهود الفلسطينيين ، حتى لا يؤثر ذلك على علاقتهم بالشعب المصرى وحكومته .

ولما كانت تطورات الحرب العالمية فى بداية سنة ١٩٤٤ تشير الى انتصار الحلفاء ، أخذت المنظمة الصهيونية الجديدة تتحرك بدرجة عالية من التنظيم والتكتيك ، لاتخاذ الخطوات الكفيلة باعلان الوطن القومى اليهودى غداة انتهاء الحرب ... وعمد (ستراسلسكى) الى اعادة تشكيل فرع الحزب بالقاهرة باعتباره قومسيرا عاما ، وزعيما للجماعة فى مصر ، ودعا الى اجتماع فى مكتبه فى ٢٥ يونيه سنة ١٩٤٤ اقترح فيه تكوين هيئة الفرع ، وحرر محضرا بهذا الاجتماع الى الحاكم العسكرى فى مصر يطلب موافقته على تكوين الفرع .

وظل النشاط الصهيونى على أشده حتى مارس سنة ١٩٤٥ ، حين ألقى القبض على روفائيل سادوفسكى الذى كان أمينا عاما للمنظمة الصهيونية الجديدة وفى نفس الوقت كان عضوا فى الجماعة الارهابية (شترن) .. وبدأت خيوط التنظيم الصهيونى فى مصر تتكشف بعد أن اعترف سادوفسكى بأن ستراسلسكى سجل دفاع قاتلى اللورد موين فى جلسات المحاكمة ــ وهو الدفاع الذى منعت الحكومة اذاعته ــ واعطاه لأحد ارهابيى (شترن) ــ هو بنيامين جبنر ــ لتوصيله الى مركز العصابة فى فلسطين .

وظل ستراسلسكي ـ بصفته القومسيير العام للجماعة الصهيونية ـ يخاطب السفارات والمفوضيات ورؤساء الجاليات والمحافل الماسونية فترة طويلة ، حتى تم طرده من البلاد فى ٢٨ مايو سنة ١٩٤٥ .

***

هذا مجمل النشاط اليهودي الصهيوني في مصر ، التي كان يبلغ تعداد اليهود بها ٧٥ الفا حتي سنة ١٩٥٠ م ، فكيف بالمغرب التي كان بها ٢٢٥ ألفا ، وفي كل من العراق والجزائر ١٢٠ ألفا . وفي تونس ١٠٠ ألف ؟؟

وما ظنك بسماحة العرب بعد احداث ١٩٤٨ وقد زار مصر في ابريل سنة ١٩٥٥ الحاخام اليهودى المر برجر المدير التنفيذى للمجلس الأمريكي لليهودية ، فشهد أحسن حال لليهود فى مصر ، برغم الصعوبات والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت البلاد تعانى منها ، وقال : انه كان الأجدر بالأمريكيين ان يأتوا ليروا كيف يعيش ٥٠ ألف يهودى لهم ارتباطاتهم الانسانية والوطنية والتقليدية بمصر وتاريخها ...

اليهود فى أوروبا

لم يكن المجتمع المسيحى ليسمح لليهود بالاستقرار ، بسبب سوء الأخلاق اليهودية ، وحرص اليهود على امتصاص عرق الكادحين ، وعزلة اليهود المريبة فى (الجيتو) ، ولما بين اليهودية والمسيحية من صراع عقائدي ودموى منذ تآمر اليهود على المسيح .

لذلك ما ونيت الامارات المسيحية فى الجنوب والغرب الأوروبى عن ملاحقة اليهود ؛ ومطاردتهم فى اتجاه الشمال والشرق .

وابان الحروب الصليبية ، وتأريث الحماسة الدينية، ذبح عدد كبير من اليهود ، وبخاصة عقب سقوط القدس فى أيدى الصليبيين ، اذ يقدر عدد الذين ذبحوا فى المدينة المقدسة من المسلمين واليهود سبعين ألفا .

ويضيف بعض المؤرخين أن الصليبيين استعدوا لواجبهم المقدس خلال مسيرتهم عبر أوروبا — بأن ذبحوا اليهود فى كل مدينة مروا بها ، وأحرقوا بيوتهم ، فلما سقطت القدس ساقوا اليهود الى كنيسهم حيث أحرقوا ، على حين كان اليهود الأوروبيون من وراء الحملات الصليبية بالمال وتأريث روح العداء ضد الاسلام والمسلمين .

وليت رجال التاريخ يقـــارنون بين دخول المســلمين القدس فى عهد عمر ، ودخول هؤلاء الذين يحملون راية المسيح !!

وفى سنة ١٢٩٠ م قضى الانجليز على اليهــود جميعا بالنفى ، وتبعهم فى ذلك الفرنسيون وسرت العدوى الى شــعوب أوروبا الوسطى .. وبلغ الاضطهاد أشــده فى العقد الأخير من القرن الخامس عشر الميــلادى بأسبانيا والبرتغال .. ولم ينج من هذا الاضطهاد الجمـــاعى والملاحقة الشرسة سوى الجماعات الصغيرة فى ايطاليا .

كان تصوير الكنيسة لليهود فى أبشع صورة ذا أثر كبير فيما أصاب اليهود على أيدى المسيحيين .. فى عامى ١٣٤٨/١٣٤٩ م انتشر الموت الأسود فى أوروبا ، فاتهم اليهود بأنهم سمموا مجارى المياه ، فاشتدت حملة القتل والتشريد التى شنها المسيحيون عليهم ، بالرغم من محاولة البابا (كليمنس السادس) الدفاع عنهم بحجة أن الوباء من الله ، وأنه أصاب اليهود كمـــا أصاب غيرهم .

يقول المؤرخ اليهودى الفرنسى جول ايزاك : انه من المألوف اذا طلب طفل يهودى فى المدرســة من طفــل مسيحى أن يلعب معه أن يرد عليه الطفل المسيحى قائلا : كلا ، انكم قتلتم المسيح ...

بمعنى أن المسيحيين ارضعوا أبناءهم الكراهية والحقد والرغبة فى الثأر من اليهود .. ولهذا يروى المؤرخ ذاته أن أسرة مسيحية ايطالية كانت تحذر ابنها بقولها له : اياك أن تعرف سكان الدور الأول ــ اليهود ــ أو تدخل شقتهم ــ والا خطفوك وذبحوك كما فعلوا بالمسيح .

ولقد تفنن الألمان فى تعذيب اليهود ، فكانوا يجردونهم من ملابسهم ، ويخزونهم بالشوك ، ثم يسوقونهم جماعات الى حفر يحشرونهم فيها ، ويغطونهم بالحطب ، ويشعلون النار ...

وحرم على المسيحى طعام اليهودى ، ولم يكن يجوز لليهودى فتح أبواب مساكنهم ونوافذها ، كما لا يجوز عدم السير فى الطرقات أيام الأعياد المسيحية ، ويجب على اليهودى أن يغطى راسه بقبعة مدببة من أعلى تمييزا له .

وظل اليهود عرضة للتقتيل والحرق والتشريد حتى جاء فريدريش الثالث (١٤٤٠/١٤٩٣ م) فشعر بعبء الضائقة المالية التى تعانيها البلاد بسبب القيود التى فرضتها الكنيسة والرأسماليون من المسيحيين ، فأعلن حمايته لليهود ، ومنحهم كثيرا من الأمان ، ولكن ما لبث ان وجد طفل لم يتجاوز الثانية قتيلا بايطاليا سنة ١٤٤٥ م واتهم اليهود بقتله ، فانقض المسيحيون عليهم تقتيلا وتنكيلا .

وحدث أن مجلس مدينة نورمبرج تقدم فى سنة ١٤٧٣ م برجاء الى القيصر فريدريش الثالث أن يطرد جميع اليهود من مدينتهم ، فأهمل القيصر الرجاء ، فلما جاء مكميلان الأول (١٤٩٣/١٥١٩ م) أصدر فى يوليه سنة ١٤٩٨ م قرارا باجابة هذه الرغبة ، وطرد اليهود نساء ورجالا عن المدينة ، وأخذت المدن الأخرى تتسابق فى التخلص منهم .

وفى ٣١ مارس سنة ١٤٩٣ أصدر فرديناند وايزابيلا بإسبانيا مرسومهما الشهير الذى يعد بحق وثيقة الوحشية

والهمجية ، ففتكوا بالمسلمين واليهود فتكا ذريعا ، فهام اليهود على وجـوههم تاركين وراءهم كل ما يملكون ، وعادوا من حيث اتوا الى أحضان الاسلام فى المشرق العربى .

واستمرت الحملات العـدائية بين مد وجزر حتى ظهرت فى المانيا سنة ١٨١٩ جمعية (هب هب) تهاجم اليهود (ملوك العصر) الذين أعتصروا ثروات الشعوب، وامتصوا دماء الأبرياء .. وفى سنة ١٨٨١ كانت رائحة الدخان تنتشر من البحر الأسود الى بحر البلطيق ، اذ كانوا يحرقون اليهود وبيوتهم وكتبهم .. وحددت لهم روسيا مناطق لا يخرجون منها ، والزمتهم الخـدمة العسكرية خمسة وعشرين عاما .

يقول باركس : لقد كان معتقدا ان اليهودى يطاب دم المسيحى لأغراض الطقوس الدينية ، وأنه يسرق أطفال المسيحيين ، ويسمم الآبار ، وينشر الأمراض وكان فى ذاكرة عامة أوروبا أن اليهـود يمتصون جهود البلاد الاقتصادية ، ويمثلون الطرف الخبيث الخطـر الذى يسعى أبد الدهر لتحطيم المسيحية .

ويقول توينبى : لقد أصدر مجمع طليطلة الكنسى المنعقد بامر من الملكة ايفيكا سنة ٦٩٤ م (ان جميع اليهـود يعتبرون عبيدا لأسـيادهم المسيحيين ، وعلى هـؤلاء الأسياد أن يمنعوا اليهـود من ممارسة أى طقس من الطقوس الدينية ، وتصادر جميع أموال اليهود لصالح خزانة الدولة ، وينتزع منهم أولادهم بعد بلوغهم السابعة من عمرهم ، ويربون تربية مسيحية) .

اليهود والقرآن

مع هذا البون الشاسع بين ما لقى اليهود فى المجتمع الاسلامى والمجتمع الأوروبى فان طبع اليهود الخبيث أبى الا ان يكيد للاسلام فى مقدساته ما وسعه الكيد . .

حاول اليهود تحريف القرآن ، كما حرفوا التوراة والانجيل ، لكن الله صان قرآنه بفضل حرص المسلمين على حفظه فى الصدور وفى الكتب ، وبفضل العناية الكبيرة التى أحاطت بالنص القرآنى . منذ عهد الرسول الى اليوم ، حتى انبثقت عنه معظم العلوم الدينية والعربية ، واتسعت به حضارة كبرى ما تزال تعمل عملها فى الحياة الانسانية قاطبة .

وحاولوا تزييف الحديث النبوى الشريف ، بافتراء القول على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وسيلة لتمييع المفاهيم القرآنية ، فنهض عماء المسلمين يتحرون الصحيح من الأحاديث ، وينقونها من الأوشاب، ويبعدون عنها الدخيل ، ولقوا فى هذا السبيل ما لقوا من مشاق السفر والاتصال بالرواة العدول .

وقد روى عن الامام البخارى قوله : (حفظت مائتى الف حديث مكذوبة على رسول الله ، ومائة الف حديث

صحيحة عن رسول الله ، قد اخذت منها سبعة آلاف حديث فقط ، ورددت الباقى) .

وكان الامام البخارى لا يتلقى الحديث الا بعد أن يصاحب راوى الحديث ليقف على خلقه ومروءته وتدينه، فان وجد عنده حدثا فى مروءته أو خلقه أو تدينه انصرف عنه ، ولم يأخذ الحديث .

وما اكثر الاسرائيليات التى تسللت الى تفسير القرآن عن طريق مسلمى اليهود ، بسبب مشاركة القرآن للتوراة فى كثير من أخبار السابقين ، لكن ما لبث الوعى الاسلامى أن أدرك هذا الفكر الدخيل ، فنبذه ، وأخذ يخلص التفسير منه .. وفى السنوات الأخيرة طبعت اسرائيل قرآنا حرفت فيه الآيات التى تتناول اليهود ، على وفق سياستهم الاجرامية ، ووزعته بين شعوب أفريقيا وآسيا وبعض شعوب أوروبا .. فنهض العالم الاسلامى كله فى وجه هذه المؤامرة الدنيئة :

– أصدر شيخ الأزهر بيانا للعالم كله يندد بهذه الجريمة .

– تم الاتصال بالشعوب الاسلامية ، فجمعت النسخ المحرفة واحرقت .

– أعدت وزارة الأوقاف المصرية ترجمة دقيقة للقرآن ، يطلع عليها من شاء من العلماء الأجانب .

– طبعت هيئة اذاعة مصر العربية مسجلات صوتية للقرآن الكريم ، ونشرتها بين الاذاعات الاسلامية ، وانشأت محطة ارسال باذاعة القرآن الكريم طوال النهار وجزءا كبيرا من الليل .

ـ قام المجلس الأعلى لرعاية الشئون الاسلامية بطبع اسطوانات وافرة من المصحف المرتل ، وأهدت نسخه الى اذاعات الأقطار الاسلامية .

ـ تقوم (دار القرآن) فى مصر بطبع المصحف (تسجيلا على الاسطوانات والأشرطة والورق) ، وبطبع دراسات قرآنية وتفسير وحديث واحياء تراث .

وسارت بعض البلاد العربية والاسلامية في هذه الطريق ، مما كشف عن وعى اسلامى قادر على الوقوف فى وجه التيارات المعادية .

اليهود والصهيونية

جاء في وثيقة الاستقلال التى أعلنتها اسرائيل فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ م : (أن دولة اسرائيل ستشجع تقدم الدولة ورقيهـا ، بما فيه صالح كل السكان ، وسيكون اساسها الحرية والعدالة والسلام . كما جاء فى أقوال أنبياء اسرائيل ؛ وستدعم النظام الاجتماعى والسياسى بالمساواة التامة بين كل المواطنين ، بدون تفرقة بسبب الدين او العنصر أو الجنس ، وستضمن حرية الأديان والعقائد والتعليم والثقافة ؛ وستحافظ على الأمن والاستقرار فى الأماكن المقدسة لكل الأديان ، وستخلص فى تحقيق أهداف ميثاق الأمم المتحدة) .

وقبلت اسرائيل فى عضوية الأمم المتحدة عام ١٩٤٩ بعد أن قطعت على نفسها عهداً بأن تمتثل للقرار رقم ١٩٤ الذى تبنته الجمعية العامة فى ديسمبر سنة ١٩٤٨ ؛ والذى يقضى بعودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم .

كذلك ؛ فان اتفاقية جنيف الرابعة والمتعلقة بمعاملة المدنيين فى الأراضى المحتلة . تمنع ايقاع أية عقوبات جماعية ، فقد نصت المادة ٤٩ من تلك الاتفاقية على انه لا يجوز نقل أو ابعاد الأشخاص من الأراضى المحتلة الى اى منطقة أخرى لأى سبب كان ، كما لا يجوز

لسلطات الاحتلال أن تنقل أى قسم من سكانها الى الأراضى المحتلة .

ونصت المادة ٥٣ من الاتفاقية على حظر قيام سلطات الاحتلال بتدمير الممتلكات فى الأراضى المحتلة بأى شكل من الأشكال .

ومع ذلك ..

نتصفح محاضر جلسات الكنيسنت ، فنجد السيد اسعد قسيس النائب العربى فى الكنيست يندد — فى يوليه سنة ١٩٥٣ — بالاستيلاء على أراضى المزارعين العرب لصالح مستعمرات الكيبوتز ، والذين بقيت الأرض فى أيديهم يصرخون ويستنجدون لتخفيف الضغط الاقتصادى المفروض عليهم .

وفى ١٥ يونيه سنة ١٩٦٢ م نشرت صحيفة الاتحاد الاسرائيلية أن نائبا شيوعيا — وهو اميل حبيبى — هاجم فى الكنيست سياسة سلب الأراضى من الفلاحين العرب .

ونشرت صحيفة المرصاد الاسرائيلية فى ١٢ اكتوبر سنة ١٩٦٢ م أن النائب يوسف خميس قدم فى الكنيست الى وزير المعارف استجوابا طالب فيه ببيان الأسباب التى حدت به الى اقفال مدارس عرب السواعد ، مما يتعارض مع قانون التعليم الالزامى .

وعمدت دولة سرائيل بوسائل مختلفة الى القضاء على القومية العربية ، واذابة العرب فى الكيان الاسرائيلى ، أو نبذ العرب عن الكيان الاسرائيلى ، بطريق القتل الجماعى ، والتهجير الجماعى ، والاستيلاء

على الأماكن المقدسة فى القدس والخليل وبيت لحم .. بل وحرق الأماكن المقدسة وتخريبها .

وسنت قوانين ضد الأقلية العربية صاحبة الأرض ، من أجل تضييق الخنـــاق عليها ، واضطرارها الى الهجرة .

ويلاحظ ان هذه القوانين من جملة التركة التى ورثتها اسرائيل عن حكومة الانتداب البريطانية ـ (١٩٢٢ / ١٩٤٨ م) ـ وهذه القوانين وضعت فى الأصل لمجـابهة المنظمات والأفراد ، يهودا وعربا ، مما كانوا يعارضون الحكم البريطانى ، كانت أولا لسحق الثورة العربية ـ (١٩٣٦/١٩٣٩) ـ وجرى تعديلهـــا ، واستخدمت عام ١٩٤٥ ضد المنظمات الارهابية اليهودية .

هذه القوانين تضم ١٧٠ مادة ، مقسمة ٥٠ فصلا ، تتركز جميعها على الكيفية التى يمكن بواسطتها التحكم في نشاط السكان العرب فى اسرائيل ، وتقضى بفرض القيود على حرية التنقل داخل البلاد ، وداخل المنطقة الواحدة ، وتخول وزير الدفاع تعيين حكام عسكريين فى المناطق التى يختـــار ، ولهؤلاء العسكريين مطلق الصلاحية لتطبيق جميع القيود ، بالشكل الذى يرونه مناسبا ، وبوسع الحاكم العسكرى ـ بمجرد اصدار أمر ادارى ـ أن يضع أى فرد تحت مراقبة الشرطة ، وأن يحول بينه وبين مباشرة مهنته ، وأن يعتقله بدون ابداء أسباب زمنا غير محدد ، وله أن يبعده عن البلاد ، وأن يصادر ممتلكاته ، أو ينسف منزله ، اذا ما اشتبه فى أن عيارا ناريا أطلق منه .

ويلاحظ أن احد المحامين اليهود علق في مؤتمر المحامين

اليهود المنعقد فى تل أبيب سنة ١٩٤٦ على هذه القوانين بقوله : (ان هذه الأنظمة والقـــوانين تناقض المبادىء الأساسية للعدالة والفقه القانونى ، فهى تمنح السلطات الادارية والعسكرية سلطة ايقاع عقوبات غير قابلة للنقض بأى شكل من الأشكال ان هذه القوانين تحرم الأفراد جميع حقوقهم ، بينما تمنح السلطة الحاكمة صلاحيات لا حد لها) .

وقال ياكوف شابيرو الذى أصبح وزيرا للعدل بعــد ذلك : (ان الوضع الذى نشأ فى فلسطين بعد تشريع مجموعة القوانين الدفاعية ليس له مثيل فى أى مجتمع متمدن ، اذ لم توجــد هذه القـــوانين حتى فى المانيا النازية) .

هذا .. مع ان القوانين . تطورت الى ما هو أشد خطرا ، وأعنف جرما .

وعن طريق هذه القوانين امكن مصادرة ما لا يقل عن مليون دونم من أراضى العرب فى اسرائيل .

قال أحد عرب الجليل : انهم يستولون على اراضينا، وعندما نسألهم عن السبب يقـــولون لأسـباب تتعــلق بالأمن .

وعندما نســـألهم كيف يمكن أن نكون نحن واملاكنا ووظائفنا خطرا على الدولة ، لا يجيبون ، فان سألناهم عن صمتهم ، قالوا : ان ذلك الأسباب تتعلق بالأمن .

فى سنة ١٩٥٩ م أثير جدل حول شرعية القـــــوانين الدفاعية ، وخاصة المادة ١٢٥ المتعلقـــــة بتقييد حرية التنقل ، فأصدرت الجهات المعنية فى الدولة بيانا تضمن

ما يلى : (فى حالة ما اذا أصدر الحاكم العسكرى أمرا باعتبار منطقة ما منطقة مقفولة ؛ فهذا الأمر ينطبق من الوجهة النظرية على جميع المواطنين ذكورا واناثا ؛ سواء كانوا من سكان المنطقة المعنية ، ام لا ؛ وعلى هذا الأساس فان أي شخص يدخل أو يغادر منطقة مقفولة دون تصريح خطى صادر عن الحاكم العسكرى ؛ فانه يعتبر مقترفا لفعل جرم ، ومن الناحية العملية لا يفترض فى المواطنين اليهود الحصول على مثل هذه التصاريح ؛ لذا لا يعتبرون مرتكبين لأى فعل جرم ، اذا ما أخلوا بأحكام المادة ١٢٥ ، ان هناك شيئا شاذا فى هذا القانون الذى وضع فى الأصل ليطبق على جميع السكان ، ولكنه لا يطبق فى الواقع الا على فئات معينة منهم) .

ولم يقتصر الأمر على هذا التمييز العنصرى وعلى وسائل الابادة والتهجير — فان اليهود زودوا بمعدات زراعية متقدمة ، وظلت الأموال تتدفق عليهم من أوروبا وأمريكا ، فأتاحت لهم استخدام تقنيات زراعية ، لا قدرة للعرب — الذين فرض عليهم الاستعمار الفقر والجهل — أن ينهضوا لمنافستها .. هذا الى أن الرى توزع مياهه بطريقة ساعدت على زيادة الأرض المروية فى القطاع اليهودى — ما بين عامى ١٩٤٨/١٩٦٩ — من ٦٩ الف هكتار الى ١٦٤ ألفا ، بينما زادت فى القطاع العربى من ٨٠٠ هكتار الى ٤١٠٠ هكتار ، برغم مضاعفة الجهود العربية .

ويضاف الى هذا التفرقة الظالمة فى الاجور ، فعند تساوى المؤهلات والجهود يتراوح الفارق بين العامل اليهودى والعامل العربى من ٣٠ الى ٥٠ فى المائة .

ثم ان التضييق فى التعليم — كوسيلة للاستعباد أو التهجير — يتمثل فى قول أورى اورباني مستشار رئيس الوزراء للشئون العربية : (لا ريب أن من الأفضل الا يكون هناك طلاب عرب ، ولكن هناك أشياء لا تتوقف علينا، ولا نستطيع تجنبها ، وينبغى علينا أن نبحث عن طريقة لتقليل الأضرار) .

فاذا لاحظنا ان ٤ ٪ فقط من الطلاب المتقدمين لامتحان البكالوريا فى اسرائيل يدرسون اللغة العربية كلغة ثانية — عرفنا كيف يريدون ان يمحوا من اذهان الفلسطينيين اى ذكرى عن ثقافتهم وتاريخهم .. فالطلاب العرب يجبرون على دراسة التاريخ اليهودى بصورة أوسع مما يدرسون تاريخهم ، والوقت المخصص لدراسة الكتاب المقدس يبلغ سنة أمثال الوقت المخصص لدراسة القرآن .

ومجمل السياسة الاستعمارية العنصرية القائمة على مبادىء الأرض العبرية والعمل العبرى والثقافة العبرية — قد كشف عنه موشى ديان سنة ١٩٦٧ م ، حين سئل عن مقدرة اسرائيل على استيعاب السكان العرب فى حالة ضم الأراضى المحتلة بقوله : (اننا قادرون على ذلك من الناحية الاقتصادية ولكننى أعتقد أن هذا لا يتمشى مع خططنا المقبلة ، ذلك يؤدى الى وجود دولة يهودية مزدوجة القومية ، دولة عربية يهودية ، ونحن نسعى الى دولة يهودية) .

البذور الخبيثة تنمو :

قد نقول ان الحكومة الصهيونية ثمرة مشكلات ثلاث

واجهت أوروبا ابان القرن التاسع عشر :

١ - نمو وتوسع الامبريالية الاوروبية ، والعمل على حماية خطوط المواصلات التجارية والعسكرية .. ودليل هذا حملة نابليون (١٧٩٧/١٧٩٩) على مصر والشام ، ووقوف انجلترا فى وجه الأسطول الفرنسى ، لأنه يشكل تهديدا فى طريق بريطانيا الى الهند ، ثم خوف أوروبا من نشوء دولة مستقلة تضم مصر والمشرق العربى تحت راية محمد على ، فكان التضامن الأوروبى لخنق هذه الدولة الناشئة .

٢ - اقتران فشل الليبرالية الأوروبية وأفكار المساواة والديمقراطية فى دمج واستيعاب اليهود ، مع أزمة الرأسمالية فى أوروبا الشرقية ، عقب نشوء النظام الاقتصادى الرأسمالى ، مما نتج عنه فقدان عدد كبير من اليهود مهنهم ، بسبب عجزهم عن التكيف بسهولة مع تغير النظام الاقتصادى الاقطاعى .

٣ - انتشار النزعة القومية العدوانية التى أكدت على الصفات العنصرية والتفوق القومى والحاجة الى التوسع عبر البحار لزيادة المجال الحيوى ، وتدعيم النفوذ الاستعمارى .

كل ذلك ساعد على خلق فكرة انشاء دولة تابعة يسكنها اليهود فى فلسطين ، تكون عائقا دون وحدة الشعوب العربية ، وتكون عامل امتصاص لقواها .. وقد دعم هذه الفكرة أصحاب الملايين من اليهود الغربيين .

وأخذت الجريمة طريقها على النحو الآتى :

ابان حملة نابليون على فلسطين سنة ١٧٩٩ م ، وجه

القائد الفرنسي نداء لاعادة بناء هيكل القدس ، وعودة اليهود الى فلسطين .

نشرت (المونتير) - الناطقة بلسان الحكومة الفرنسية - في الثاني والعشرين من آيار سنة ١٧٩٩ م : (لقد أمر نابليون باصدار منشور يدعو فيه جميع يهود آسيا وافريقيا الى الانضمام الى بيارقه ، من أجل بناء مدينة القدس القديمة ، وقد جند في جيشه عددا كبيرا منهم ، وها هي كتائبهم تهدد مدينة حلب) .

اتخذ نابليون من دعوة تجميع اليهود وسيلة لتدعيم جيشه ، وتيسير وجوده الاستعماري .

وللسبب نفسه قرر البريطانيون سنة ١٨٣٨ م تعيين مستشار لهم في القدس ، وافتتحوا أول قنصلية في هذه المدينة ، وخلال عشرين عاما تقريبا وثقت بريطانيا علاقتها باليهود في فلسطين - وكان عددهم حوالى ٩٧٠٠ نسمة - ومع الدروز في لبنان ، ومع الكنائس البروتستانتية حديثة العهد .

ومن ثم ارتبط الوجود البريطاني بتعزيز العلاقة بالأقليات ، اذ يمكن تطويع مآربهم وأطماعهم للأهداف الاستعمارية ، ولهذا أصبحت المصالح اليهودية من المهام الرئيسية للقنصل البريطاني في القدس .

شرح بالمرستون وزير خارجية بريطانيا - في رسالة وجهها الى السفير البريطاني في القسطنطينية - لماذا ينبغي تشجيع السلطان العثماني هجرة اليهود الى فلسطين ، بقوله : (ان عودة الشعب اليهودي بموافقة وحماية ودعوة السلطان سوف تجعله يقف حائلا دون اية مخططات شيطانية مقبلة لمحمد علي أو لخليفته) .

واستعمل بالمرستون عبارة (الشعب اليهودى) فى وقت كان فيه اليهود البارزون أنفسهم يستخدمون عبارة (الجاليات اليهودية) . كمـــا استخدم كلمة (عودة) اشارة الى تاريخ توقف نموه ألفي عام .. ولعل قول ايرل اوف شافتسبرى ـ اليهودي ـ لبالمرستون (ان الوزير ارسل من قبل الله لارجاع اليهود الى فلسطين) ـ يعطى دلالة خاصة ، اذا تذكرنا أن هذا القول كان أثناء حرب انجلترا لمحمد على سنة ١٨٤٠ م .

هذا على حين كان السير موسى مونتفيور ـ محـافظ لندن ـ اليهودى ـ قد طلب من محمد على سنة ١٨٢٧ تأسيس شركة ، على (أمل توطين بضعة آلاف من أخوتنا فى أرض اسرائيل) .

وكل الطرق توصل الى (القدس) !!

خيوط رفيعة تنمو وتنمو لاقامة حاجز بشرى ودولة يهودية استيطانية ، يدعمها عدد كبير من الشخصيات البريطانية ، ابتداء من بالمرستون الى ونستون تشرشل .

وفى ظل شق قناة السويس ، واحتلال بريطانيا لقبرص ومصر ، وانتشار النزعة القــومية التعصبية فى وسط أوروبا . وانتشار معاداة السامية فى شرق أوروبا ، ثم فى غربها ـ تحركت البذرة فى رحم الامبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس .

وتحركت منظمات كثيرة تغذى البذرة وترعاها .

ومن أهم هذه المنظمات : الاتحاد الانجليزى اليهودى .. والجمعية البريطانية والأجنبية للعمل على اعادة الدولة اليهودية فى فلســـطين .. وجمعية تشجيع الاستيطان

اليهودى فى فلسطين .. وجمعية تشجيع العمل الزراعى اليهودى فى الاراضى المقدسة .

وتأسست (الجويش كرونيكل) لتكون (أداة هامة لنشر فكرة استيطان فلسطين فى الاوساط اليهودية) .

وفى عام ١٨٦١ قامت (الجمعيــة العبرية اللندنية لاستعمار الاراضى المقدسة) بدور بارز .. واسست مع جمعية (محبو صهيون) بضع مستعمرات يهـودية فى فلسطين .

ورفعت الجماعات الصهيونية شـعارا مؤداه : (انه لا يمكن ممارسة حياة يهـودية صحيحة فى اى مجتمع خارج فلسطين) .

وفى أعقاب حرب القرم تجدد الاهتمام ـ بشكل عام ـ من أجل مد النفوذ الفرنسي الى المشرق ، ودعا عدد كبير من كتاب فرنسا لحماية منطقة لبنان المسيحية المستقلة ، وحماية منطقة يهودية مستقلة فى فلسطين .

وطن قومى لليهود :

راجت دعوة موريس هيس (١٨١٢/١٨٧٥) أن على اليهود أن يتجنبوا الاندماج ويؤكدوا تفردهم (باعادة اقامة مركزهم القومى فى فلسطين) ، بسبب ما أصاب اليهود فى المجتمعات المسيحية .

ففى سنة ١٨٨١ أغتيل القيصر الروسي اســـــكندر الثانى ، وتبع ذلك انتشار المذابح المعادية لليهود ، من اجل تحويل نقمة الشعب على الحكم الجائر الى اليهود .. وقد أدى هذا العدوان الى هجرة يهودية واسعة الى

اوروبا ، فعجلت بانهيــــار حركة الاندماج (١) ، وحلت محلها حركة (احيــاء صهيون) .. فتشكلت فى المراكز اليهودية جمعيات أخذت تناقش مسألة توطين اليهود فى فلسطين ، كمشروع عاجل يتحقق فى المستقبل القريب ، وبعث اللغة العبرية لتكون لسانهم المعبر ...

ونهضت عائلة روتشيلد (٢) اليهودية البــالغة الثراء بتوفير الدعم المالى من أجل تحويل الهجرة اليهودية الى فلسطين ، بدلا من أوروبا ، لتجنب الآثار الوخيمة التى قد تؤرث العداء للسامية ، وامتصاص السخط التقليدى على اليهود ، وتحويله الى عطف واشفاق ، ولربط اليهود بالمصالح الامبريالية المتسعة فى الشرق الأوسط،وبخاصة بعد افتتاح قناة السويس .

وكان الزعيم البولندى كاليشير (١٧٩٥/١٨٧٤) أول من طلب الى عميد أسرة روتشيلد فى فرنسا أن تعــاونه على شراء أرض بالقرب من مدينة حيفا (٣) ، وقــامت الشركة العالمية اليهودية الاستعمارية التى أسسها البارون هيرش سنة ١٨٩١ م باعادة تنظيم المستعمرات التى ينفق عليها البارون ادمون دى روتشيلد بسخاء .

ولم يقف الأمر عند سخاء عائلة روتشيلد ، فقد كان

---

(١) أنظر « الاصلاحيون » من الفرق اليهودية ص ١٥١ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٢) يقول هرتزل فى روتشيلد : انه « أعظم قوة فعالة يمتلكها شعبنا منذ تشرده » ..

(٣) بعد انشاء اسرائيل أصبحت أسرة روتشيلد تسيطر على ٧٠٪ من البنوك الاسرائيلية ، و ٦٠٪ من صناعة السياحة ، و ٥٠٪ من مزارع الكروم وظلت الاسرة قاسما أعظم فى تمويل كل المشروعات الكبرى .. ويجب الا ننسى أن هذه الاسرة قاسم أعظم فى كل شركات البترول العاملة فى البلاد العربية !!

صندوق الجباية الاستعمارى اليهودى قد تأسس فى انجلترا وتلقى فى السنة الأولى من انشائه ربع مليون جنيه ، وكان الصندوق القومى الذى أنشىء لامتلاك الأراضى فى فلسطين قد تأسس سنة ١٩٠١ ، كما كانت المستعمرات اليهودية على اتصال بالشخصيات والهيئات اليهودية فى جميع انحاء أوروبا وأمريكا .

ولما كانت قضية دريفوس (١٨٩٤) الضابط الفرنسى اليهودى الذى اتهم بالخيانة ، ورحل الى غيانا — سارت المظاهرات المعادية لليهود مما دعم موقف المنادين بعدم الاندماج ، ولقد شهد الصحفى النمسوى (تيودور هرتزل) احداث هذه القضية ، فتحول من داعية الى امتزاج اليهود بالمجتمع المسيحى الى نبى للصهيونية .. فقد رأى أنه اذا كانت فرنسا بلد الحريات يمكن أن تهب عليها عاصفة من هذا النوع ، فمن الممكن أن تتخذ معاداة السامية أشكالا أشد عنفا وقسوة فى بلاد اوروبا . وأصدر كتابه الشهير (دولة اليهود) سنة ١٨٩٦ ، فأثار اهتمام العناصر النشطة من دعاة الصهيونية فى مختلف بلاد العالم الغربى، وتمكن هرتزل من عقد أول مؤتمر صهيونى فى بازل (سنة ١٨٩٧) ، وفى خطاب الافتتاح قال : (اننا هنا لنضع حجر الأساس فى بناء البيت الذى سوف يؤوى الأمة اليهودية) ، واقترح برنامجا يدعو الى تشجيع القيام بحركة هجرة منظمة واسعة النطاق الى فلسطين ، والحصول على اعتراف دولى بشرعية هذا التوطن ، وانشاء منظمة دائمة لضم صفوف يهود العالم أجمع وراء القضية الصهيونية .. وانتهى المؤتمر بوضع الأسس التى تقوم عليها المنظمة الصهيونية العالمية ، كما وضعت البروتوكلات المشهورة — (بروتوكلات حكماء

صهيون) — التي رسمت الطريق أمام اليهود للسيطرة على العالم .. وانتخب هرتزل رئيسا للحركة الجديدة .

وقد حرص الصهاينة — عند اعلان مقرراتهم — على عدم ذكر البلد الذى سينشئون فيه دولتهم ، وسيلة الى اللعب بأوراق متعددة ، وتلافيا للخلافات التى نشأت بين أعضاء المؤتمر ... فلمـــا عرضت عليهم الحكومة البريطانية موطنا فى شرق افريقيا (أوغندة) سنة ١٩٠٣ رفض المؤتمر الصهيونى السابع (١٩٠٥) هذا العرض ، وأصبح الاعلان عن فلسطين هدفا للحـــركة الصهيونية ومحورها ضرورة عملية (١) .

يقول الدكتور ناحوم جولدمان فى محاضرة له بمدينة مونتريال بكندا سنة ١٩٤٧ : لم يختر اليهود فلسطين (لمعناها التوراتى والدينى بالنسبة لهم ، ولا لأن مياه البحر الميت تعطى بفعل التبخر ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن ، وليس أيضا لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعـــادل عشرين مرة مخـــزون الأمريكتين مجتمعتين ، بل لأن فلسطين هى ملتقى طرق أوروبا وآسيا وأفريقيا ، ولأن فلسطين تشكل فى الواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لـكل قوى العالم ، ولأنها المركز الاستراتيجى العسكرى للسيطرة على العالم) .

ملاحظة هامة :

من الجدير بالذكر أن اليهود لم يكونوا جميعا صهاينة، فقد كان الكثيرون ضد هـذا الاتجاه الاستعمارى ، وان

---

(١) أنظر ص ٦٦ .

كانوا مسوقين الى تأييده ، أحيانا خوفا من التهديدات الصهيونية .

فقد رفض الجناح الاصلاحى هذه العقيدة ، وقرر مؤتمر الحاخامات فى فرانكفورت (٥ / ٢٨ يولية سنة ١٨٤٥) أن يرفع من الطقوس (الصلوات من أجل العودة الى ارض الآباء ، ومن أجل استعادة الدولة اليهودية .

وأقر مؤتمر فيلادلفيا (٣ / ٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩) أن (الهدف الالهى لاسرائيل ليس هو استعادة الدولة اليهودية القديمة ، تحت حكم أحد خلفاء داود ، وهو ما يستلزم أن ينفصل اليهود للمرة الثانية عن أمم الأرض ؛ وانما الهدف هو اتحاد جميع أبناء الله فى الاعتراف بوحدة الله بما يحقق وحدة جميع المخلوقات العاقلة ؛ ودعوتهم الى القداسة الروحية) .

وأكد مؤتمر لنسبرج (١٦ / ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٥) على : (نحن لا نعتبر أنفسنا من الآن أمة ، وانما نحن مجتمع دينى ، ولهذا لا نقبل العودة الى فلسطين ، ولا التعبد بالقرابين وراء أبناء هرون ، ولا استعادة أى من القوانين الخاصة بالدولة اليهودية) .

وظهر الاحتجاج الرسمى فى (الجريدة الألمانية) لليهود فى ١٦ يولية سنة ١٨٩٧ ممهورا بامضاء مجلس الحاخامات ، جاء فيه : (ان محاولات الصهاينة لارساء أساس دولة قوية يهودية فى فلسطين تتعارض مع الدعوة اليهودية كما وردت فى الكتاب المقدس ، وفى الوثائق الدينية بعد ذلك) .

---

(١) انظر ص ٧٦ وما بعدها من هذا الكتاب .

وانتقد اوری ماجنس بعنف الدعوة الصهيونية بقوله (لندن سنة ١٩٠٥) : ان الدكتور هرتزل ومن يقفون الى جانبه خونة التاريخ اليهودى ، الذى قرأوه وفهموه بطريقة خاطئة ، وهم أنفسهم جزء من صانعى سياسة العداء للسامية التى يعترفون بأنهم يذبحونها ، اذ كيف تستطيع البلاد الأوروبية التى يعتزم اليهود تركها أن تبرر استبقاء اليهود ؟ ولماذا بذل اليهود مجهودات شاقة لكسب المساواة الدينية ، اذا كانوا هم انفسهم أول من سيتخلون عن مكانهم ، ويكتفون بكرم الضيافة ؟!

وقد يترتب على هذا الموقف — كما يقول ييجر (برلين سنة ١٩٠٥) — أن سحب الحقوق المدنية (يبدو انه الموقف الضرورى الذى يلزم أن يتخذه التشريع الألمانى ضد الصهيونية ، والرد الوحيد الذى يمكن أن يصدر عن الضمير القومى الالمانى) !!

وكتب «أشادهاعام» سنة ١٨٩٧ م : (ان اليهودية لاتحتاج فى الوقت الحاضر الا الشىء القليل ، انها لا تحتاج الى دولة مستقلة ، بل الى خلق ظروف فى أوطانها الحالية ملائمة لتطورها فحسب ، انها تحتاج الى محلة ذات حجم لا بأس به يعمل فيها اليهود فى كل فرع من فروع المعرفة ، ابتداء من الزراعة والمهن اليدوية حتى العلوم والآداب ، دون أن تقف فى طريقهم أية عوائق) .

وفى سنة ١٩٢٠ كتب «أشادهاعام» : (ولقد تجاهلنا دائما الشعب العربى ، ومنذ بداية البداية) .

وفى مدينة يافا فى حزيران سنة ١٩١٧ خطب رئيس المجمع السنوى للمؤتمر المركزى للربانيين الأمريكيين يقول : (ما جئت الى هنا لأتشاجر مع الصهيونية ، ان

فى نيتى فقط أن أعلن أننا ــ كربانيين وقفوا أنفسهم على خدمة الرب ، ومنوط بشفاههم أن تحرس المعرفة ، ومن أفواههم ينبغى على الشعب أن يطلب القانون ، لأننا رسل رب الجنود ــ لا مكان لنا فى حركة يتكتل بها اليهود على أسس عنصرية أو قومية ، من أجل دولة سياسية ، أو حتى من أجل وطن مكفول قانونا ، ان على عاتقنا يقع الالتزام بحمل هذه الفكرة الرئيسية التى أولاها اليهود مذ خالق الطاعة والايمان ، وترديدها على الدوام ، وبلا كلال ، وان اسرائيل الدينية التى أجازها التاريخ وقبلها ، ينبغى الا يضحى بها على مذبح اسرائيل العنصرية البحتة، التى أوجدتها المخططات الدنيوية المعاصرة ، واذا ما ضحى بهــا فان المطــالب الدينية ليهود عصرنا ــ ناهيــكم عن الاعتبارات الأخرى ــ لا يمكن أن تشبع) .

ومن المعروف أنه لا تزال فى اسرائيل الى اليوم طوائف ربانية وغير ربانية غير راضية عن جريمة الوجود الاسرائيلى العنصرى ، سواء أكانت دعواهم الدينية ، ان قيــــام اسرائيل ــ عن غير طريق المسيح المنتظر ــ غير شرعى ، ومن الواجب انتظار هذا المسيح الذى على يديه تتحقق (مملــكة الرب) ــ أم كانوا من أولئك الــذين يرون فى التعايش السلمى مع العرب ، أصحاب الحق الشرعى .

يقول ايمانويل ليفين ــ الحاخام الفرنسى المعاصر ــ (ان كيانى يزدهر ويتضح بتعــاطفى وتضامنى مع عرب فلسطين ، وبمعارضتى الكاملة والمطلقة لدولة اسرائيل ، والصهيونية التى تحمل فى مبادئها المظالم والجرائم التى نعيشــها كشــهود عاجزين ، وما كانت دولة اسرائيل تستطيع أن تقوم دون ارتكاب هذه الجرائم) .

في سبيل الحصول على حليف قوى :

١ ـ لما كانت فلسطين جزءا من المملكة العثمانية ، فقد تكررت محاولات اغراء السلطان عبد الحميد (بوفاء جميع الديون المستحقة على الدولة العثمـــانية ، وبناء أسطول لحماية الامبراطورية ، وتقديم قرض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية ، دون فائدة ، لانعاش مالية الدولة وانماء مزارعها) .. مقابل السماح بدخول اليهود الى فلسطين ، بقصد زيارة الأماكن المقدسة ، وبانشاء مستعمرة قرب القدس .

لكن المحاولات جميعا باءت بالفشل ..

بل ان تكرار المحاولة نبه السلطان الى خطر التسلل الى فلسطين ، فأصدر أمرا الى (رءوف باشا) متصرف القدس (ليقوم بالتحـــــرى عن اليهود فى فلسطين ، ولا سيما في القدس الشريف ، ولا يبقى فى الأرض المقدسة أحدا من الطائفة اليهودية ، غير الذين قدموا اليها بقصد الزيارة العابرة ، والا يسمح لهؤلاء بالمكوث فيها الا بمقدار الزمن المحدد لهذه الزيارة) .

وأصدر الباب العالى سنة ١٨٨٨ فرمانا يقضى بمنع اية هجرة جماعية يهودية الى أراضى الدولة العثمانية ...

ومن ثم تآمر اليهود ضد السلطان عن طريق (جمعية الاتحاد والترقى) التى كانت خاضعة لتأثير (الماسونية) حتى تم خلع السلطان سنة ١٩٠٩ .. ثم ألب اليهود بلاد البلقان باسم (القومية) ، وجروا تركيا الى حرب (استعمارية) لا غاية من ورائها الا تجريد تركيا من الخلافة الاسلامية ، **بكل ما تعطيه الخلافة من امتدادات.**

والملاحظ انه بين عامى ١٩٠٥/١٩١٤ كان التوطن اليهودى فى فلسطين يتزايد فى صمت والحاح ، حتى وصل عدد المستوطنين الجدد الى ١٢ ألفا ، يعيشون فى تسع وخمسين مستعمرة (١) .

وبينما نجد الوالى العثمانى أحمد جمال باشا يصدر فى يناير سنة ١٩١٥ أمرا بتحريم نشاط العناصر الهدامة التى تسعى لانشاء حكومة صهيونية فى فلسطين، ويأمر باغلاق البنك الانجليزى الصهيونى ، ويحل هيئة (حراس هاشومير) ، ويحرم الكتابة بالعبرية على لافتات الحوانيت والشوارع ، ويهدد باعدام من تسول له نفسه أن يلصق طابع بريد صهيونى على خطاب — اذا بنا نجد الأمر ينتهى فى ٢٣ يناير سنة ١٩١٨ الى اذاعة الراديو الألمانى تصريحا لطلعت باشا الى مراسل جريدة نوسيش رايتونج فى استانبول — بحضور شيخ الاسلام — قال فيه : (أن وعد مستر بلفور هو أكذوبة) ثم أخذ يعدد التنازلات التى تعرضها الحكومة التركية على الحركة الصهيونية ، وفى مقدمتها : قبول مبدأ الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فى حدود امكانيات البلاد ؛ ومنح الحكم

---

(١) بلغ عدد اليهود فى فلسطين سنة ١٨٨٠ ـ ٢٥ ألفا من مجموع سكانها البالغ ٥٠٠ ألف ، وعقب المذابح الروسية بلغ عدد اليهود فى فلسطين بين عامي ١٨٨٢ ، ١٨١٧ حوالى ٥٠ ألفا ، وبسبب سياسة هتلر المناهضة لليهود بلغ عدد اليهود فى فلسطين حتى سنة ١٩٤٥ ـ ٤٠٠ ألف ، وعشية انشاء دولة اسرائيل سنة ١٩٤٧ كان هناك ٦٠٠ ألف من مجموع السكان البالغ مليونا و ٢٥٠ الفا .

وبدأت عملية نزع الفلسطينيين عن ارضهم . حتى صار كل ماتبقى من العرب سنة ١٩٤٩ ـ ٤٥٠ الفا .

وقد كشفت الرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان أن أكثر من ٢٠٠ الف بيت عربي قد نسف فىاسرائيل والضفة الغربية خلال الفترة من١١/٦/١٩٦٧ الى ١٥/١١/١٩٦٩ .

الذاتي لكل تجمع يهودى أكثر من خمسة آلاف نسمة .

وفى الوقت نفسه أدلى فؤاد الخطيب وكيل خارجية الحجاز بتصريح قال فيه : (اننا لا نتوقع أى صعوبة مع اليهود ، لأننا الآن نفهم بعضنا بعضا) !!

وفى ٣ يناير سنة ١٩١٩ حصل وايزمان على اتفاق مع فيصل بن الشريف حسين أمير مكة يعترف فيه بوعد بلفور ، ويعد بأحسن العلاقات بين الدولة العربية التى ستنشأ فى الشرق وبين فلسطين .. وبعد شهرين من الاتفاق عزز فيصل موقفه بخطاب أكد فيه هذا المعنى ، وأرسله الى القاضى الصهيونى الأمريكى (فليكس فرانكفورتر) عضو الوفد الصهيونى الى مؤتمر فرساى بفرنسا (١) .

٢ ـ حاول هرتزل ربط هذا الكيان المختلق بالمصالح الأوروبية ، وقال : (انه لمن مصلحة الأمم المتمدنة أكثر فأكثر ، ومن مصلحة المدنية بشكل عام أن تؤسس محطة حضارية عبر أقصر طريق لآسيا ، ان فلسطين هى تلك المحطة ، ونحن اليهود حماة الحضارة ، المستعدون لبذل أملاكنا وأرواحنا من أجل تكوينها) .

وأوضح هرتزل لتشمبرلن واوزير الخارجية لورد لانسدون أن الامبراطورية البريطانية عندما ترعى المساعى الصهيونية لا تكسب مستعمرة غنية فحسب ، بل أيضا عشرة ملايين يهودى الى انجلترابقلوبهم . اذاهى قامت بعمل مثل هذا أصبحت حامية الشعب العبرى ، وفى لحظة

(١) قد يمكن القول ان تصريحات طلعت باشا وفؤاد الخطيب وفيصل ارتبطت بتكتيكات سياسية خاضعة للظروف الصعبة التى كانت البلاد تمر بها ، وليست وعودا ملزمة ، كما يمكن القول أن هذه الاخبار مرت بمصانع الاخبار اليهودية قبل أن تصلنا ..

تستطيع أن تعتمد على عشرة ملايين موال مخلص لها فى جميع انحاء العالم ، جميع هؤلاء سيكونون رهن اشارة الأمة العظيمة التى ستمد لهم المساعدة المطلوبة ، فيكون لانجلترا عشرة ملايين عميل من أجل عظمتها وسيطرتها ، وهـذا الولاء لابد أن يكون على الصعيدين السياسى والاقتصادى .

وسعى هرتزل الى الاستعمارى البريطانى الشهير سيسيل رودس فحصل منه على شهادة بفائدة وجود الدولة اليهودية على أرض فلسطين . وقد جاء فى هذه الشهادة : (أنا رودس قمت بفحص هذا المخطط ، ووجدته صحيحا وعمليا ، انه مخطط مماوء بالحضارة ، ممتاز بالنسبة للشعب الذى يتوجه المخطط نحوه لا يعوق تقدم البشرية العام ، وهو مفيد جدا لانجلترا ولبريطانيا العظمى) .

وفى عام ١٩٠٢ دخلت المنظمة الصهيونية فى مباحثات مع الحكومة الانجليزية بقصد اقناع انجلترا بمنح الحركة جزءا من شبه جزيرة سيناء ، يقيمون فيها وطنهم القومى كجزء من الامبراطورية .. لكن حكومة مصر رفضت هذا المشروع على أساس أن جفاف سيناء يستدعى الاستعانة بماء النيل الذى لا يكفى حاجة البلاد .

وبعد عام عرضت بريطانيا مشروعا يقضى بمنح أوغندا للمنظمة الصهيونية بقصد تعميرها والتوطن فيها ، لكن حاييم وايزمان المرشح لقيادة الحركة الصهيونية لم يكن يجد فى غير فلسطين بديلا ... لهذا ــ عقب موت هرتزل سنة ١٩٠٥ انتصر فريق وايزمان فى المؤتمر الصهيونى السابع من نفس العام .

ولقد لعب وايزمان دورا كبيرا فى سبيل كسب تأييد انجلترا وآمريكا للمطامع الصهيونية .

ففى سنة ١٩٠٤ هاجر هذا الكيميائى الروسى الى لندن ، حيث عاش وخذ يتصل بالساسة والصحفيين من جميع الأحزاب ، ونجح فى عقد صداقة مع لورد بلفور ، ومع (سكوت) رئيس تحرير المانشستر جارديان ، الذى عرفه بعدد من الوزراء .

ولقد كانت طبيعة السياسة الانجليزية التى تقوم على خلق مشكلات الأقليات لتدعيم وجودها الاستعمارى ـ عونا على أن يجد الداعية الصهيونى سبيله الى انتصارات سريعة ...

كان الدكتور وايزمان يجرى تجاربه بنجاح فى انتاج المتفجرات ، وقد وضع بين يدى المستر سكوت مشروعه لانتاج المواد المتفجرة اللازمة لانتاج الذخائر ، فقام المستر سكوت بعدة زيارات الى لندن ليقنع المستر لويد جورج والمستر ماكيف واللورد بلفور وآخرين بأهمية تجارب وايزمان .

وفى ديسمبر سنة ١٩١٥ اصطحب سكوت وايزمان ليتغذى معه على مائدة لويد جورج ، وتقرر نقل وايزمان الى لندن ليعمل فى مصنع حكومى لانتاج الذخائر .. ونجحت تجارب وايزمان فى تحضير الأسيتون لاستعماله فى صنع السكورديت ، فعين فى فبراير سنة ١٩١٦ فى منصب هام بحيث أصبح لورد بلفور رئيسه .

وبهذا وضع وايزمان قدما ثابتة عند مجرى الأحداث ..

فلما تولى لويد جورج رئاسة الوزارة وعين بلفور وزير

الخارجية انطبعت الحكومة البريطانية بالطابع الصهيونى .. وبعد شهرين قرر مجلس الوزراء تكليف مارك سايكس الدخول فى مفاوضات رسمية مع الحركة الصهيونيه ممثلة فى موسى جاستر وهربرت صموبل وحاييم وايزمان وهارى ساشر الذين طالبوا باعطاء اليهود صفة قومية ووضعا رسميا فى فلسطين ، مع منح نفس القومية لكل يهود العالم ، دون أن يكون لهذا أثر على وضعهم فى بلادهم من الناحية السياسية ، كما طالبوا باباحة الهجرة الى فلسطين دون أى قيد ، وأكد الجانب الصهيونى على أن الكيان الصهيونى الوليد سيكون جزءا من الأمبراطورية البريطانية وحارسا مضمونا لها فى المنطقة .

٣ ـ منذ عام ١٨٩٠ وهرتزل يسعى للحصول على حماية بسمارك .. وفى سنة ١٨٩٨ اقترح على القيصر غليوم الثانى ـ وكانت تراوده أحلام قدسية فى الشرق ـ اقامة دولة يهودية تكون موقعا متقدما للمصالح والحضارة الجرمانية .. لكن القيصر وجد أن مثل هذا العمل سوف تعده الامبراطورية العثمانية تدخلا غير مباشر فى شئونها ، وقد يثير الدول الأخرى المتربصة بنهاية الأمبراطورية المريضة .

وتكررت المحاولة ، دون جدوى ، حتى اشتعلت نيران الحرب العالمية ، وأصبحت كفة الحلفاء هى الراجحة ، فألقى الصهاينة ثقلهم الى جانب الحلفاء .

اقتحام الارض :

الى جانب البحث الجاد عن دولة قوية تتعارض

مصالحها مع مصالح الأمة العربية ، كان العمل المستمر في اختيار (الرواد) الأوائل في فلسطين على أساس حرمان النفس من متع الحياة والفوائد المادية ، والقدره على تطويع أسلوب الحياة لمعيشة التقشف ، والقيام بالأعمال الجسيمة التى تحددها له الجماعة .. وكان التركيز الشديد على العمل غير المستغل فى الميدان الزراعى واليدوى ، باعتباره وسيلة رئيسية لبعث شباب (الأمة اليهودية) ، ولخلق انسان يهودى جديد .. كما كان التركيز على الاكتفاء الذاتى ، وعلى أهمية وسائل الدفاع الذاتى .

كان هدفهم — كما يدعون — (اقتحام الأرض) ، حتى يطهر اليهودى نفسه ، ويتخلى عن سلوكه الذى تمرس عليه فى الشتات ، نتيجة الانقطاع أجيالا طويلة عن الزراعة والصناعة ، الأنشطة الانتاجية المختلفة ... وان اقتحام العمل — وخصوصا الزراعة والأعمال اليدوية — من شأنه ان يوثق صلة اليهودى بالأرض والطبيعة .

ويترتب على هذا انتزاع الأرض العربية من أصحابها ، واضعافهم اقتصاديا فى سوق العمل ، تحت شعار العمل العبرى ، الذى معناه : عدم الاعتماد على العرب فى حراسة المستوطنات و المشروعات الصهيونية ، وضرورة تشكيل فرق صهيونية للقيام بهذه الوظيفة الحيوية .

وقد قام (الهستدروت) بدور واضح فى فرض العمل العبرى ، وفى فرض مبدأ شراء الانتاج العبرى ، ومقاطعة الانتاج العربى .

وبهذا أصبح للتراب الفلسطينى مذاقه الخاص فى

وجدان (الغربان الشرسة) .

تقول يائيل دايان ابنة موشى دايان القائد الصهيونى المعروف ، فى قصتها (طوبى للخائفين) ، على لسان ايفرى لابنه نيمرود : (امسك هذا التراب اقبض عليه ، تحسسه ، تذوقه ، هذا هو ربك الوحيد .. اذا أرت ان تصلى للسماء فلا تصل لها لكى تسكب الفضيلة فى ارواحنا ، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا ، هذا هو المهم .. اذا أردت أن تسلى نفسك ، وتتعلم شيئا ، فاذهب وتعلم حلب البقر) .

وبهذا الوعى الصادق للدور الذى تلعبه الأرض ، صار متوسط دخل اليهودى فى فلسطين قبل سنة ١٩٤٨م(١) ١٤١ جنيها فى العام ، بينما كان متوسط دخل العربى ٥٠ جنيها ، وصار مجموع انتاج اليهود فى فلسطين ــ وهم الأقلية ــ ٨١ مليونا بينما كان مجموع انتاج الأكثرية العربية ٢٦ مليونا .

ومن ثم تحول النزاع العربى اليهودى ، من نزاع سياسى عسكرى الى نزاع حضارى .

وعد بلفور :

فى الثامن والعشرين من يناير سنة ١٩١٥ كتب المستر اسكويث ــ رئيس الوزراء البريطـــانية آنذاك ــ فى مفكرته يقول : تسلمت لتوى من هربرت صمويل مذكرة عنوانها (مستقبل فلسطين) انه يخلص فيها ــ باسهاب

(١) يجب أن نذكر أن الصهاينة لم يمكنهم الحصول ولا على ٨ر٣٪ من أرض فلسطين حتى عام ١٩٤٨ ، بسبب قوة تعلق الفلاح الفلسطينى بأرضه

لا بأس به ، وببعض الحمـــاسة ـ الى مناقشة مسألة الحاق فلسطين ببريطانيا مجددا . وفلسطين بلد صغير فى حجم ويلز ، معظمه جبال جرداء ، وجزء منه لا ماء فيه ، وهو يعتقد أننا قد نزرع هذه الرقعة ، التى لا تشجع كثيرا على الزراعة حوالى ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود الأوروبيين . وان هذا سـيكون له أثر طيب على أولئك الذين سيخلفهم هؤلاء وراءهم ...

وانى أعترف ان هذه الاضافة الجديدة المقترحة الى مسئولياتنا لا تستهوينى ولكن من العجيب حقا أن يرى الانسان هذه الصرخة التى تكاد تكون صرخة غنائية بحتة .. انها تجسـيد عجيب لعبارة ديزى المأثورة القـائلة بأن (الجنس هو كل شيء) .

لقد تحدث المستر اسكويث عن مقترحات الصهاينة المقدمة فى مذكرة السير هربرت صمويل بكثير من الازدراء والدهشة ، ونعتها فى مجلس العموم ـ بعد ذلك بست سنوات ـ بأنها ما تزال (بئر سلم من الفرضيات الهشة الهزيلة المتعثرة اللجوج) ، مضيفا أن من الافتراضات المبالغ فيها أيما مبالغة الزعم بأن (اليهود سيعيشون جنبا الى جنب مع العرب بفعل ادارة عادلة حكيمة ، وعن طريق التغلغل السلمى وبالوسائل الأخرى) .

وكتب فى عام ١٩٢٤ وهو على أرض فلسطين ذاتها ، ضيفا على السير هربرت صمويل الذى كان اذ ذاك المندوب السامى على فلسطين : (ان الحديث عن تحويل فلسطين الى وطن قومى لليهود ليبــــدو لى حديثا مغرقا فى الخيال) .

ولكن يبدو أن المستر اسكويث لم يكن وجها صافى المرآة لبريطانيا العظمى ، التى كانت تحركها أصابع الصهيونية سرا وجهرا ، ففى جو من الضباب المتكاثف (فقد أعضاء الحكومة فى عام ١٩١٦ كل أثر لمتابعة بعضهم البعض) وتناول أشخاص مستترون (مشروعات قذرة)، ونتيجة هذا (أن قادة الصهيونية ضبطوا يقفون على باب مكتب الخارجية حين انقشع هذا الضباب أو كاد) .

وبعد أن تم التوصل الى تفاهم بين السير مارك سايكس وبين وايزمان وسوكولوف انعقدت النية على ارسال رسالة سرية الى القاضى برانديز - الأمريكى اليهودى وصديق الرئيس ويلسن - مؤداها (أن الوزارة البريطانية ستساعد اليهود على كسب فلسطين فى مقابل الانعطاف اليهودى الفعال ، وفى مقابل تأييد قضية الحلفاء فيها) .. وقد جرى ارسال هذه الرسالة بالشفرة ، عن طريق مكتب الخارجية .. هذا المكتب عينه الذى سخر للاتصالات الصهيونية بين وايزمان وسوكولوف وبين الزعماء الصهاينة فى الخارج .

وحين عين المستر بنتوتيش نائبا عاما لادارة فلسطين كتب يقول : (ان سيادة الدولة ليست أمرا حيويا بالنسبة للمثل الأعلى اليهودى القومى) .. وشدد على ضرورة منح المنشآت الصهيونية والمستعمرين اليهود فى فلسطين امتياز (الحقوق الخاصة) .

وفى يونيه سنة ١٩١٧ قال وايزمان : (ان ما تطمح اليه الحركة الصهيونية هو انشاء دولة يهودية فى فلسطين فورا ، بل لقد ذهب أصدقاؤنا الأمريكيون الى ما هو أبعد من ذلك ، فحددوا حتى شكل تلك الدولة ، بأن

بشروا بجمهورية يهودية) ، ولكن (ينبغى ان تبنى الدول ببطء ورويه وبالتدريج .. ولذلك نقول : انه ان كان خلق الدومنولث اليهودى فى فلسطين هو مثلنا الاعلى النهائى - وهو هدف تسعى اليه المنظمة الصهيونية أجمع - فان الطريق اليه يتألف من سلسلة من المراحل البينيه، واحدى هذه المراحل البينيه والتى آمل أنهـــا آتيه عما قريب كنتيجة الحــــرب - هى أن توضع بلاد فلسطين الجميلة تحت حماية دولة قوية عادلة ، كبريطانيا العظمى، فيستطيع اليهود تحت جنـــاح هــذه الدولة أن ينشئوا ويقيموا ذلك الجهاز الادارى الذى سيمكننا من تنفيـــذ المخطط الصهيونى ، دون ان نتدخل فى الوقت نفسه فى المصالح الشرعية للسكان غير اليهود ، وقد خول لى أن أقول لكم (١) ان حكومة صاحب الجلالة مستعدة لان تؤيد خططنا) .

وكان سقوط امبراطورية آل رومانوف بروسيا فى مارس سنة ١٩١٧ من العوامل المســـاعدة على تنظيم الهجرة الى فلسطين ، ومد اليهود بالمال والسلاح وتدريب عصاباتهم على الحرب الخاطفة ...

واتخذت جميع الضغوط لتنشيط حركة الاستيطان ، وتملك المواقع الاستراتيجية ، وطرد الفلاحين العرب ، ومقاطعة العمال العرب .. تنفيذا لمخطط هرتزل :

(سيتم نزع الملكية الاختيارى عن طريق وكلائنـــــا السريين ، وعنـــدئذ فلن نبيع الا لليهود ، ولن يجرى

---

(١) وجه القول الى جمهور معين عقد فى ١٩١٧/٥/٢٠ كرسالة عن الموقف السياسى تنقل الى الجمعيات اليهودية من خلال مندوبيها .. ويلاحظ أن هذا قبل مايقرب من ثلاث سنوات من « منح » عصبة الامم الانتداب لبريطانيا على فلسطين .

الاتجار فى العقارات الا بين اليهود .. سنحاول اجلاء السكان المعدمين عبر الحدود ، بتوفير العمالة لهم فى البلدان التى ينتقلون اليها ، وانكار أية فرصة عمل عليهم فى بلادنا ، وسيقف الملاك الى جانبنا ، ولابد أن تجرى كل من عملية نزع الملكية وابعـــاد الفقـــراء فى تكتم وحيطة) .

اما وقــد ركبت الحــركة الصهيونية ظهر الحــكومة البريطانية ، وبخاصة بعــــدما تولى لويد جــورج رئاسة الوزارة سنة ١٩١٥ ، فلم يعد ثمة حاجة الى كثير من التكتم والحيطة .

يقول الدكتور جاستر فى خطاب خطير له : (اننا نريد أن نقيم فى فلسطين كومنويلثا يهوديا مستقلا اســتقلالا ذاتيا ، بأوفى معنى من معانى هذه الكلمات ، اننا نريد لفلسطين أن تكون فلسطين اليهود ، وليس مجرد فلسطين لليهود ، اننـــا نريد الأرضها أن تــكون أرض اسرائيل ، ويجب أن تكون أرضها لنا) .

ونشـــطت الدوائر الصهيونية من أجــل تسيير الآلة البريطانية بالوفود الأمريكى فاجتمع بلفور بالقاضى برانديز فى ربيع سنة ١٩١٧ ، وفى نفس الوقت اجتمع بأعضاء بعثة بلفور الى أمريكا صهاينة آخرون ، حتى اذا عاد بلفور الى بريطانيا كان مشبعا غاية التشبع بالفـــكرة الصهيونية .. ودبج عددا من المسودات (عن التقرير الصهيونى الرسمى) ، وأرسلت المسودات عن طــريق وسائل مكتب الحرب الخاصة (الى الولايات المتحدة لكى تستعين بها اللجنة السياسية الصهيونبة الأمريكية) .

وسرعان ما جرت الأقلام ببيان مبدئى عام .. لكن

(حين حانت لحظة اتخاذ قرار فى أواسط عام ١٩١٧ (أيد الرئيس ويلسون الصهاينة بكل ثقل نفوذه)حتىاذاكان الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ خرج تصريح (السفاح) الذى نتج من (جريمة تعدد الأزواج) على شكل كتاب ، من سكرتارية الخارجية الى اللورد روتشيلد (١) — بوصفه رئيسا للاتحاد الصهيونى فى بريطانيا — جاء فيه :

(عزيزى اللورد روتشيلد ..

من دواعى غبطتى الجمة أن أنقل لكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة التصريح التالى ، بعطفنا على الآمال الصهيونية اليهودية ، الذى عرض على الوزارة فوافقت عليه .

« ان حكومة صاحب الجلالة لتنظر بعين العطف الى مسألة اقامة وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى ، وستبذل أقصى ما فى وسعها من مساع لتذليل احراز هذه الغاية ، مع العلم تمام العلم بأنه لن يفعل شىء من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة حاليا فى فلسطين ، أو الحقوق الأهلية السياسية التى يتمتع اليهود بها فى أى بلد آخر ...

وأكون مدينا لكم بالجميل اذا ما تكرمتم فأبلغتم هذا التصريح الى علم الاتحاد الصهيونى .. صديقكم المخلص : أرثر جيمس بلفور) .

ولم يكن أحد يستطيع أن يدرك لعبارة (وطن قومى) معنى محددا ، (لأنه لم يكن لها معنى متعارف عليه) ، ومن ثم فقد أعطت حرية الممارسة فى فلسطين .. أما

---

(١) اعترف وايزمان فى مذكراته أنه هو الذى كتب بيده هذه الوثيقة بناء على طلب اللورد بلفور .

عبارة (تنظر بعين العطف) ، فمـــاذا تساوى فى دنيا التعهدات ؟ وماذا يعنى (التسهيل) فى عبارة (ستبذل كل ما فى وسعها لتسهيل بلوغ هذا الهدف) ؟ وأما وصف العرب بالجماعات (غير اليهودية فى فلسطين) فزئبقى مخادع ، اذ كان تعداد سكان فلسطين — فى ذلك الوقت — قرابة ٦٧٠ر٠٠٠ اليهود بينهم ٦٠ر٠٠٠ .. ومع ذلك لم يرد اسم (العرب) مما يفيد التغرير ، والتقليل من شأن هذه (الجماعات) ، فكيف بما لهذه الجماعات من (الحقوق المدنية) .. أى حقوق مدنية هذه ؟! (لقـد سلبوا العرب كل شىء ، بنصوص يدل ظاهرها على أنها تؤمن للعرب كل شىء ، وهى خدعة ماهرة وضيعة) .. يجهر بها علانية المستر دى هاعاس (الصائغ الأمريكى فى هذا التصريح) بقوله : (نحن نفرق بين الحقـوق اليهودية وبين الادعاءات العربية) ، لقد روعيت الدقة فى صياغة هذه الجريمة الى حد : (أن كل كلمة من كلمات هذه الوثيقة قدوزنت من قبل ما يزيد على عشرين جهبذا حجة) .. لتكون فى النهاية (امرأة متزوجة من رجل متزوج) ، امرأة تبيع عرضـــا لا تملكه لرجـل لا يستحقه .

وتتجلى جريمة هذا التصريح فى :

١ — أن اصداره قد أخل بوعد الشرف أن تتألف من الجزيرة العربية وسوريا والعراق دولة عربية واحدة ، بعد أن تتم هزيمة الأتراك .

٢ — أن هدفه تنصيب اليهود فى مركز ممتاز فى فلسطين بدون موافقة أهلها ، مقدمة لاغراق العرب فى دولة يهودية تقوم فى المستقبل .

٣ ـ كتب التصريح بأقـــلام يهودية ، وصيغ صياغة غامضة ، بحيث تخفى الحقائق ، وتضيع الحقوق .

٤ ـ كان فى الظاهر اعترافا بآمال الصهاينة فى العودة الى فلسطين متذرعين بستار الحقوق التاريخية ، وكان فى الحقيقة صفقة سرية أعطيت بموجبهـا غنيمة حربية ثمنا لمساعدة قدمت فى زمن الحرب .

٥ ـ قد يكون ثمرة حقد دفين ناتج عن تعصب وروح (صليبية) موروثة تعمـل على توهين هذه المنطقـة من العالم من أجل ابتلاعها .

وسرعان ما صادقت فرنسا على التصريح ، وتبعتهـا ايطاليا عام ١٩١٨ ، ووافقت روسيا بشرط المحـافظة على مصالح الكنيسة الروسية فى الأراضى المقدسة وأعلن (ويلسن) اغتباطه بصدور التصريح ولم يـكتف باعلان (وطن قومى لليهود) بل تجاوز فأعلن (قيام دولة يهودية) بقوله أمام الرأى العام الأمريكى : (قررت الأمم المتحالفة ـ بمساندة مطلقة من جانب حكومتنا وشعبنا ـ اقامة أساس للدولة اليهودية فى فلسطين) .

ولعل هذا المناخ العالمى المتآمر هو الذى شجع على ممارسة (الانتداب) قبل أن ينعقد مؤتمر الصلح .. اذ ما كاد المؤتمر ينعقد ـ وهو المؤتمر الذى رفض تمثيل وفد مصر ـ حتى أذن لوفـد صـهيونى أن يمثل أمامه ويقدم مطالبه ، تم ذلك فى فبراير سنة ١٩١٩ ، ثم قرر (مجلس الحلفاء) الذى انعقد فى سان ريمو (ابريل سنة ١٩٢٠) انتداب انجلترا فى فلسطين ، وأن تكون هى المسئولة عن تنفيذ (التصريح) باقامة الوطن القومى لليهود .

ولما تكونت (عصبة الأمم) وافق مجلسها المنعقد فى ٢٤ يوليه سنة ١٩٢٢ بلندن على وثيقة (الانتداب) وشروطه التفصيلية ، وكان وعد (بلفور) فى رأس تلك الوثيقة ، فقد صدر بها الوعد كأنه قرار دولى ، واعترفت المادة الرابعة منها (بالوكالة اليهودية) ، التى (تنصح وتعاون الادارة بفلسطين فى كل ما له علاقة بانشاء الوطن القومى لليهود) .

وقرر المؤتمر الصهيونى تقييد (الوكالة) بتنفيذ المبادىء الآتية :

١ ـ مواصلة العمل على زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين .

٢ ـ الاهتمام بالأرض ، والعناية بها على أنها ممتلكات يهودية .

٣ ـ الاستعمار الزراعى القائم على العمل اليهودى .

٤ ـ العناية ببعث اللغة العبرية والثقافة العبرية .

وبهذا أصبحت (الوكالة) دولة داخل دولة ، لها ادارتها الخاصة ومصالحها الخاصة .

وساعد على زيادة تمكين هذه (الوكالة) كون السير هربرت صمويل مندوبا ساميا فى فلسطين ، وهو صاحب دور كبير فى اصدار (وعد بلفور) ، كما أنه أحد مؤسسى شركة شل (اليهودية) ذات التأثير البالغ على كثير من حكومات العالم ، ومن بينها بعض الحكومات العربية .

يقول (وايزمان) فى حديث له بالولايات المتحدة عقب تعيين هربرت صمويل مندوبا ساميا :

(ان السير هربرت صمويل صديقنا ، وقد قبل هذا المنصب الصعب بناء على رجائنا ، فنحن الذين وضعناه في ذلك المنصب ، انه صمويلنا) .

بعثة كنك كرين :

وقبل أن نمضى فى سرد مجريات الأحداث ، نتعرف على طبيعة الوضع فى فلسطين ، على النماذج الذى تم فيه زرع هذا المسخ الأخطبوطى الكئيب ، ومدى أهلية أولئك الذين كانوا يملكون اتخاذ القرار .

عندما بلغ الخلاف بين لويد جورج وكليمنصو — حول مضامين (سيكس بيكو) فى اجتماعات (مجلس الحلفاء) السرية — حد الانفجار — هب ويلسن فاقترح ارسال بعثة أمريكية انجليزية فرنسية مشتركة الى المنطقة لتحديد رغائب أهلها فى اختيار الدولة المنتدبة ، وقد وافق المجلس بالاجماع يوم ٢٠ مارس سنة ١٩١٩ على ارسال البعثة المذكورة .

وقد حددت البعثة فى تقريرها نقاطا هامة حول مصير فلسطين ، أهمها الملاحظة التالية :

« اذا اعتبرنا ان فلسطين ستصبح فى نهاية المطاف دولة يهودية ، فمما لا يجوز التغاضى عنه أن فلسطين (أرض مقدسة) بالنسبة لليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء ، وملايين المسيحيين والمسلمين فى كل أنحاء العالم قلقون ، لا أقل بأى حال من اليهود ، حول الأوضاع فى فلسطين ، خاصة تلك التى تمس المشاعر والحقوق الدينية .. ومن هذه الزاوية فان الوضع فى

فلسطين معقد وحساس الى اقصى حد .. وحتى — مع احسن النوايا الممكنة — يشك فى أن يبدو اليهود للمسيحيين والمسلمين حماة حقيقيين للأماكن المقدسة ، او قيمين عليها ، والسبب يكمن فى أن هذه الأماكن مرتبطة باسم المسيح ، وهى لذلك تعتبر أكثر قداسة للمسيحيين ، كما أنها مقدسة فى نظر المسلمين أيضا ، أما بالنسبة لليهود فانها ليست مقدسة فحسب ، بل انها ممقوتة أيضا ، لذا من غير المعقول بكل بساطة أن يشعر المسلمون والمسيحيون بالاطمئنان فى حالة وضع هذه الأماكن فى أيد يهودية ، أو حتى جعلهم قيمين عليها .. وبالاضافة الى ذلك ، توجد مناطق كثيرة يكن نحوها المسلمون نفس الشعور ، لذلك ، فان المسلمين الذين ينظرون بعين التقديس الى الأماكن المقدسة لجميع الديانات يكونون أفضل من اليهود لحمايتها .. ويصح التفكير فى أن الذين يدافعون عن النهج الصهيونى المتطرف لم يدرسوا بما فيه الكفاية جميع آثار الاحتلال اليهودى الكامل لفلسطين ... ان مثل هذا الاحتلال سيؤدى حتما الى تعاظم الشعور المعادى لليهود ، سواء فى فلسطين أو فى البلدان الأخرى ، حيث يعتبرون فلسطين أرضا مقدسة .

وانطلاقا من كل ما مر ، ترى البعثة — بالرغم من شعورها العميق نحو قضية اليهود — أن من واجبها التوصية بأن يوافق مؤتمر السلام (فى باريس) على النهج الصهيونى ، بعد تقليصه الى حد كبير ، شريطة أن ينفذ — حتى فى هذه الحالة — ببطء كبير ، مما يعنى ضرورة تحديد معنى لهجرة اليهود ، ورفض مشروع تحويل فلسطين الى دولة يهودية ، وفى مثل هذه الحالة

لا تظهر أية موانع لضم فلسطين ـ مثل بقية أجزاء سوريا ـ الى الدولة السورية الموحدة ، أما الاماكن المقدسة فيمكن وضعها فى حماية لجنة دولية ودينية ، يجب بالطبع تمثيل اليهود فيها .

وبينت البعثة كيف أن الصهيونيين يأملون فى اجلاء غير اليهود عن فلسطين ، بشراء أراضيهم .. وانه ـ طبقا لما أعلنه الرئيس ويلسن فى ٤ يوليو سنة ١٩١٨ ، حول ضرورة حل مسألة لهـا مساس (بالأرض أو السياسة أو الاقتصاد أو بالعلاقات السياسية) ـ فان السكان غير اليهود فى فلسطين ـ وهم تسعة أعشار السكان ـ (يرفضون البرنامج الصهيونى رفضا تاما) .

وتثبت الاحصاءات ان سكان فلسطين لم يجمعوا على شىء اجماعهم على هذا الرفض ، مما جعل تنفيذ البرنامج بدون قوة السلاح فى عداد المستحيلات .

ومع ذلك .. أهمل ويلسن تقرير البعثة ، وغض الطرف عن التوصيات الصريحة الواردة فيه .. ومن ثم لم يعرض التقرير على مؤتمر السلام فى باريس ، وظل مختفيا فى أرشيف الوفد الأمريكى الى أن انتهى المؤتمر من أعماله ، سيما وأن الرئيس نفسه قد طمأن ممثلى الحركة الصهيونية ـ عندما أبدوا بعض المخاوف من ارسال البعثة ـ بأنه (استنادا لرغبة الشعب الأمريكى ، ورغبته الشخصية ، ورغبة الحلفاء ـ على الصهيونيين أن يثقوا فى أن فلسطين ستكون وطنا قوميا للاسرائيليين) .

موقف العرب ..

لعل الموقف العربى يبدأ برفض المصريين الوجود

الاسرائيلى فى سيناء . او بالثورة العربية بقيادة الشريف حسين ، من اجل تكوين دولة عربية كبرى ، تضم فلسطين وغيرها من بلدان المشرق العربى ... لكن صورة الرفض الفلسطينى . النابع من التراب الفلسطينى ضد الجريمه الصهيونية العالمية ، تبدو اثناء الاحتفال بعيد النبى موسى (عيد الفصح) سنة ١٩٢٠ ، فقد هب الشعب العربى فى فلسطين ـ محتجا على هـذه الجريمة ـ من اليوم الرابع الى الثامن من ابريل ، وكان قتال ونهب وسلب ، ولما استطاعت القوات العسكرية أن تعيد النظام كان قد قتل من اليهود خمسة وجرح ما يزيد على مائتين ، بينما قتل من العرب أربعة وجرح واحد وعشرين .

وكانت لليهود (فرقة للدفاع عن النفس) شـكلها الارهابى جابوتنسكى ، كما كانت هناك بعثة تمثل المنظمة الصهيونية فى فلسطين ولهـا حرية ارسال برقياتهـا وانبائها ووسائلها عن طريق أسـلاك البرق والتليفون العسكرية ، على حين حرم العرب من كل وسائل الاعلام الداخلية والخـارجية ، فلما شكلت الجهود العربية (جمعية اسلامية مسيحية) لتـكون ندا للبعثـة الصهيونية طلب المسيو أوسيشكين ـ رئيس البعثـة الروسى الأصل ـ من الحاكم الادارى العام أن يرفض اعطاء الجمعية الاسلامية المسيحية وغيرها من الجمعيات العربية حق الاجتماع وحق التعبير .

فلما صار السير لويس بولز ـ الذى كان رئيس هيئة أركان حرب الجنرال اللنبى ـ حاكما اداريا ، وقف ـ الى حد ما ـ فى وجه هذا النزق اليهودى ، وصرح بأن (٩٠ ٪ من أهالى فلسطين ـ على وجه التقريب ـ معادون للصهيونية عداء مستحكما ، وأن هذه المعارضة تنتظم كافة

المسلمين والمسيحيين . وقسما لا يستهان به من اليهود ، .. وبين (ان الدافع الى معارضتهم دينى فى جزء منه . وفى جزء اخر الخوف من انه قد يتحتم على سكان البلاد القدامى ان يتحلوا بالضروره عن مواطنهم للصهاينه الذين تدعمهم مؤسسات ماليه ضخمه) .. وبهذا يلتقى السير بولز بما جاء فى تقرير لجنة (كنج كريين) .

فلما عين المستر ونستون تشرشل سكرتيرا لشئون المستعمرات سنة ١٩٢١ جدف العرب فى بحر من الآمال، وهرعت الوفود العربية من فلسطين الى القاهرة للقائه ، وعرض قضيتهم ، فتحدث اليهم فى تبرم وضيق ، قائلا : (انكم تطلبون منى أن ألغى تصريح بلفور ، وأن أوقف الهجرة ، وهذا شىء ليس من سلطتى ، وهذه ليست رغبتى .. وفضلا عن ذلك فان الحق البين هو أن يكون لليهود المبعثرين مركز قوى ، ووطن قومى يجمع شملهم ، وأين يكون هذا الوطن ان لم يكن فى فلسطين ، التى اقترن بها اليهود ثلاثة آلاف عام اقترانا وثيقا عميقا، منذ ذلك التاريخ حتى الآن ؟ ونحن نعتقد أن هذا شىء طيب بالنسبة للعالم ، وبالنسبة لليهود ، وبالنسبة للأمبراطورية البريطانية ، وهو كذلك طيب بالنسبة للعرب الذين يسكنون فى فلسطين ، ونحن نريد أن يكون كذلك ، وهم لن يطردوا من بلادهم ، ولن يقع بهم ضيم ، سيكون لهم نصيب فى فوائد الصهيونية وتقدمها) .

هذا هو ونستون تشرشل الذى صار على قمة الحكومة البريطانية ابان الحرب العالمية الثانية ، وكسب الحرب للانجليز واليهود معا .

ومع هذا التأييد الصارخ — من الانجليز وغيرهم من الدول المسكة بمقاليد العالم — فان اليهود ابوا الا أن يحصلوا على اعتراف بالوطن القومى من امير عربى ، وان كان من فوق رءوس العرب جميعا . نكاية وادلالا وسخرية ، باسم الحرص على الشرعية .

وكانت اغراءات الأمير عبد الله ، ولوح له بتاج فلسطينى وشرق الاردن . واستوقفت المفاوضات مع والده الشريف حسين ، ولكن الشيخ ابى الاستخذاء امام كل الاغراءات ، فارسل اليه اللورد كرزون طالبا فى خشونة أن يقبل تصريح بلفور ، فرد عليه بلهجة مهذبة مقترحا اقامة حكومة دستورية فى القدس ، وكانت مقايضة قبوله الوضع الراهن فى سوريا بضمان بريطانى لحدوده . فقال قولته المعروفة : (ان شرفى فى مهب الريح) ، وأصر على موقفه .. فأرغم على التنازل عن العرش ، وارتحل الى قبرص حيث توفى عام ١٩٢٨ م .

وفى نفس الوقت الذى جرت فيه المفاوضات مع الشريف) (الملك) حسين ، اتخذ من الدوق ديفونشاير وسيلة لعرض (وكالة عربية) علي العرب فى فلسطين فى مقابل الوكالة اليهودية ، ونسوا أن هذا أشبه بعرض (وكالة بريطانية) فى بريطانيا ، كما يقول جفريز .. وبالطبع رفض العرب هذا العرض ، وقد سجل هذه المهزلة السنوية فرايرى داندرادى (البرتغالى) عضو لجنة الانتداب التابعة لعصبة الأمم ، بقوله : (ان المندوب السامى كان يعرض أن يشكل وكالة يهودية ووكالة عربية ، لهما حقوق متساوية ، وفى رأيى أن العرب سيجدون من العسير عليهم قبول منظمة كهذه ، لأن دور

الوكالة اليهودية محدد فى المادة الرابعة من صك الانتداب ، التى فى اعتبارها أن تساعد هذه الوكالة فى ادارة ذلك البلد ، وان كان ذلك الى مدى معين فقط ، طبقا لنصوص الانتداب ، الا أن العرب ، الذين هم فى بلادهم التى هى ملكهم ، لابد أن يشعروا أن من حقهم أن يمارسوا نفوذا في الشئون الادارية اكثر من ذلك النفوذ الذى يمارسه القادمون الجدد ، ولست أستطيع أن أقول انهم مخطئون فى هذا) .

وتتابعت المحاولات لامتصاص مشاعر السخط العربية .

فى سنة ١٩٣٠ قر الرأى فى لندن على ارسال لجنة تقصي الحقائق برئاسة السير وولتر شو ، وحددوا لها مهمة تقصى الأسباب المباشرة التى أدت الى ثورة القدس — فى أغسطس سنة ١٩٢٩ — التى نشأت عن مناوشة طعن فيها صبى يهودى ، وسرعان ما سرت الثورة الى مختلف المدن فى الأقاليم وقتل فيها ١٣٣ يهوديا و ٨٧ عربيا ، قتل عدد منهم برصاص القوات المسلحة وهى تحاول السيطرة على الموقف .

وأقامت اللجنة ثلاثة أشهر استمعت فيها الى ١٣٠ شاهدا ، وعادت لتقدم تقريرها فى مارس سنة ١٩٣٠ ، وقد جاء فى هذا التقرير :

١ — أن عددا كبيرا جدا من المهاجرين الصهاينة ، لا تحتمله البلاد ، حتى على الأسس والمقاييس التى رسمتها الحكومة لدخولهم .

٢ — أن هؤلاء المهاجرين يزيحون العرب ، ويحلون محلهم ، وأن (الفترة التى تكون فيها الهجرة كثيفة

تعقبها بطالة شديدة ، وارتباك اقتصادى شديد) .

٣ ـ أن مقاومة العرب للهجرة اليهودية. مقاومة (لها اساس متين ، من حيث كونها تنبع من النتائج المعروفة للهجرة المفرطة التى تدفقت على البلاد من قبل ، وأن ذلك الشعور سيكون بلا شـــك عاملا لابد وان يساهم فى انتفـاضة ، اذا ما أضيفت اليه أسباب أخرى لقيـــام اضطرابات مباشرة أكثر منه) .

وترتب على هذا التقرير أن أصدرت الحكومة (كتابا أبيض) سنة ١٩٣٠ يقرر أن الحـكومة ستتحكم ـ عن طريق ادارة فلسطين ـ فى الهجـرة الصهيونية ، وفى شراء الأراضى ، وستمنع أى زيادة فى أى منهمـــا قد تجعل البلاد فى حال من الارتباك الاقتصادى .

ومع أن ما فى (الـكتاب الأبيض) يمـكن تزييفه (تطبيقا) ، فقد قوبل من قبل اليهود بصراخ بركانى ، ولم يكد يمر يومان على صـــدوره حتى أبرق الجنرال سمطس الى رئيس الوزراء معربا عن (كدره الشديد) لهذا (التراجع عن التصريح البلفورى) ، وحث على وجوب اعادة توكيد هذا التصريح ، وعلى وجوب اعادة تشكيل سياسة الحكومة فى فلسطين من جديد .

واستقال الدكتـــور وايزمان من رئاسة المنظمـــة الصهيونية ، وفى الولايات المتحـــدة استقال المستر واربورج من رئاسة مماثلة ، واستقال اللورد ملشيت من المنظمة ومن الوكالة اليهودية ، وتبعهم عدد كبير ممن يشغلون وظائف رئيسية ، وقامت المظاهرات وانهالت الاحتجاجات من اماكن مختلفة .

وانتهى الامر باستسلام مزر ، من الحكومة البريطانية للضغط الصهيونى ، فى شكل رسالة (أو كتاب اسود) من رئيس الوزراء الى الدكتـــور وايزمان ، بتـــاريخ ١٣/٢/١٩٣١ م ، وقد كان كتابا مطولا تبلغ كلماته حوالى ٢٧٠٠ كلمة ، تعال وتشرح وتعتذر ، وتترجم عن موقف شاذ لحكومة مستر مكدونالد ، ورفاقه .. فقد اثبت (الكتاب الأسود) — فى نظر العرب — قوة النفوذ الذى يستطيع يهود العالم أن يفرضوه على الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس ، وبذلك فقدوا الثقة التى كانت تخايل بعض ساستهم ، فما كان أحد يتصور أن الكلمات يمكن أن تلتوى ، فتصبح (السلطة التى تفكر فى الحكومة فى قرنها بهذا الاشراف — على الهجرة والامتلاك — سلطة تنظيمية لا تحريمية) اذ (من الخطأ القول بأن حكومة صاحب الجلالة تنوى الا تسمح بالمزيد من هجرة اليهود ، طالما كانت هذه الهجرة لا تحول دون حصول العربى على عمل) .

وتزايدت الهجرة سنة ١٩٣٢ بصورة خطيرة ، وأخذ العرب يحتجون بعنف ، دون جدوى .

وفى مارس سنة ١٩٣٣ نشرت (اللجنـــة التنفيذية العربية) بيانا وطنيا أعلنت فيه أن الحكومة هى العـــدو الحقيقى الذى يجب على العرب الخلاص منه (بـــكل وسيلة قانونية) !!

وفى أغسطس ســـنة ١٩٣٢ طالب المؤتمر الصهيونى المنعقد فى براغ بوجوب أن يبنى الوطن القومى بأسرع وقت ممكن ، وعلى أوسع نطـــاق .. فطالبت (الهيئة العربية العليـــــا) — المشكلة سنة ١٩٣٦ من مختلف

الأحزاب برئاسة الحاج أمين الحسيني مفتى القدس ـ بايقاف الهجرة الصهيونية برمتها ، وبتحريم انتقال اية أراض عربية بعد ذلك الى الصهاينة ، وباقامة حكومة وطنية تكون مسئولة أمام مجلس نيابى ينتخب عن طريق الاقتراع العام الديمقراطى .

وجرت عدة اغتيالات ومهاجمات من الجانبين ادت الى (عصيان مدنى) عام ، وتوقفت حياة البلاد ، واشتدت أعمال العنف ، وألحق الدمار بالممتلكات الصهيونية ، وبالتدريج تحولت الاضطرابات الى حرب صغيرة ، شنت فيها الهجمات على السكك الحديدية ومراكز الشرطة ، وانتشرت أعمال القنص ، وتشكلت العصابات فى التلال ، وامتنع الناس عن دفع الضرائب .

وأخذت العصابات العربية تكتسب مظاهر القوات العسكرية المنظمة تحت قيادة فوزى القاوقجى الضابط السابق فى الجيش التركى ، ثم فى الجيش العراقى .

وسقط عدد من المسئولين البريطانيين فى فلسطين برصاص القناصة .. فعززت القوات البريطانية،واتخذت اجراءات تعسفية خطيرة لضرب القضية الوطنية كلها .

وكان أن أرسلت (لجنة بيل) ـ لورد بيل نائب الملك السابق فى الهند ـ فأخذت تحقق وتستوجب ، وقدمت تقريرها فى يوليه سنة ١٩٣٧ مقترحة تقسيم فلسطين الى ثلاثة أقسام : القسم الساحلى مع ما يليه من سهول خصبة لليهود ، والقسم الداخلى الذى يكون مع شرق الأردن كتلة واحدة للعرب ، وبينهما دولة الانتداب ، تشمل القدس وبيت لحم والناصرة ، وتشرف على

القسمين الآخرين بمقتضى معاهدتين تبرمهما مع كل على حدة .

ولم يجد العرب بدا من رفض قرار التقسيم واستئناف الجهاد ، فردت الحكومة البريطانية بعنف .. خربت القرى ، وسجنت الأحرار ، وأقامت المحاكم العسكرية فى كل ناحية ، ثم حلت الهيئة العربية العليا ، واعتقلت أعضاءها ، واستطاع (المفتى) أن يفر الى بيروت فالعراق .. هذا بينما تنعم (الوكالة اليهودية) فى أحضان حكومة الانتداب بالأمان ، تنظم شئونها ، وتدبر خططها للمستقبل فى طمأنينة ورضاء .

وتألفت لجنة أخرى برئاسة (وود هد) قدمت مقترحات أخرى للتفسيم فى نوفمبر سنة ١٩٣٨ ، فقررت انجلترا أنها كلها مشروعات غير قابلة للتنفيذ ، ما دامت لا تحظى بقبول الرأى العام العربى الذى أخذ يعلن استنكاره — بكل قوة — لسياسة بريطانيا الجائرة ، وصارت قضية فلسطين قضية الشعوب العربية جميعا .

واضطرت بريطانيا الى عقد (مؤتمر المائدة المستمرة) فى لندن أوائل عام ١٩٣٩ م يحضره ممثلو الدول العربية ، وتظاهرت بأن غرضها التوفيق بين العرب واليهود ، فدعت ممثلى اليهود أيضا ، تبحث الأمر مع كل فريق على حدة ، فهاجم العرب الانتداب واقتراح التقسيم .. وأوضحت بريطانيا رأيها فى (كتاب أبيض) نشر فى نفس العام ، يطالب بادخال ٧٥ ألف يهودى فى الأعوام الخمسة التالية ، على ألا يدخل البلاد أى يهودى آخر بعد ذلك الا بموافقة العرب .. وشنت الصهيونية حملة واسعة على ما جاء فى هذا (الكتاب الأبيض) ، وحمل

ونستون تشرشل لواء المعــــارضة ضد رئيس الوزراء (نيفيل تشمبرلين) .
ثم انفجرت الحرب العالمية الثانية .

المانيا والعنف الصهيونى :

آخذ المد العدوانى ضد اليهود طريقه فى المانيا عقب تولى النازية الحكم سنة ١٩٣٣ ، فاتجه الشباب الى اشعال نار العداء ضد كل من ليس جرمانيا آريا ، وأصــــدر هتلر قرارا بمقاطعة اليهــود (أول ابريل سنة ١٩٣٣) باعتبارهم لصوصا وجواسيس على المانيا ، وفى السابع من ابريل ــ من نفس العام ــ أصدر قرارا بفصل كل من ليس آريا من عمله ، وفى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٥ صدر القانون الذى يقضى بضرورة الاحتفاظ بنقاء الدم الآرى ، وأصبح اليهود مواطنين من الدرجة الثانية .. فهاجر الكثيرون الى أمريكا وفلسطين . وفى مارس سنة ١٩٤١ م صدر قرار بالقضاء البيولوجى على اليهود ، وأنتقل اليهود الى غرف الغاز بمئات الألوف ــ أو الملايين كما يقولون ــ فى داخاوا ويلزن وتزلنكا وبوخنفالد وأوشفتس وغيرها من معسكرات الاعتقال .. وان كان ما جاء فى كتاب (جاحاش) ــ أى التصلب الانسانى ــ بقلم المحامى وعضو البرلمان شموئيل تمير ، وما ورد فى محاكمة الدكتور كاستنر ــ يفيد أن رؤســــاء الوكالة اليهودية كان لهم التأثير المباشر فى ابادة يهود هنغاريا ، البالغ عددهم ٨٥٠ الفا ، من أجل التوجه الى العــالم بعد ذلك ، للمطالبة بثمن تلك المجزرة ، وكان الثمن فى ذلك الحين اقامة دولة صهيونية .

وجاء فى كتاب (ايخمـــان فى أورشليم) أنه تمت عمليات تبادل (حفنة من الصهاينة نظير الموافقــة على ابادة مئات الألوف من اليهود العاديين) !!

ولقد انعكس هذا العنف الألمانى الصهيونى على الوجود اليهودى فى فلسطين ، فتألفت الجمعيات الارهابية ، وظهرت عصابات (الهاجاناه) ـ أى الدفاع ـ و (أرجون زفاى لومى) ـ أى الهيئــة الوطنيــة الحـــربية ـ و (اشتيرن) نسبة الى زعيمها ، الذى كان أحد أفراد العصابة التى اغتالت اللورد موين بالقاهرة سنة ١٩٤٥م.

وكما جاء فى (الكتاب الأبيض) سنة ١٩٣٩ ، أخذت انجلترا بمبدأ تقييد الهجرة ، دون ارادة الصهاينة ، فنشطت العصـــابات الصهيونية قتــلا وتدميرا لترغم الحـكومة الانجليزية على تغيير سياستها ، ممــا ساعد على ازدياد الاضطراب ، واختلال الأمن ، وبخاصة أن نوعيات مختلفة من المهاجرين المدربين على حمل السلاح ظلوا يتسللون الى البلاد بوسائل متعددة .

تعاظم دور أمريكا :

فى سبتمبر ١٩٤٤ أعلنت وزارة الحرب البريطـانية عن تكوين فرقة يهودية تقاتل الى جانب الحلفـــاء ، وأصبح للفرقة علمهـــا الذى تحمله فى الاستعراضات العسكرية .

ولما كان هذا قد تم والحرب مؤذنة بالانتهاء ، وتبين رجحان كفة الحلفاء ، فقد أصبح الأمر مقصورا على اعداد جيش قوى يكون عونا على قيام دولة اسرائيل .

فاذا أخذنا فى الاعتبار أن النفوذ الصهيونى فى الكونجرس الآمريكى حصل على توقيع ثلث أعضاء الكونجرس ، الى جانب توقيعات ١٥٠٠ شخصية أمريكية على بيان يطالب بانشاء جيش يهودى - عرفنا كيف أن وايزمان استطاع الحصول على اعلان وزارة الحرب البريطانية ، من جل تكوين نواة الجيش الاسرائيلى .

ومن قبل (فى أكتوبر سنة ١٩٤٣) نجح الصهاينة فى جعل الكونجرس يصدر قرارا رسميا بتأييد مطالب الصهيونية فى اقامة دولة يهودية ، مما حدا بالصهاينة الى محاولة تجاوز الوجود البريطانى ، ومخالفة القوانين التى سنتها حكومة الانتداب الانجليزى ، وتسربت الأسلحة البريطانية والأمريكية الى أيدى الهاجانا وأرجون زفاى واشتيرن ، وتحولت الى صدور وظهور العرب والانجليز معا .

وما كادت الحرب تنتهى سنة ١٩٤٥ حتى سقطت حكومة المحافظين ، وتولت حكومة العمال متنصلة من أى التزام يقيد حركتها لصالح الصهاينة .

وفى الوقت ذاته خلف (ترومان) روزفلت فى رئاسة الولايات المتحدة ، بعد ما خرجت من الحرب أقوى دولة فى العالم ، ولم يكن للولايات المتحدة الحنكة والدراية السياسية ، فاندفع (ترومان) فى السياسة الدولية ، بحركه الاحساس بقوة بلاده ، وبخاصة أن الحلفاء كانوا يعانون من آثار الحرب التى خرج منها المهزوم والمنتصر على حد سواء .

ويجب ألا ننسى دور المليونير اليهودى (برنارد باروخ) الذى كان مستشارا للبيت الأبيض بشكل دائم ، خاصة

فى عهدى ترومان وايزنهاور .

فلما طلب ترومان من الحكومة البريطانية الترخيص بهجرة ١٠٠,٠٠٠ يهودى الى فلسطين لم يجد الانجليز بدا من اصدار قرار بفتح باب الهجرة بنسب معينة ، وان قيل ان هذا اجراء مؤقت .

وتشكلت لجنة انجليزية أمريكية برئاسة (هتشسون) القاضى الأمريكى للنظر فى مسائل الهجرة والاقامة وغير ذلك من الشئون الفلسطينية . وجاء تقرير اللجنة سنة ١٩٤٦ مؤيدا لطلب (ترومان) أن تلغى بريطانيا قوانين تحديد الهجرة والملكية ، لكنه أوصى بألا تصبح فلسطين دولة يهودية أو عربية ، بل تكون حكومة فلسطين خاضعة للضمانات الدولية التى ترعى احترام مصالح المسلمين والمسيحيين واليهود فى الأراضى المقدسة . وذلك كخطوة مرحلية .

وتحت تأثير أمريكا والدول الاستعمارية ، وبين المؤامرات والمناورات . واغراءات الصهاينة للمندوبين ، اجتمعت الجمعية العمومية للأمم المتحدة واصدرت فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ قرارا يقضى بتقسيم فلسطين الى دولتين : عربية ويهودية ، ووضعت الخرائط الموضحة لحدود هذا التقسيم .

وجاء فى مذكرات ترومان : (الحقيقة هى أن الضغط الذى وقع على الأمم المتحدة فى ذلك الوقت لم يكن له مثيل قط ، وأن البيت الأبيض تعرض لضغط لا أظن البيت الأبيض تعرض لمثله فى أى وقت .. ان اصرار والحاح الزعماء الصهيونيين الذى تحركه دوافع سياسية مصحوبة بالتهديدات قد ضايقنى وأزعجنى حقا ، بل ان

بعضهم كان يطلب منا أن نضغط على دول ذات سيادة للحصول على الأصوات المطلوبة فى الجمعية العامة) .

وذرا للرماد في العيون نجت من هذه الضغوط ثلاث عشرة دولة عربية واسلامية بالاضافة الى الهند واليونان وكوبا .

وفى ١٨ مارس ١٩٤٨ قابل وايزمان ترومان .. وانفتح الباب لقرار أمريكى جديد ، هو الاعتراف باسرائيل يوم ١٤ مايو من نفس العام ، بعد احدى عشرة دقيقة فقط من قيام الدولة ، ولم يسبق أمريكا الى الاعتراف سوى الاتحاد السوفييتى !!

والعرب .. ماذا يملك العرب ؟!

ما كان للعرب الا أن يرفضوا القرار ، وأن تثور عواصف السخط والاحتجاج ...

وما جدوى الرفض والسخط . والمقدرات العربية ليست فى أيد عربية ؟!

لقد أصبحت أمريكا صاحبة القرار ، حتى ترضى اليهود ، فتحرز أصواتهم ، وتنتفع بنفوذهم ، وحتى يكون لها فى قلب الشرق العربى قاعدة استعمارية تحرك بها الريح حيث تشاء .

وظلت انجلترا تجرى لاهثة خلف أمريكا ، لتؤكد دورها الطليعى فى خدمة الصهيونية ، وكما يقول وايزمان فى مذكراته : (لقد احتضنت بريطانيا حركة الصهيونية منذ نشأتها ، وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها ، ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب لليهود فى سنة ١٩٣٤ ، ولولا الثورات المتعاقبة التى قام بها عرب

فلسطين لتم انجاز هذا الاتفاق فى الموعد المذكور) .

ويقول بن جوريون : (ان حزب العمال كان قد سبق له أن اتخذ خلال الحرب قرارات تدعو الى قيام دولة يهودية ، قرارات فيها ما هو أكثر مما طالبت به الوكالة اليهودية نفسها فى أى وقت ، وخصوصا قرار يقضى باقتلاع كل العرب فى الدولة اليهودية ، ونقلهم الى البلاد العربية المجاورة) .

وأعلنت انجلترا ان الانتداب سينتهى فى أغسطس سنة ١٩٤٨ ، ثم قدمت الميعاد فجأة ليكون فى ١٥ مايو من نفس العام .. بعد أن هيأت لليهود سبيل الاستيلاء على المناطق الاستراتيجية ، وبعد أن دربت للاسرائيليين جيشا زودته بأحدث الأسلحة واضطربت الحركة العربية بين حرب شعبية وأخرى نظامية .

واستهلت اسرائيل تزأر :

فى سنة ١٩٤٨ حركت اسرائيل وأمريكا الجيوش العربية تحت قيادة (جلوب) — رئيس الأركان للملك عبد الله القائد العام للجيوش العربية — فتمكنت اسرائيل من الاستيلاء على أرض فلسطين ، ما عدا الضفة الغربية للأردن وقطاع غزة .

ومما يؤسف له أن الزعماء العرب شجعوا الفلسطينيين على الهجرة ، على أمل أن يلحقوا باليهود هزيمة سريعة .. فكان عدم تحقيق النصر عاملا على خلق مشكلة اللاجئين ..

وكانت نهاية المطاف عقد الهدنة فى (رودس) — مارس

سنة ١٩٤٩ فانتهت الحرب ، وشرد أكثر من ثمانمائة ألف عربى ، بعد مذابح رهيبة فى دير ياسين وغيرها من القرى العربية .

يقول توينبى : لقد شاركت ثلاثة عوامل فى وقوع كارثة فسطين : أولها صعود الطائفة اليهودية فى الولايات المتحدة الى درجة من القوة الاقتصادية والسياسية فى حلبة السياسة الأمريكية الداخلية ، يسعى كل من الحزبين المتنافسين الى الاستعانة بها ، ويتجنب اغضابها ، أو تنفيرها ... وثانى هذه العوامل الحاسمة القتل الجماعى لليهود فى أوروبا ، فيما بين سنوات ١٩٤٥/١٩٣٣ على أيدى الألمان المسيحيين .. وثالثها اندلاع الحرب الباردة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية .

ويمكن اضافة عامل آخر أهم ، وهو المهارة الفائقة فى استغلال العوامل السابقة لحساب المخطط الصهيونى .. لدرجة أن الدول الكبرى صارت تتنافس فى خطب ود اسرائيل بالمساعدات المالية والعسكرية ، وتشجيعها على المذابح الاجرامية لتكسب كلّ يوم أرضا جديدة .

هذا الى الاخفاق العربى بسبب من القصور الذاتى ، وعدم القدرة على اللعب بأوراق كثيرة كانت فى حوزتهم ، فضلا عن الوقوع فى براثن السياسة الدولية ، والمتاجرة الحزبية ، والمناورة الفردية .

ومع ذلك يقول بن جوريون : (ان اسرائيل ليس لها فى العالم غير حليف واحد وفى ، هو الشعب اليهودى ، ان اسرائيل هى الدولة الوحيدة فى العالم التى لا أقارب لها ، سواء من ناحية الدين أو اللغة أو الأصل .. انها

شعب يعيش فى هذا العالم بمفرده) .

عبارة هى مزيج من لفة (التوراة) الاستعلائية ، ومن حياة (الجيتو) الانعزالية ، ومن وقفة (حائط المبكى) العدوانية ...

عبارة يترجمها القتل والتخريب والتدمير فى الأرض العربية .

فى أول اكتوبر سنة ١٩٥٣ قامت وحدة من الجيش الاسرائيلى بمهاجمة قرية قبية الأردنية دون انذار ، ونسفت حوالى ٣٠ منزلا على رءوس ساكنيها ، وقد ذهب ضحية تلك الغارة أكثر من ٥٠ رجلا وامرأة وطفلا .

وفى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ شنت غارة على قطاع غزة ، أعقبتها غارة أخرى فى ٣١ أغسطس من نفس العام على خان يونس وما حولها .. وأعملت القتل والتخريب والنهب والسلب .

وعشية الهجوم على مصر سنة ١٩٥٦ قامت قوات الأمن الاسرائيلى على كفر قاسم بغارة وحشية قتلت فيها ٤٩ من الفلاحين العرب بينما كانوا عائدين من حقولهم ، بتهمة خرق نظام منع التجول الذى فرضته السلطات الاسرائيلية صباح ذلك اليوم ، والفلاحون فى حقولهم لا يعلمون

وفى سنة ١٩٥٦ تحركت كل القوى التى تعمل اسرائيل من خلفها .. فشنت انجلترا وفرنسا عدوانا على مصر لتحطيم قواها العسكرية والاقتصادية والسياسية ، التى أخذت تنمو .. وجمدت أمريكا

ارصدة مصر لديها ، وشنت عليهـــــا حربا اقتصادية سنة ١٩٥٧ ، ومنعت تزويدها بالقمح ، حتى يطحنها الجوع فتستسلم .

وفى ســنة ١٩٦٢ أمــكن الايقاع بمصر ، لاستنزاف قواها ، فى معركة اليمن ، مما شجع اسرائيل على القيام بحرب خاطفة غادرة سنة ١٩٦٧ ، لتقضى على كل أمل للعرب فى استعادة الأرض ، ولتمد اسرائيل أجنحتها فى غزة وســيناء والضفة الغــربية للأردن ومرتفعات الجولان .

وفى ١٥ يونيه سنة ١٩٦٩ صرحت جــولدا مائير ــ رئيسة وزراء اسرائيل آنذاك ــ حين سئلت عن مصير الفلسطينيين ، بقولها : (الفلسطينيون ؟ أين هم ؟ ليس شىء كهذا) !!

ومن المثير حقا أن ما قالته مائير سنة ١٩٦٩ انما هو ترديد عبارة تتكرر بصورة أو بأخرى ، عن سياسة مرسومة منذ بداية التفكير فى انشاء دولة يهودية .

لم يشر هزتزل فى كتابه (الدولة اليهودية) ــ الصادر سنة ١٨٩٦ م ــ اية اشارة الى العرب ، واكد فى حديث له أن المشروع الصهيونى واضح للغاية ، وسهل التحقيق ، اذ هو (اعطاء أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) .

وحين سأل اينشتين وايزمان : (وماذا ســـيحدث للعرب اذا أعطيت فلسطين لليهود ؟) أجاب وايزمان : (اى عرب ؟ انهم قليلو الشأن ؟) .

وفى هذا الوقت كان اليهود ٢٥ الفا بين نصف مليون فلسطينى !!

وفى سنة ١٩٤٨ رد بن جوريون على الكونت برنادوت

وسيط الأمم المتحدة – حين طلب منه أن يترك العرب يعودون الى ديارهم – بقوله : (سنفعل كل شيء حتى لا يعودوا أبدا) !!

***

ومن الجـــــدير بالذكر هذا الحــوار الذى دار بين المستشرق اليهودى (ليوبولد فايس) – الذى أسلم وتسمى باسم (محمد أسد) – وبين حاييم وايزمان ...

التقيا فى بيت صديق يهودى أيضـــا بفلسطين سنة ١٩٢٢ ، قبل أن يسلم محمد أسد بأربع سنوات .

قال فايس : كيف تأملون أن تجعـــلوا من فلسطين وطنا لكم فى وجه مقاومة عنيفة من العرب الذين هم على أى حال أكثرية أهل البلاد ؟

فهز الزعيم الصهيونى كتفيه ، وأجاب بجفاء : اننا نتوقع ألا يكونوا أكثرية فى سنين قلائل .

قال فايس : بغض النظـر عن الصعوبات السياسية التى قد تنجم عن مقاومة العرب ، ألا تجد فى نفسك اهتماما بالناحية الانسانية والخلقية فى هذه القضية ؟ ألا ترى فى طرد أناس من بلادهم – التى لم يزالوا يسكنونها منذ القدم – فعلا خاطئا من جانبكم ؟

فأجاب وايزمان : ولكنها بلادنا نحن ، واننا لا نعدو بذلك استرداد ما كان أخذ منا بغير وجه حق .

قال فايس : غير انكم ما زلتم بعيدين عن فلسطين طوال ألفين من السنين تقريبا ، وقبل ذلك كانت مدة حكمكم البلاد أقل من خمسمائة سنة ، ولم يشملها كلها الا فى فترة وجيزة منها ، أفلا ترى أن العرب يحق لهم

بهذا المنطق المطالبة باسبانيا ، اذ حكموها سبعمائة سنة تقريبا ، ولم تدل دولتهم فيها نهائيا ، الا منذ خمسمائة سنة فقط ؟

هنا بدا الدكتور وايزمان كأنما ضاق ذرعا بى ، وقال : محال ، انما غزا العرب اسبانيا ، ولم تكن موطنا لهم من قبل ، ولقد كان وجه الحق أن يخرجهم الأسبان منها .

فدفعت زعمه قائلا : عفوك يا دكتور ، يبدو لى هنا خطأ تاريخى ، ان العبرانيين على أى حال قدموا فلسطين غزاة أيضا ، ولقد توطن فيها لعصور خلت كثير من القبائل السامية ، ومنهم الأموريون والأدوميون والفلسطينيون والموابيون والحيثيون ، وقد ظلت هذه القبائل مقيمة فى فلسطين ، حتى فى أيام مملكتى اسرائيل ويهوذا ، ولم يزالوا كذلك الى ما بعد طرد الرومان أسلافنا من هذه الديار ، وهم أولاء يعمرونها حتى يومنا هذا .. ان العرب الذين أقاموا فى سوريا وفلسطين بعد الفتح الاسلامى فى القرن السابع الميلادى انما كانوا أقلية ضئيلة فى السكان ، أما البقية الذين يطلق عليهم اسم (العرب السوريون ، أو الفلسطينيون) انما هم فى الحقيقة المستعربون من سكان البلاد الأصليين .. (الأصليين) بمعنى انهم توطنوا البلاد حتى من قبل العبرانيين ؟

ولم يملك وايزمان ــ بعد هذا ــ الا أن يبتسم ، وأدار بلباقة دفة الحديث الى موضوعات أخرى ...

أكثر من سؤال :

لماذا تآمر العـالم الغربى والشرقى لمصلحة اليهود ، على حساب الحق العربى ؟

ألم تطرد بريطانيا اليهود ، وتمنع دخولهم أرضها مدة ثلاثة قرون ؟

ألم يطردهم القديس لويس التاسع عشر من فرنسا ، ويحرق تلمودهم ؟

ألم تطردهم أسبانيا والبرتغـال ، وتحرما دخولهم البلاد ؟

الم يصدر الملك فرديناند والملكة ايزابيل مرسـوما يقول : (نحن نأمر جميع اليهـود واليهوديات ـ على اختلاف أعمارهم ـ أن يغادروها قبل نهاية شهر يوليه من هذه السنة ـ ١٤٩٢ م ـ هذه البلاد ، بلا رجعة ، وأن يصحبوا معهم آباءهم وبناتهم وخدامهم وخادماتهم ، وأقاربهم ، كبيرهم وصغيرهم) ... ودام هـذا الطرد خمسة قرون ؟

ألم يقل بنيامين فرنـكلين رئيس الولايات المتحـدة الأمريكية :

(فى أى أرض يحل اليهود يصبح المستوى الخلقى والمعنوى منحطا ، والمعاملات التجارية تجرى بصورة غير شريفة) .

« واذا لم يطرد اليهود من الولايات المتحدة الأمريكية بموجب نصوص الدستور ، فانهم سيفدون على بلادنا

خلال المائة عام القـادمة بأعداد كبيرة (١) تؤدى الى ان يحكموا البلاد ، ويغيروا شكل حكومتنا ، وهى ما بذلنا ــ نحن الأمريكيين ــ فى سبيلها دماءنا وأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا الشخصية .

« واذا لم يطرد اليهود من بلادنا خلال مائتى عام فان أبناءنا سوف يعملون فى الحقول لاطعام اليهود ، بينما يقيم اليهود فى قصورهم يفركون أيديهم فرحا وسرورا) ؟

فلماذا تغير الموقف ؟

هل هى وسيلة القضـاء على السرطان اليهودى فى جسم شعوب أوروبا وأمريكا ؟

هل هى مطامع الاستعمار فى الأرض العربية ، التى أخذت تتكشف عن كنوز كثيرة مخبوءة ؟

وما ضمانة أن يكون الوجود اليهودى فى صالح الوجود الاستعمارى ؟

أهو تصريح دزرائيلى سنة ١٨٩٩ يخاطب بريطانيا : (ان ساعدتمونا على اقامة دولة بفلسطين ، حفظنا لكم الجزء الشرقى من قناة السويس) .. واتخذ من هذا التصريح وأمثاله قاعدة معاهدات سرية ؟

يقول رئيس جمعية (بناى برث) الصهيونى فى المؤتمر

---

(١) فى سنة ١٨٢٠ كان فى أمريكا كلها عشرة آلاف يهودى ، وفى سنة ١٨٨٠ كان عدد اليهود ربع مليون ، والان فى أمريكا ستة ملايين ، نصفهم فى نيويورك وحدها ، وفى نيويورك صحف عبرية ، ومجلات بلغه اليويش ، الخليط من العبرية والآرامية والالمانية ، وصارت شـيكاغو الميدان الثانى للنشاط اليهودى الصهيونى ، فى مجال المال والاعلام ، وصار اليهود قوة ضاغطة على السياسة الامريكية ــ أنظر قول ترومان فى هذه الدراسة .

الصهيوني الأول الذى عقد في بازل سنة ١٨٩٧ م :
(علينا أن ننشر روح الثورة بين العمال ، وهم الذين سندفع بهم الى خطوط دفاع العدو ، موقنين بأنه لا نهاية لرغباتهم ، ونحن بأمس الحاجة الى تذمرهم ، لأنه السبيل الى تخريب المدنية المسيحية ، والوصول سريعا الى نشر الفوضى فيها ، ولسوف يحين الوقت الذى يطلب فيه المسيحيون أنفسهم الى اليهود أن يتسلموا (السلطة) .

فاذا ادى هذا الاتجاه الى سيطرة الصهيونية على رؤس الاموال ، كما سيطرت على منابع الفكر الغربى ووسائل نشره ، وفى ذلك يعلن ويلارد اسنوبى — احد اساتذة جامعة ييل — (ان الصهيونية قد بطشت بالفكر الحر ، حتى أصبح المثقفون وذوو الراى فى الغرب عاجزين عن المجاهرة بما يرون ، اذا كان فيه ما يعارض الصهيونية او ما يغضبها ، خشية فقد الرزق او فقد الحياة) .

فاذا كان هذا أمر الصهيونية فى بلاد الغرب الذى احتضنها ، واذا كانت الصهيونية قد تسللت الى الأحزاب السياسية والى الجمعيات الدينية المسيحية فى أنحاء العالم الغربى حتى أصبح مجلس الكنائس العالمى معبرا عن الأهداف الصهيونية ، اذ يقول هذا المجلس فى مؤتمره الثالث المنعقد فى نيودلهى سنة ١٩٦٦ م : (لابد من تهيئة التعليم الدينى المسيحى ، وتقريبه لأذهان المسيحيين على نحو يبرىء اليهود من تبعات الأحداث التاريخية التى أدت الى صلب المسيح) .

واذا عرفنا أن الكنيسة الأمريكية قوةاقتصاديةضخمة، وأن اقتصاد الفاتيكان يقدر بمليارات الدولارات ،

موزعة على عدد كبير من بلدان العـــالم .. وهـذه الاستثمارات تخضع لمخططات صهيونية ، وتتداخل مع الاستثمارات اليهودية .

واذا عرفنا أن جملة وسائل الاعلام الغـــربى تخضع لراس المال الصهيونى .

واذا ادركنـــا هذا كله لم ندهش أن تتنافس أمريكا وروسيا على سرعة الاعتراف بالدوله اليهــوديه سنه ١٩٤٨ م .. وان كلتا الدولتين الكبريين تعهدان بحدود آمنة للدولة المحتلة ارض البلاد المجـاورة لفلسطين .. وكيف لعب زعماء أمريكا وروسيا بقـادة العرب سنة ١٩٦٧ حتى اخذتهم اسرائيل وهم يحلمون بوعود السلام .. وكيف تدخلت الدولتان لوقف الحرب سنة ١٩٧٣ ، بل لمحـاربة الجيش المصرى ، حين فشلت التقـديرات العالمية لخطورة القوة العربية .

وبماذا نفسر تصريحات زعماء أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفييتى من أجل حماية الـكيان الصهيونى ، وجرأة هؤلاء الزعماء لا تكاد تتعدى الموافقـة على الجلوس فى مؤتمر جنيف من أجل سلام يضمن الوجود الصهيونى فى الأرض العربية ، حتى تهدأ المشاعر العربية الى حين ، ثم تشب الأطمـــاع الصهيونية وثبة أخرى لتحقيق حلم « من الفرات الى النيل » .

ان الصورة قد تبدو وكأن زعماء الشرق والغرب قد وقعوا فى شرك المطامع الصهيونية ، وتبادل الطــرفان أحلام استغلال الطـــرف الآخر ، وترجمت الخطـوات الصهيونية الى أموال وأسلحة أوروبية وأمريكية ودعم بشرى من الاتحاد السوفييتى فى سبيل اعلان موشى ديان

سنة ١٩٦٧ : (لقد استولينا على أورشليم ، ونحن فى طريقنا الى يثرب ، والى بابل) .. ثم !!

ان علينا أن ندرك ان المطامع الصهيونية مطامع عالمية ، ومن خلف هذه العالمية تتشابك الاحلام الصهيونية بالاحلام الشرقية والغربية .

الصهاينة ــ كما صرح اسحق رابين فى سبتمبر سنة ١٩٦٧ م ــ (يبحثون مثل الصليبيين عن تبرير دينى ، وهم يرفضون مثلهم الاندماج فى السكان المحليين ، ويعتمدون فقط على التفوق العسكرى .

والصهاينة مثل الصليبيين يعتمدون على التدفق المستمر لرؤوس الاموال القادمة من الغرب فى صورة تبرعات وأسلحة ورسوم حج ..

لكن الصليبيين انتهوا بفشل ذريع ، فبعد حروب استغرقت ثمانية اجيال ، واستمرت منذ الاستيلاء على القدس عام ١٠٩٩ م حتى رحيل آخر صليبى من عكا عام ١٢٩١ م ــ طرد الصليبيون الى البحر) .

وكان عليه ــ وهو القائد الاسرائيلى ــ أن يتعظ بخاتمة الصليبيين .. لكن الصهيونى الكبير يقول هذا القول فى معرض الفخر عقب هزيمة سنة ١٩٦٧ ، مدعيا ان ما حدث للصليبيين لن يتكرر لليهود لأن اليهود استفادوا من الدرس الصليبى ، فاقتحموا الأرض ، وارتبطوا بها ، ونزعوا سكانها عنها ، وانهم فى الطريق الى تحقيق ما لم يكن للصليبيين فى حساب !!

ومع أن معركة أكتوبر سنة ١٩٧٣ طامنت من غلوائهم الى حد ما .

ومع ان مبادرة السلام واتفاقية كامب ديفيد حققتا قدرا من النجاح فى الوصول الى الهدف ..

فان على العرب الذين ما زالوا يعيشون أوهامهم الرهيبة – دون أن يعوا كيف تتحرك التيارات السياسية عالمية وعربية ، ودون معرفة السبيل الى أن نثبت أقدامنا فى موقع يمكننا أن نأخذ طريقنا الى الهدف التحررى المستقبلى – على العرب أن يدركوا الخطر المحدق بهم ، وهم فى موقع الخذلان والضعف والتمزق ، قبل أن تنهش خطانا الذئاب المتربصة بنا فى أماكن ومؤسسات كثيرة فى أنحاء العالم ، ودون أن تلعق خطانا كلاب أخرى ضالة ، تجد لها مكانا فى وسائل اعلامية متعددة .

وعلينا أن نعرف عدونا من (الداخل) ، حتى نكيف سياستنا على أساس من التقدير الصحيح .

***

يقول عالم النفس الاسرائيلى جورج تامارين : ان الصراع داخل المجتمع الأسرائيلى يكشف عن نفسه ، فى التناقض الجذرى بين أنصار الاتجاهات التى تميل الى صياغة اسرائيل ، باعتبارها (جيتو) ، بالمعنى المادى والروحى للكلمة ، وهؤلاء الذين يجاهدون لاقامة مجتمع حر مفتوح .. هذا التعارض الجوهرى بالاضافة الى الخلاف بين أنصار التكامل مع الحضارة الانسانية المعاصرة ، أو الانعزال والبعد عنها .. وان جعل اسرائيل قلعة عسكرية حصينة بالنسبة الى جيرانها العرب – قد أدى الى عزل اسرائيل حضاريا ، وتحويلها الى (جيتو) كبير ، تسوده اتجاهات حضارية انعزالية ورجعية ، تنمو فيه الأفكار العنصرية ، وكانت النتيجة قطع أواصر

الاتصال بين الشباب الاسرائيلى والعالم ، مما ساعد على سيادة مشاعر مرضية ازاء أى نقد يوجه الى الممارسة السياسية والاجتماعية فى اسرائيل .

وقد أجرى هذا العالم الاسرائيلى دراسة ميدانية بين شباب المدارس الثانوية ، جاء فيها أن فتاة من مستعمرة (معوتشد) كتبت : (لقد تصرف يشوع بن نون تصرفا حسنا ، بقتله جميع الناس فى أريحا ، ذلك لأنه كان من الضرورى احتلال البلاد كلها ، ولم يكن لديه وقت لاضاعته مع الأسرى) !!

وكتب تلميذ فى الصف الثامن : (فى رأيى يجب على جيشنا فى القرية العربية أن يتصرف مثل يشوع بن نون ، لأن العرب هم أعداؤنا ، ولذلك — حتى فى الأسر — ستجدهم يفتشون عن وسيلة ليبطشوا بحراسهم) !!

مشاعر مرضية تنزف حقـــدا وسخطا وعنصرية ، ولا سبيل أمامها الا الدم ، والمزيد من الدم !!

ومع ذلك فقد ظهرت أخيرا فى المجتمع الاسرائيلى جماعة تدعو من أجل السلام .

يقـــرر عالم النفس اليهـــودى (روبنشتين) : أن الاسرائيليين كأفراد يتسمون باتجـاهات شـــك عميق الجذور تجاه الآخرين ، وهو يقرر أن تقسيم العالم بين اليهود وغير اليهود مكون أساسى من مكونات الهـوية اليهودية ، ووأن صورة غير اليهودى تحتل وضعا مركزيا فى ذهن اليهودى ، وما زال وضع الحدود بين اليهود وعالم غير اليهود له تأثير قوى غلاب فى اسرائيل .

بل أصبح الشك فى الوجود الاسرائيلى سمة مميزة .

جاء فى كتاب (الاسرائيليون الجدد .. تقرير عن الجيل الأول الذى ولد فى اسرائيل) تأليف داود شينبرن وآخرين — أن أحد شبان المستعمرات قال لعدد من السياح الأمريكان : طبعا أنتم سعداء بأن تكونوا فى هذه الأرض المقدسة .. لا أعرف لماذا تسمونها مقدسة ؟ ما هو المقدس فى الذى ترونه الآن ؟ صحراء وذباب .. وعرق وحشرات وزواحف .. وشباب نحيف حزين .. وأنتم سوف تعودون الى بلادكم الغنية الرخية ، وتشربون أطيب الخمور أمام التليفزيون الملون ، ثم يقول أحدكم للآخر : كنا فى اسرائيل ، ورأينا هؤلاء الشبان الأبطال على الأرض المقدسة .. وتتنهدون .. ولكن ما الذى قلتموه ؟ ما الذى بقى من هذه الأرض وأبناء هذه الأرض فى نفوسكم ؟ انها أرض ، ولكن ليست مقدسة الى هذه الدرجة ، ان جيل جولدا مائير هو الذى ثار على أوضاع اليهود فى العالم ، وآبائى هم الذين اكملوا هذه الثورة ، أما نحن فنريد أن تكون لنا حياة عادية .. اننا نتعلم كراهية العرب ، واحتقارهم ، ولكننا لا نستطيع ان نعيش حياة عادية كالعرب ، اننا نحسدهم على حياتهم الهادئة .. ان كل ما أريده أن أكون انسانا عاديا ، ولا أريد أن أكون حيوانا شرسا خائفا طوال الليل والنهار ... ومطلوب منى — باسم الوطنية والدين — أن أحب زوجتى وأبنتى ووطنى ، فمن أين آتى بهذا الحب ، اذا كان كل ما ينفجر فى داخلى هو آبار المرارة والكراهية والثأر ؟

يقول المؤلف : انه التقى بمئات الشبان يكررون نفس هذه المعانى بعبارات مختلفة ، انهم ساخطون على زعمائهم ، كارهون لحياتهم ، يتمنون لو ولدوا على أرض أخرى ، أو عادوا ليصبحوا مثل كل الناس العاديين فى بلاد

أخرى ، لا يحملون السـلاح ، ولا يحملون تحت السلاح شظايا شائكة من الخوف والكراهية .

تقول (يائيل ديان) فى قصتها (طوبى للخائفين) ، فى رسالة من (جيدون) الى (نيمرود) : (لقد كنت فاسدا وقويا فى البداية ، وهأنذا أنتهى فاسدا وضعيفا ... ان المرء يحتاج الى شجاعة لكى يخاف .. ولم تكن لدى هذه الشجاعة ، ولا أنت ، فانك مهدد بمصيرى .. سوف تجن وتدمر كل ما حولك ، وتدمر نفسك قبل كل شيء .. نصيحتى لك أن تترك أولادك يلعبون كالأطفال ، لا تدعهم يشبون على هذا الطراز الجديد الذى يزعمون ، لا تصنع منهم صخورا ، اننى أترك الأرض لألحق بمن هم أحسن منى ، مثل لاميش) الاسكافى العجوز الانسان ... هذا ..

ولو أننا وضعنا (خطة كونيغ) فى الاعتبار ، لـكان لنا أن نأخذ بزمام المبادرة من داخل اسرائيل ذاتها ، كما تحاول السياسة المصرية الجديدة .

خطة كونيغ :

فى السابع من أغسطس سنة ١٩٧٦ م قدم اسرائيل كونيغ ـ مفتش وزارة الداخلية للمقاطعة الشمالية ـ لرئيس الوزراء والسلطات المختصة (خطة) ، على شكل وثيقة سرية تحمل هذا العنوان ، بشأن وضع العرب فى اسرائيل ، وما يجب اتباعه فى معاملتهم .

وقد جاء فيها (ان احدى الظواهر الأكثر بعثا للقلق تتمثل فى غياب التسامح الذى يبديه اليهودى المتوسط

تجاه المواطن العربى ، وفى بعض الأحيـان ، يمكن أن يصل الأمر الى حد الحقد الحقيقى الذى يمكن لأية اثارة ــ مهما كانت تافهة ــ أن تحوله فى أى وقت الى انفجار غير مراقب من جانب الطرفين ، مع كل ما يترتب على ذلك من آثار سيئة داخل البلاد وخارجها) .

ونتيجة الاستفزاز الملح ، والعدوان المستمر (كف العربى فى اسرائيل عن أن يكون مستسلما ، وانتقل الى مرحلة قومية ، عبرت عن نفسها بشـــكل شفهى فى مناسبات ، مثل :

أ ــ زيارة رئيس الوزراء للناصرة منذ سنة تقريبا .

ــ تبنى الشـــعارات التى تعبر عن تمسكهم بمنظمة التحرير الفلسطينية أثناء مظـــاهرات طـلابية ، وفى مناسبات أخرى .

ــ الموقف الذى اتخذه الطلبة العرب فى الجامعات ، فيما يتعلق بدورات الحراسة .

ــ المظـاهرات القـومية أثناء انتخـابات البلدية فى الناصرة .

ــ التعبئة الاستثنائية وغير الاستثنائية لسكان الناصرة، لرفع ما عليهم من ضرائب محلية متأخرة لمساعدة (راكاح) فى تسيير المدينة .

ــ التجمع الجمـــاهيرى الاحتجاجى الذى نظم فى ١٤/٢/١٩٧٥ بقرية (سخنين) ، والذى صرح خـــلاله رئيس المجلس المحلى لمدينة تامرا : أن على اسرائيل أن تخشى العرب فى اسرائيل أكثر مما تخشى العرب فى الخارج .

- القرارات المتبناة أثناء التجمع الجماهيرى فى الناصرة ، يوم السبت ١٩٧٥/٣/٦ م .

- اعلان اضراب عام ينفذه كل السكان العرب فى اسرائيل لمدة يوم كامل يطلق عليه اسم (يوم الأرض) .

ب - توجيه نداء الى السكان العرب يطالبهم بعدم الاكتفاء بالاحتجاج السلمى ، بل الاحتجاج بالكفاح ، وعدم التخلى عن هذا الكفاح الا بعد تحقيق النصر .

جـ - اضراب جوع أمام مقر الأمم المتحدة ، كما يفعل بعضهم بخصوص يهود الاتحاد السوفييتى .

د - تصريح يقول : ان الحكومة فى بيت من الزجاج ، وسنكون نحن أول من يقذف الحجارة لكسره .

هـ - تصريح (سعد قاسم) رئيس المجلس المحلى لـ (ملولة) والذى يعتبر عنصرا ايجابيا ، وقد أنتخب نائبا عن لائحة تنتمى الى (المعارك) حيث يقول : (الى أى حق تستند الحكومة لمصادرة أراض لم تكن تشكل جزءا من الأراضى الاسرائيلية ، حسب مخطط التقسيم الذى أقرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ م) ؟

ومن أجل هذا ، يرى (كونيغ) من الناحية الديمغرافية :

أ - توسيع وتكثيف الاستيطان اليهودى فى كل المناطق ، حيث يقيم العرب ، بصفة دائمة ، ودراسة كل امكانيات بعثرة التجمعات العربية الموجودة من قبل ، ويجب توجيه اهتمام خاص الى المناطق المحاذية للحدود

الشمالية الغربية ، ولمنطقة الناصرة ، والى جانب ذلك يجب الحرص على تطبيق حازم للقوانين التى يمكنها أن تمنع انشاء مستوطنات عربية فى مختلف أنحاء البلاد .

ب ــ ينبغى اقامة زعامة يهودية فى عكا والناصرة العليا ، تكون قادرة على مواجهة التطورات المقلقة التى يمكن أن نتوقعها .

ج ــ اعتماد سياسة الجزاء والعقاب تجاه المسئولين، وتجاه المناطق العربية آلتى تظهر بشكل أو بآخر عداءها للدولة أو للصهيونية .

د ــ لكى نسحب من يدى (راكاح) احتكار الكفاح الوطنى ، وتمثيل العرب فى اسرائيل ، ولمنح وسيلة تعبير للمترددين ، يجب خلق حزب يكون مماثلا لحزب العمل ، يشدد على معانى المساواة والانسانية والثقافة واللفة والسلام فى الشرق الأوسط .. وعلى المؤسسات الاسرائيلية أن تتهيأ لممارسة حضور خفى ورقابة داخل هذا الحزب .

هـ ــ يجب اقامة تنسيق دائم ومطلق بين مختلف الوزارات والهستادروت والسلطات المحلية ، خاصة على صعيد العمليات الميدانية ، وتطبيق القرارات المتخذة بطريقة لا رجوع عنها ...

و ــ بذل كل الجهود الممكنة لدفع كل الأحزاب الصهيونية على ايجاد اجماع وطنى بخصوص العرب فى اسرائيل ، لتفادى الصراعات السياسية الداخلية فى هذا المجال .

كما يرى من الناحية التربوية :

أ - يجب تشجيع توجيه الطلاب العرب نحو الدراسات التقنية والرياضيات والعلوم الطبيعية ، فان هذا النوع من الدراسات يقلل من الوقت الحر المتروك لهم ، والذى يمكنهم توظيفه لصالح الالتزام بالقضية القومية ، وسيؤدى أيضا الى تخلى عدد كبير عن دراساتهم قبل نهايتها (١) .

ب - يجب تشجيع الطلبة الذين يذهبون لمتابعة دراستهم فى الخارج ، وزيادة المصاعب أمام عودتهم ، وأمام حصولهم على عمل فى اسرائيل ، ان بمقدور هذه السياسة حثهم على الهجرة .

جـ - اتخاذ اجراءات صارمة بأشكال مختلفة ضد كل المشاغبين الذين ينشطون فى الجامعات .

ويرى من الناحية الأمنية :

(يجب تكثيف تواجد قوات الشرطة والأمن من جميع الأنواع فى القطاع العربى ، من أجل ارهاب المتطرفين والمترددين الذين قد ينساقون الى أعمال التمرد والمظاهرات) .

هل ترانا نقرأ ما بين هذه السطور ، ونعيد رسم مخططاتنا ؟

---

(١) لعله يقصد عن طريق وضع العقبات أمامهم ، أو الاقتصار على الدراسة المهنية ..

الفصل الثانى

النشاط العقائدى

١ ـ العهد القديم ..

٢ ـ التلمود ..

٣ ـ العقائد اليهودية ..

٤ ـ الفرق اليهودية ..

٥ ـ الأعياد اليهودية ..

العهد القديم

سمى بالعهد القديم تمييزا له عن العهد الجديد (الانجيل) ويتألف (الكتاب المقدس) من العهدين .

والعهد القديم عبارة عن مجموعة أسفار رجال المجمع الأكبر الذى تأسس عقب العودة من السبى البابلى ، وكان مؤلفا من مائة وعشرين عضوا ينظرون فى شئون الشعب .. ومن أشهر رجاله عزرا ونحميا وزروبابل ودانيال وحجاى وزكريا وملاخى ومردخاى .

ويضم العهد القديم ثلاث مجموعات من الأسفار :

١ ـ **التوراة** : (بمعنى البشرى أو التشريع) : وتطلق على الأسفار الخمسة الأولى : تكوين ، خروج ، لاويين ، عدد ، تثنية .. وهى تحتوى على تاريخ الاسرائيليين حتى سنة ٢٤٠ ق . م .

تكوين : يتحدث عن اقامة اسرائيل فى مصر نحو مائتى سنة ، وميلاد موسى ، وتجلى الله له ، ودعوته الى خروج بنى اسرائيل من مصر ، الى سيناء ، وعناية الرب بالشعب فى سيناء ، ونزول الوصايا العشر ، وقصة عبادة العجل .

لاويين : يهتم بالتشريع وبخاصة القرابين والطقوس التى تهم الكهنة أبناء لاوى ، كما يحدث عن النجاسة

والطهارة وأيام العطلة والأعياد .

عـدد : احصاءات عن الشعب المختـار ، وانساب القبائل الاسرائيلية ، وتصوير ما حدث في سيناء حتى دخول أرض الميعاد .

تثنية : تكرار وتتمة لشريعة موسى ، اذ يحوى كلماته الأخيرة ، وخبر وفاته ، ووصيته أن يخلفه يشوع ، كما أنه يتضمن توزيع الأراضى على الأسباط .

٢ — الأنبيـاء :

ويتحدث عن الأنبياء الأول ، والأنبياء المتأخرين .

والقسم الأول يحتـوى على ثمانية أسـفار ، تبحث الستة الأولى فى تاريخ اسرائيل بعد وفاة موسى الى خراب الهيكل وخراب اورشليم (١٤٥١/٥٩٩ ق . م) والاثنان الآخران يتناولان تاريخ اسرائيل حتى العودة من السبى الى أورشليم ، وبناء الهيكل للمرة الثانية .

فهذا القسم يضم سفر يشوع الـذى مكن لاسرائيل فى أرض كنعان ، وسفر القضاة الذين تولوا الأمر بعد يشوع ، ثم سفرى صموئيل ، ويتناولان أيام صموئيل آخر القضاة وعهد شاؤول وداود من الملوك ، ثم سفرى الملوك ، ويتناولان تاريخ الملوك حتى السبى البابلى ، ثم سفرى أخبار الأيام ، وفيهما وثائق وسلالات وروايات منذ بدء الخليقة حتى عهد قورش .

والقسم الثانى من (الأنبياء) يضم اربعة عشر سفرا : أشـعيا ، وارميـا ، وحزقيـال ، ويوئيل ، وعاموس ، وعويديا ، ويونان ، وميخـا ، وناحوم ، وحبقوق ،

وصفنيا ، وحجاى ، وزكريا ، وملاخى .. وكلها أخبار محدودة ، تدور حول جهود هؤلاء الأنبياء ، من اجل تقوية عزيمة بنى اسرائيل ، وبيان سبب غضب الرب عليهم .

٣ - الكتابات والأشعار :

وتضم الاناشيد والحكم والأمثال والمزامير والقصص وصورا من تاريخ اليهود وفلسفتهم .. وهى اثنـا عشر سفرا : مزامير داود ، وأمثال سليمان ، وأيوب ، ونشيد الانشاد ، وراعوث ، وهوشع ، ومراثى أرميا، والجامعة، واستير ، ودانيال ، وعزرا ، ونحميا .

ومع أن كتاب (العهد القديم) أصبح فى المرتبة الثانية بعد التامود فى حيـــاة اليهود ، فانه بالنسبة لبعض الطوائف اليهودية ولجميع المسيحيين ، يعـد الـكتاب الأول قداسة وتشريعا .

وهو ذخيرة انسانية حية على أى التقديرات ، اذ يضم رصيدا هائلا من المعانى الانسانية والقيم الحضارية .

وقد يضم الى العهد القديم ما يسمى بالأبوكريفا (أى الأسفار غير الشرعية) ، وهى أربعة عشر سفرا موجودة فى اللاتينية ، نقلا عن الترجمة السبعينية ، وأشهرها سفر يهوديت ، وطوبيا ، ويشوع بن سيراخ ، وباروخ ، وسفرا المـــكابيين ، وحانوخ ، واليوبيل ، وحـكمة سليمان .

تدوين العهد القديم :

من يطالع (العهد القديم) يلتقى بمثل هذه العبارة : (كان جميع المغنين والمغنيات يندبون يوشيا فى مراثيهم

الى اليوم ، وجعلوها فريضة على اسرائيل ، وها هى مكتوبة فى المراثى ، وبقية أمور يوشيا ومراحمه ، حسبما هو مكتوب فى ناموس الرب ، وأموره الأولى والأخيرة ها هى مكتوبة فى سفر ملوك اسرائيل ويهوذا) (أخبار الأيام الثانى ٣٥) .

مما يشير الى أن الكتاب ينقل عن كتب أخرى ، مثل ما جاء فى أخبار الأيام الأول :

(مكتوبة فى سفر أخبار صموئيل الرائى ، وأخبار ناتان النبى ، وأخبار جاد الرائى) (اخبار الأيام الأول ٢٩) .

وغير هذه اشارات كثيرة الى النقل عن كتب أخرى .

فمتى تمت الكتابة أو النقل ؟ وبأى لغة كانت الكتابة أو النقل ؟ ومن الكاتب أو الناقل ؟

يكاد العلماء يجمعون على أن الكتابة بدأت فى القرن السادس قبل الميلاد بعد السبى البابلى (٥٨٧ ق . م) ، وطال زمن الكتابة والجمع تحت مؤثرات مختلفة الى القرن الثانى أو الأول قبل الميلاد ، بل هناك من يرى أنه استمر بعد ذلك بكثير ، ولهذا يرون (أن تفهم الديانة العبرية مستحيل ، ما لم تؤخذ بعين الاعتبار ، وبشكل مستمر ، الديانات والثقافات الأخرى التى نمت وترعرعت فى وادى الفرات .. ان الأصول القضائية البابلية ، وكذلك الطقوس المعمول بها فى المعابد البابلية يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة التأثير على الشرائع العبرانية فى الأصول القضائية والطقوس الدينية) .

ويلاحظ أنه ــ بعد أربعمائة وثمانين عاما لخروج بنى

اسرائيل من ارض مصر — لم يكن يوجد فى بيت الرب الذى بناه سليمان الا لوحا الشهادة اللذان كتبهما الرب باصبعه لموسى (الملوك الأول ٨ و ٩) ومع هذا يدعى مدع ان موسى أعد اعدادا خاصا حوالى سنة ١٥٠٠ ق . م . ليبدا كتابة الأسفار المقدسة التى فيها يسجل تاريخ ٢٥٠٠ سنة خلت من قبله (١) .

ثم ان الكتابة — فيما يتصل بالألواح — يرجح انها كانت بالمصرية القديمة التى كان يعرفها موسى بحكم نشأته ، فالآرامية فاللاتينية فالعربية ، اذ انه (بعد السبى البابلى واندماج اليهود مع البابليين قل استعمال اللغة العبرية(٢) تدريجيا بين الشعب كلغة قومية ، وان ظلت لغة مقدسة ، وأوشكت على الزوال حتى ان اليهود حوالى القرن الثانى ق . م احتاجوا الى تراجم لقراءة الصلوات وتادية الطقوس فى السبوت والأعياد ، وحلت محلها اللغة الآرامية ، فظهرت تراجم للعهد القديم فى لغات مختلفة أهمها الآرامية ، ثم فى اليونانية الترجمة السبعينية التى قام بترجمتها فى الاسكندرية سبعون عالما فى سبعين يوما ثم الى اليونانية الحديثة ، الى اللاتينية والسريانية ، ثم العربية على يد سعديا الفيومى حوالى عام ٩٤٢ م وهلم جرا) (٣) .

فالنقل تم بلغات مختلفة ، ولكل لغة عاداتها ومصطلحاتها ، ولكل زمن لغته وموحياتها ، ولكل كاتب قدراته ومكوناته النفسية — مما أدى الى أننا نعثر فى أماكن كثيرة من التوراة على آثار حذف ملموس ، أو

---

(١) القس صموئيل مشرقى — مصادر الكتاب المقدس — ص ١٢

(٢) يلاحظ ان العبرية هى الكنعانية المكتسبة فى أرض كنعان مع قدر من المصرية المهاجرة .

(٣) اليهودية واليهودية المسيحية — ص ١٠٢ .

تكرار ممل ، أو تناقض واضح .. وثمة (عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة في مختلف أدوار تاريخهم الطويل) (١) .

ولقـــد (أستهلك ما دون من كثرة الاستعمال ، أو طوحت به السنون في زوايا النسيان ، وبعضها قـد أفسد عمدا ، أو أهلك عرضا ، وبعضها ضاع واختفى في فترات الاضطهاد .. هذا كله بالاضافة الى ما تطلبه وضع العهد القديم من زمن قد امتد الى نحو ألف عام ، كما أن جمعه قد استغرق قرونا عديدة (٢) .

والـكهنة كانوا يعتمـدون في التـدوين والجمع على ما سمعوه ، وما تلقـــاه الخلف عن السلف من اخبار وأســاطير ، وكثـيرا ما كان الـكهنة يـكتبون ما يجيش بصدورهم أو ما يأملونه ، على انه حقيقة واقعة أو تاريخ سابق ، وليس ذلك في الحقيقة الا تصديقا للخيال ، والا من الوهم الذي يتخذ في نفس الواهم صورة الحقائق المقررة ، ومن ذلك ما جاء في (سفر صموئيل الثاني ٨) من أن داود (ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات) .

وانا لنجد أخيرا من العلماء اليهود أنفسهم من يشكك في كل ما جاء بالعهد القديم ، حتى الوصايا العشر .

نشر العالم الفرنسي ريتشارد سيمون سنة ١٦٧٨ كتابا عن (التاريخ النقدي للعهد القديم) نفى فيه نفيا قاطعا نسبة أسفار الشريعة الى موسى عليه السلام ، مؤكدا أنها مجموعة من مدونات مختلفة الأصول ، عفكت أجيال متعاقبة من الأحبار على اعادة تسجيلها باجتهاد وهوى

---

(١) اليهودية واليهود ـ ص ١٣

(٢) مصادر الكتاب المقدس ـ ص ٦ ، ٧

ـ تحويرا وحذفا واضافة ـ حتى يتوفر عليها آخر الأمر عزرا ومريدوه ـ خلال القرن الرابع قبل الميلاد ـ فتستقر على الوجه الذى تطالعنا به اليوم (١) .

ويقول باهليل سلفر العالم اليهودى فى كتابه (موسى والتوراة الأصلية) : « حتى الوصايا العشر التىيكاديجمع العلماء على أنها الشيء الوحيد المتبقى من التوراة الأصلية ـ لم تكن بكاملها وعلى هيئتها الحالية كالتى أتى بها موسى) .

وهناك من يرى شبها كبيرا بينها وبين المعاهدات والوثائق فى عهد ملوك الحيثيين .

وهناك من يرى أن نبوءة حزقيال تتجاهل تجاهلا تاما الأسفار الستة الأولى من التوراة ، مما يحمل على الاعتقاد بأن هذه الأسفار الستة لم تكن موجودة فى زمن حزقيال .. ومما يلفت النظر بشكل خاص أن حزقيال لم يأت البتة على ذكر موسى ، الرجل الأكبر لدى اليهود قاطبة ، مع ماله من مكانة عظيمة لدى اليهود ، وقد قام حزقيال عوضا عن ذلك على وضع الشريعة منفردا .

ونبوءة حزقيال بقيت وحدها صافية غير محرفة من بين باقى كتب العهد القديم ، وليس هناك من شك فى أن الكثير من الكتب المقدسة اليهودية ، الأخرى كانت موجودة ، لكنها اندثرت ، ككتاب (حروب الرب) و (شريعة الكهنة) و (السجلات الملكية) و (سجلات السلالات) .

وكما ذكرت (الموسوعة اليهودية) فقد أعيد وضع

---

(١) حسين ذوالفقار صبرى ـ العربى ـ نوفمبر سنة ١٩٧٩ ص ١٤٦ .

كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية بعد حزقيال .
كما أعيد وضع جميع الـكتب المقدسة السابقة المخالفة للنصوص الجديدة .

بل هناك من الباحثين والعلمـــاء من يرى أن كتاب (حزقيال) وضع أولا ومن ثم ركبت من حوله الـكتب الأخرى ، وعلى رأس هؤلاء الباحثين اليهود أنفسهم .

ومع هذا .. فنحن لا نملك ـ حين الحديث عن العقائد اليهودية ـ الا الرجوع الى ما جاء فى العهد القديم الذى بين أيدينا ، وفى التوراة بصفة خاصة .. هذه التوراة التى يقول فيها الدكتور صبرى جرجس : انها لا تـكاد تزيد عن كونهـــا مجموعة من الخرافات والقصص التى صيغت فى جو أسطورى حافل بالاثارة ، مجافـ للعقل والمنطق ، غاص بالمتناقضات ، مشبع بالسخف ، مفعم بمشاعر العدوان والتعطش الى الدماء (١) ...

---

(١) التراث اليهودى الصهيونى ـ ص ٥١ .

التلمود

يعد التلمود المصدر الثانى للتشريع اليهودى .

وحين يقرأ المرء فى هذا الكتاب ، وينظر فى خفايا المعتقدات اليهودية ، ويتعرف على اليهود جيدا – يقف على حقيقة مذهلة ، وهى – كما يقول الدكتور جوزيف باركاى – (بعض أقوال التلمود مغال ، وبعضها كريه ، وبعضها الآخر كفر ، ولكنها تشكل فى صورتها المخلوطة أثرا غير عادى للجهد الانسانى ، وللعقل الانسانى ، وللحماقة الانسانية) . . ومع هذا فانه لا ايمان لليهودى بدون معرفة أحكام التلمود ، على أساس أن هذا الكتاب يحتوى على أهم التعاليم التى يحترمها اليهود .

والتلمود – ومعناه التعليم يتكون من :

المشناه : وهى الروايات التى تناقلها الحاخامات من جيل الى جيل ويدعون أنها تعاليم شفوية للنبى موسى .

وقد جمعها (يوضاص) أحد حاخامات اليهود بعد المسيح بمائة وخمسين عاما .

ولفظ (المشناه) يعنى الشريعة المكررة ، فهى تكرار

لشريعة موسى ، كما يفيد معنى (المتن) اى الاصل ، ويفيد معنى المعرفة .

ومن هـذا يتبين أن لموسى شريعتين : مـكتوبة وهى التوراة ، ومروية وهى المشناه .

ولقـد أدخل حاخامات بابل وفلسطين الـكثير من الزيادات على ما كتبه (يوضاص) ، ضمها أحد حاخاماتهم المدعو (يهوذا هاناسى) فيما بين ١٩٠ و ٢٠٠ م ، أى بعد قرن تقريبا من تدمير تيطس الرومانى للهيكل .

وقد كتب الفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون تعريفا بالمشنا يقول : (منذ أيام معلمنا موسى حتى حاخامنا المقدس « يهوذا هاناسى » لم يتفق أحد من علماء اليهود على أى عقيدة من العقائد التى كانت تدرس علانية باسم القـانون الشفهى ، بل كان رئيس محكمة كل جيل أو نبيه ، وهكذا ألف كل فرد من العلماء كتابا مماثلا ليستفاد منه ، حسب درجة كفاءته ، اذا كان متمكنا من القوانين الشفهية ، وما توصل اليه السابقون من تفسير التوراة والقرارات التى أعلنت فى مختلف الأجيـال ، وقررتها المحكمة العليا « السنهدرين » .. وهكذا تقدم الزمن ، حتى أتى حاخامنا المقـدس الـذى جمع لأول مرة كل ما يتعلق بالسنة والقرارات ، وشرح القانون المروى عن موسى معلمنا المأمور به فى كل جيل) .

وهناك سفر آخر مماثل للمشناه ، هو بريثا Braitha الذى يضم تعاليم العلمـاء الثنائيم الذين جاءوا بعد الحاخام يهوذا هاناسى واضع المشناه .

الجمارا : وقـد استعصى فهم المشناه على كثـير من

قرائها اليهود ، مما أدى بالحاخامات الى تدوين شروح وحواش وزيادات ، دعيت جميعها بالجمارا .

وقد أخذ فى تدوينه لأول مرة ابنا الحاخام يهوذا هاناسى ، وأكمله الحاخام أبينو ، ووضعه فى صورته الختامية الحاخام جوسى Jose سنة ٤٩٨ م تقريبا ، وكان الحاخام جوسى آخر من سمى لدى اليهود بالملقن أو الآمر Dictator والذين اتبعوه من العلماء أطلق عليهم لقب أصحاب الرأى Opinionists حيث لم يعد من اختصاصهم الأمر بشىء . وانما كانوا يستطيعون الاستنباط من الأحكام السابقة .

***

وصارت المشنا والجمارا ما يعرف اليوم بالتلمود ...

وتعزو الموسوعة اليهودية أهمية التلمود الى ان انحطاط الحياة الفكرية لدى اليهود — وهو الانحطاط الذى بدأ فى القرن السادس عشر — جعل أكثريتهم الساحقة تنظر اليه وكأنه السلطة العليا ، حتى أنهم أنزلوا التوراة الى مرتبة ثانية ...

وفى عبارة التلمود ما يؤكد هذه المأساة : (أن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ، ومن درس « المشنا » فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها ، ومن درس « الجمارا » فعل أعظم فضيلة) .

ويبدو التلمود وكأنه تطبيق لأحكام التوراة ، رغم الفروق الكثيرة بينهما ، وهو سجل حافل يبين لنا — من خلال مناقشاته وشروحه وأمثلته الكثيرة ورواياته — كيف كان اليهود يحاولون تطبيق الوصايا والفرائض التوراتية فى حياتهم اليومية .

ولهذا أصبح التلمود موضع التقديس .. وصار (من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت ، دون من أحتقر أقوال التوراة ، ولا خلاص لمن ترك تعـــاليم التلمود ، واشتغل بالتوراة فقط ، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في توراة موسى) .

ولم يكتف اليهود بهذا العبث ، بل انتهوا الى (أن الله يستشير الحاخامات على الأرض ، عندما توجـد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء) !!

ولقد جاء في التلمود : (أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ، ولو بأمر الله .. وقد وقع الاختلاف بين الرب وعلماء اليهود في مسألة ، فبعد أن طال الجدال تقرر احالة فصـل الخـــلاف الى أحد الحـاخامات الربانيين ، واضطر الرب أن يعترف بخطئه) .

وزعموا (أن الله لا شغل له في الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة ، ومع ملك الشياطين في مدرسة السماء) .

لهذا كان عقاب من خالف تعـاليم التلمود بالحرمان الذى نصه :

« بناء على حكم الهنا ، اله الآلهة ، يحرم فلان بن فلان من المحكمتين، محكمة أول درجة ، والمحكمة العليا ، ومن القديسين والملائكة ، ومن الجمعيات الـكبيرة والصغيرة، ويضار بالقروح والأمراض الخبيثة كلها ، ويكون منزله مسكنا للجن ، ويكون نجمه مظلمـــا في السماء ، ومن المغضوب عليهم ، ويطرح جســـده للوحوش المفترسة والثعابين ، ويفرح أعداؤه ومن يريد له الشر ، وتعطى أمواله من الذهب والفضة لغيره ، وتسقط تلك الأموال تحت سلطة العدو ، ويلعن أولاده حياته ، ويكون ملعونا

من قم عبـد بريرون وعشتار بال وصندلفون وعزرائيل وغسيل وباشتيل ، ويسقط ولا يقوم ، ويلفظ عن قبور بنى اسرائيل ، وتعطى امرأته لغيره ، ويميل اليها آخرون بعد موته ، ويسقط هذا الحرمان على فلان بن فلان ، ويكون من نصيبه ، أما أنا وبنو اسرائيل فتكون لنا بركة الله وسلامه ، آمين .

ومن هذا العبث يوجد تلمودان :

الأولى يسمى التلمود البابلى ، وهو ما جمع وشرح فى بابل .. وقد كتب فى القرن الرابع الميلاد وهو أوسع من الأورشليمى ، الـذى كتبه حاخامات طبـرية ما بين القرنين الثالث والخامس للميلاد .

ويختلف تلمود فلسطين كثيرا عن مثيله البابلى ، كما وكيفا ، فمادة تلمود فلسطين ثلث ما يحتويه تلمود بابل ؛ كما أن تلمود فلسطين ينقصه العمق المنطقى ، والشمول الجامع ، اللذان يمتاز بهما تلمود بابل .

ويرجع هذا الى أن تلمود بابل ألف فى فترة استغرقت قرنا من الزمان فى سلام وأمن ، أما تلمود فلسطين فجمع على عجل ، وفى ظروف غير مساعدة ، بسبب اضطهاد الرومان .

وتلمود فلسطين يختلف كذلك فى لغته ، فلغته عبرية تتخللها عبارات بالآرامية الغربية ، أما تلمود بابل فأكثره بالآرامية الشرقية ، نسجت فيه عبارات عبرية ، ويتضمن كلمات عربية وسريانية ويونانية ولاتينية وكلدانية .

ورغم هذا فهناك أوجه تشابه كثيرة بين التلمودين ، لأن

مصدرهما واحد ، كما أن بابل ليست بعيدة عن فلسطين ، فكان علماء البلدين يتبادلون الزيارات ويتبادلون الراى والمعرفة .

والتلمود بصامة يعد أخطر وثيقة ضد الانسان والانسانية ، اذ يدعو الى تحطيم كل العقائد والقيم والحضارات ، لاقامة مجتمع عالمى صهيونى يسيطر على كل دول العالم ، وبكل الوسائل الممكنة ، من الغش والقوة والسلب والخداع والكذب .. كما يستبيح دماء وأموال الأجناس الأخرى ، ويعدهم فى منزلة الحيوانات .

ويكفى فى شريعة التلمود أن يظهر اليهودى بشكل الحمل الوديع ، تقية وخداعا ، ثم ليعتقد ما شاء ، وليفعل ما شاء (أن الانسان مهما كان شريرا فى الباطن وأصلح ظواهره يخلص) ...

وتأكيدا لمبادىء الاستعلاء اليهودى وتفوقهم العنصرى على بقية الشعوب ، واتخاذ الناس عبيدا ، لأنهم الشعب الذى اختاره الله دون بقية الشعوب — فان أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح (بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من والده .. ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله ، بالنسبة لباقى الأرواح ، لأن الأرواح غير اليهودية أرواح شيطانية ، وشبيهة بأرواح الحيوانات) ، وقد خلق الله الأجنبى على هيئة الانسان ليكون لائقا بخدمة اليهود ، الذين خلقت الدنيا من أجلهم) .

وبهذا يكون التجسيم لانعزالية اليهود ، والتأكيد على حقهم فى خيرات الأرض ، وامتلاكهم ما عند الآخرين ، على

أساس أنهم البشر الوحيدون على وجه الأرض ...

وبناء عليه فقد أصبح لهم الحق فى قتل أو استعباد من شاءوا من البشر الآخرين .

(أن الله لا يغفر ذنبا ليهودى يرد للأممى ماله المفقود .

غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى الا بربا .

اتيان زوجات الأجانب جائز ، لأن المرأة غير الاسرائيلية كبهيمة ، ولا عقد مع البهائم .

من رأى أحد الأمميين يقع فى حفرة لزمه أن يسدها بحجر .

مصرح لليهودى أن يغش غير اليهودى ويحلف له ايمانا كاذبة .

سرقة مال غير اليهـودى استرداد لأموال اليهـود من سالبيها .

محرم على اليهودى أن ينجى أحدا من باقى الأمم من هلاك ، أو يخرجه من حفرة وقع فيها) .

ويحث التلمود جميع اليهود على بذل جهودهم لمنع وصول غير اليهود الى السلطة ، حتى يحين الوقت لتولى اليهود اياها ، والا فسيظلون مشتتين وأسرى .

والوصية الجامعة : (اهدم كل قائم .. لوث كل طاهر .. احرق كل أخضر ..كى تنفع يهوديا بفلس) .

(اقتلوا جميع من فى المدن من رجل وامرأة وطفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير ، بحد السيف) .

(اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود) .

(العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات كل يوم) .

ويزيد التلمود فيحدد أنواعا من الطهر لا يصل لهـــا

اليهودى الا باستعمال الذبائح البشرية من المسيحيين ...

ولهذه العدوانية الصارخة أخفى اليهود هذا الكتاب عن بقية البشر قرونا طويلة ، وبخاصة عن العالم المسيحى ، اذ لم يكتف بوصف السيد المسيح بأنه لقيط (ممزير) ابن زنا ، بل اختص المسيح وأتباعه بكثير من الألفاظ المهينة الدالة على الكذب والخداع والسحر والجنون والحمق والتضليل واللؤم والتفاهة والحقارة ، بل وصف الانجيل بأنه (وثيقة الكذب والخداع) وقال عن مريم البتول : انها امرأة ساقطة مصففة شعور النساء ، وهى البغى المتجولة فى الأزقة والأسواق .

ومع هذا ..

يقول جنزبرج Ginzberg : (أعطى التلمود اليهودى جنة روحية خالدة ، يلجأ اليها كيفما شاء ، هاربا من العالم الخارجى بكل ما فيه من حقد ومظالم ، وعلى صفحات التلمود وجدت أجيال اليهود المتعاقبة اشباعا لأعمق أمانيها الدينية ، وكذلك وجد اليهود فى التلمود نافذتهم الأسمى استلهاماتهم الفكرية ، ورغم أن العالم قد انقطع عن قرونه الماضية فان التلمود لا يزال بعد التوراة القوة الروحية والأخلاقية المثمرة فى الحياة اليهودية) .

ويقول اسرائيل أبراهامز : (بقى اليهودى بسبب التلمود ، بينما بقى التلمود فى اليهودى) .

ويقول د . فابيان : (الحياة اليهودية حتى هذا اليوم مؤسسة الى حد كبير على التعاليم والأسس التلمودية ، فطقوسنا وكتاب صلاتنا واحتفالاتنا وقوانين زواجنا ، بالاضافة الى قوانين وأسس أخرى كثيرة

مستخرجة مباشرة من التلمود ، والتلمود هو الذى تعزى اليه الصفات التى يتميز بهـا اليهـودى ، فالاتزان فى الشخصية والصدق ، ونزعته الى الحرية الاجتماعية ، وعلاقته العائلية الوطيدة ، وتعطشه للتعليم ، وامكانياته العقلية ، كلها ترجع الى التلمود ، فالحياة اليهودية قد أثرت بهذا الكتاب) .

***

ولقد هوجم التلمود بشدة منذ ظهوره ، ففى عام ٥٥٣ م ـ أى بعد الفراغ منه بزمن قصـــير .. قرر القيصر جستنيان مصادرته ، ثم جاءت الـكنيسة واقتفت أثر القيصر ، واستمرت الكنيسة والدولة تتعقبانه مصادرة وحرقا واتلافا ، قرابة ألف عام ، باعتباره أهم مصـــدر للتعاليم اليهودية التى أدت الى مقاومة اليهود للسلطة والدين المسيحى ، سرا وعلانية .

واشتدت حملات الملوك والبابوات ضد التلمود منـذ القرن الثالث عشر ، وصدرت الأوامر باتلاف نسخه فى فرنسا من سنة ١٢٤٤ م الى سنة ١٢٧٠ م ، كما حدث ذلك فى انجلترا سنة ١٢٩٠ م ، حتى أمر الملك بطرد اليهود عن البلاد بعد أن إكتشف حيلهم ومكرهم ومقتهم للشعب الانجليزى المسيحى ...

وفى أواخر العصور الوسطى لم يحـرق التلمود ، واكتفت السلطات الحاكمة والكنيسة بالرقابة على طبعه ، فأجازت تداول نسخ معـدودة ، بعـد حـذف فصول عديدة .

وقد عقـــدت منـاظرة كبرى بين بابلو كريستيانى والحاخام موسى بن نحمان فى برشلونة سنة ١٢٦٣ م

فاقتنع البابا مكيمنت بأخطاء التعاليم التلمودية ، فأصدر مرسوما بتحريم قراءة التلمود أو حيازته ، ومصادرة ما وجد من نسخه ، كما فرض رقابة على طبع نسخ جديدة ، وأعاد تنفيذ القانون الذى كان لويس الحادى عشر قد أصدره وهو يلزم اليهود بوضع علامة على أكتافهم للتمييز .

وجرت محاكمة عادلة فى عهد الملكة بلانش فى ٢٤ يونيه سنة ١٢٤٠ م اعترف فيها اليهود بكثير من معتقداتهم الخطيرة ، وكان مما ترجم من التلمود فى هذه المحاكمة ما يلى :

(ان يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم ، بين الزفت والقار ، وان أمه مريم أتت به من العسكرى باندارا بمباشرة الزنا ، وان الكنائس النصرانية هى بمستوى القاذورات ، وان الواعظين فيها اشبه بالكلاب النابحة ، وان قتل المسيحى من الأمور المأمور بها ، وان العهد مع المسيحى لا يكون عهدا صحيحا يلتزم القيام به ، وان من الواجب أن يلعن يوميا ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بنى اسرائيل) ...

***

ويلاحظ أن التلمود يضم خليطا عجيبا من الأفكار ، فهو بالاضافة الى القوانين الحاخامية المنشودة للسيطرة على رفاق الضمائر والمتشككين من اليهود يضم كل نوع من الفلسفات الموجودة فى تلك العصور الغابرة ، وهو مستودع لكثير من أحداث التاريخ واكتشافات العلم .

ويقف التلمود من المرأة موقفا متشددا ، فهو ينتقصها،

ولا يلحقها بالمدارس الدينية ، (وأن امرأة أساءت ادارة البيت ، أو وجد الرجل امرأة أجمل منها فله الحق فى أن يطلقها) .

واليهود الى اليوم يحرمون المرأة من كثير من الحقوق، وفى الدعوات يقول الرجل على مسمع من زوجته وابنته: « حمدا لله يارب انك لم تخلقنى امرأة » !

وفى التلمود أن اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهوديا آخر لا يدخلون الجنة ، وانما (تدخل أرواحهم فى الحيوانات والنباتات ، ثم تذهب الى الجحيم ، وتعذب عذابا أليما مدة اثنى عشر شهرا ، ثم تعود ثانية لتدخل فى النباتات ، ثم فى الحيوانات ، ثم فى الاثنين، حتى ترجع الى جسد يهودى بعد تطهيرها) .. أقرب الى المعتقدات الهندوسية .

كما أنه يؤكد على أن غير اليهود نجسون ، ولا يمكن لليهودى أن يدخلهم بيته ، او يأكل معهم ، وليس له أن يعاملهم الا بغرض التجارة .. نفس موقف الهندوس من المنبوذين والمسلمين والمسيحيين وغيرهم .

ويزعم التلمود أن سبب نجاسة الأجانب أنهم لم يقوموا على جبل سيناء بعد أن نجس ابليس حواء ، أما الاسرائيليون فقد تطهروا وحدهم بالوقوف على هذا الجبل .

ويقول الرابى « مناحم » ان أرواح اليهود مصدرها روح الله ، أما باقى الامم فمصدر أرواحها الروح النجسة والحاخام (أيل) يعد الخارجين على دين اليهود خنازير نجسة تسكن الغابات ، ويجب على المرأة أن تعيد الاغتسال اذا رأت عند خروجها من الحمام شيئا نجسا

ككلب أو حمار أو جمل او خنزير او مجذوم او ادمي غير يهودي .

ويزخر التلمود بشتى انواع الخرافات ، كالتنجيم وطقوس السحر والشعوذة والعرافة ، ويؤكد على أن الارواح الشريرة والشياطين والجنيات من ذرية آدم ، وهؤلاء يطيرون في كل اتجاه ، ويعرفون احوال المستقبل باستراق السـمع الى السـماء ، وهم يأكلون ويشربون مثل الانسان ، ويكثرون من جنسهم .. وهناك قصص وخرافات لا نهاية لها عن معجزات الحاخامات وأساطير الأفاعي والضفادع والاوز والطيور والاسماك .

ويرى التلمود ان الله خلق آدم ذا وجهين ، رجلا من ناحية وامرأة من ناحية ، ثم قطعه من النصف ، وان طوله كان يصل القبة الزرقاء ، ولكن بعد خطيئته وضع الله يده على رأس آدم وكبسه حتى صار صغيرا ، وأنه اتى الخطيئة في الساعة العاشرة بعد خلقه ، ثم طرد من الجنة في الساعة الثانية عشرة .

ويذكر التلمود أن هدم الهيكل وتشريد بني اسرائيل كان خطأ ارتكبه الله ، واعترف به ، وندم عليه ، وحاول التكفير عنه بتخصيص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم .

ويعلل كون الشياطين بلا أجسام ولا ملابس بأن الله خلق الشياطين يوم الجمعة عند الغسق ، فأعجله يوم السبت عن أن يتم خلقهم .

ومن حكم التلمود :

« كل من يعلم أمام أساتذته يستحق أن تلدغه حية .

« الرجل الذى في سلته خبز ليس كالذى لا شيء في سلته .

« الأجدر بك أن تكون رأس ثعلب من أن تكـــون ذنب أسد .

« الخلاعة فى بيت مثل دودة فى يقطنيه .

« صديقك له صديق ، وصديق صديقك له صديق أيضا ، فكن حصيفا .

« الولد الطالح للأب الصالح كالخل من الخمر .

« الشباب تاج الورود ، والشيخوخة تاج الأشواك .

« كثيرون يعظون جيدا ، ولكنهم لا يعلمون جيدا .

« عقاب الكاذبين أنه لا يصغى اليهم عندما يصدقون .

« المغرور عابد وثن .

« كل من يتفقد ممتلكاته كل يوم يجد قطعة من النقود .

« المنصب لا يشرف الانسان ، الانسان يشرف المنصب .

« ليس الاعتبار بما تقوله عن نفسك ، ولكن ما يقوله أصدقاؤك عنك .

« الصدقة ملح المال .

« دع السكران يذهب وحده ليسقط وحده .

« الأجدر بك أن تكون ملعونا من أن تصبح من اللاعنين .

« هذا العالم مثل منزل على الطريق ، والآخرة هى البيت الحقيقى .

« الطفل يحب أمه أكثر من أبيه ، ولكنه يخاف أباه أكثر من أمه .

« البيت الذى لا يفتح بابه للفقير سيفتح الباب للطبيب .

« اهبط خطوة عند اختيارك الزوجة ، واعل خطوة لاختيار الصديق .

ويضم التلمود ستة أبواب ، يدعى كل منها سدر :

١ - سدر زراعيم Zeraim أو البذور : ويتناول قوانين التوراة الزراعية ، من الناحيتين الدينية والاجتماعية ، ويشرح الأحكام التوراتية المتعلقة بحقوق الفقراء والكهنة واللاويين فى غلال الأرض وحصادها ، ويتألف من ١١ سفرا .

٢ - سدر ناشيم Nashim أو المراة : وفيه قواعد الزواج والطلاق .. وغير ذلك من الأحكام التى تتعلق بالعلاقات الزوجية .. وأسفاره سبعة .

٣ - سدر موعيد Mo'ed أى الأعياد والمواسم ، والمناسبات الدينية ، والطقوس والشعائر والفرائض والقرابين ، وكيفية معرفة الأشهر العبرية القمرية الخ ويقع فى ١٢ سفرا .

٤ - سدر نزيقين Nezikin أو الأضرار ، ويضم القوانين المدنية والجنائية ، كما اختص بالحديث عن عصر المسيح ومحاكمته وصلبه وحوارييه ، وبالغ فى الحط من السيد المسيح . فى عشرة أسفار .

٥ - سدر قداشيم Kodashim أو المقدسات ، ويتناول التضحيات وشعائرها والأحكام الخاصة بالهيكل والاثم والخطيئة ، وكفاراتها .. ويقع فى ١١ سفرا .

٦ - سدر طهاروت Tohorot أى الطهارة ، ويضم مجموعة من قوانين الطهارة والنجاسة والرجاسة ، التى تؤكد الخشية والاجلال .. ويتكون من ١٢ سفرا .

وبالاضافة الى هذه الأبواب الستة توجد سبع رسائل تلمودية صغيرة :

توراة — ميزوزاه .. تفـلين .. تزيت زيت .. ابادیم .. کوثیم .. جريم .

وهناك ست رسائل أخرى تضاف الى طبعات التلمود الجديدة ، وهي : أبوث الحاخام ناثان .. سوفريم .. سيماهوث .. كالاح .. درش ارتز اسرائيل .. درش ارتز زونا .

وهناك سفر مماثل للتلمود ، يسمى مدراش Midrash وهو يجمع الحكم والقصص والأحكام التى جمعها ، أو اختلقها الحاخامات بعد اتمام التلمود ، وقد دونت في هذا السفر مخافة أن تضيع .

وتذكر دائرة المعارف اليهودية أنه (أثنـاء انحطاط الحياة العقلية اليهودية الذى بدأ في القرن السادس عشر كان التلمود يعتبر — على وجه التقريب — السلطة العليا عند أكثرية اليهود ، وفى نفس الوقت أصبحت أوربا الشرقية ، خصـوصا بولنـدا ، مركز دراسة التلمود ، والتوراة أصـبح مكانهـا ثانويا ، وكرست المدارس اليهودية جميعا كليا لدراسة التلمود ، حتى أن كلمة الدراسة أصبحت مرادفة لكلمة التلمود) .

ويقال ان النسخة العبرية الأصلية من تلمود بابل يجرى اعادة طبعها الآن فى اسرائيل ، ويقوم على ذلك الحاخام آدين شتانيز التز ، وسيطبع منها — كما أعلن — ستة آلاف نسخة ستوزع بسـعر رمزى (قدره عشرة دولارات لـكل جزء من أجزائه الخمسة والثلاثين) — على المشتركين فقط ، وقد غطيت الاشتراكات منـذ عام ١٩٦٠ م .

ويلاحظ أن محاولة طبع التلمود تبدأ بعام ١٤٨٤ م ، اذ ظهر الفصل الخـاص بالبركات في نسونسينو باقليم لومبارديا ، وفى عام ١٥٢٠ م الفى البابا (ليو) العاشر الأمر الخاص بمنع طبع التلمود ونشره ، فأخذ (دانيال بومبرج) فى البندقية ينشره مستعينا بعـــدد كبـير من العلماء والباحثين ، واستطاع اخراجه فى ثلاثة أعوام ، وتجددت الطبعات متقنة .. وبعد أن ظهرت أربع طبعات له فى منتصف القــــرن السادس عشر وبتصريح من الفاتيكان عادت الحركة المعـــادية الى الظهور ، فأصدر البابا يوليوس الثالث فى ١٠ اغسطس سنة ١٩٥٣ م قرارا باعدام طبعاته .. لكن ما لبث أن طبع فى بولندا وتركيا .. وظهرت فى بازل ما بين ١٥٨١/١٥٧٨ طبعة أخرى تعتبر المرجع الأصيل الذى تعتمد عليه الطبعات المتأخرة ، وأخذت الطبعات المختلفـــة تتوالى فى عدد من الدول الأوروبية ، وفى القرن الأخير ظهرت من التلمود سبعون طبعة الى جانب المختارات التى نشرت مئات المرات .

العقائد اليهودية

ا ـ الإله :

نجد (الكتاب المقدس) يعرض لله في صورة لا تلتقي مع صفاته جل شأنه في القرآن الكريم ، اذ هو « الله الذي لا اله الا هو ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر .. الخالق ، البارى ، المصور له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (الحشر ٢٣/٢٤) . وغيرها من صفات الكمال ... لكنه في (العهد القديم) أقرب الى الآلهة التي كانت تعبد في الشعوب التي نزلوا بها ، أو عبروا ...

واذا كان سفر (تكوين) قد أشار الى أن (يهوه) قد تجلى لابراهيم فأمره بالرحيل عن بلاده ، وفي أثناء رحلته (قطع الرب مع أبرام ميثاقا ، قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات) (تكوين ١٥) ، وقد اشترط على ابراهيم أن يختص الله وحده بالعبادة ، ولا يشرك به أحدا ـ فان سفر (خروج) أشار الى هذه الوحدانية كذلك : (لا يكن لك آلهة أخرى أمامي .

لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة ما مما في السماء من فوق ، وما في الأرض من تحت ، وما في الماء من تحت الأرض .

لا تنطق باسم الرب الهك باطلا) (خروج ٢٠) .

لكن هذه الوحدانية في سياق ورودها تفيد أن هـذا الاله ليس للناس جميعا ، انما هو اله الشعب الاسرائيلى خاصة .

ولأنه اله اسرائيل فلابد من أن يكون قريبا من (الشعب المختار) ، حيثما حل ، وأينما ارتحل .. ولا يكفى أن يكون هذا القرب بعونه ورعايته ، بل بصورته كذلك .

فهو (فى وسط هذا الشعب الذين أنت يا رب قد ظهرت لهم عينا لعين ، وسحابتك واقفة عليهم ، وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهارا ، وبعمود نار ليلا) (عدد ١٤) .

ولقد (صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ، ورأوا اله اسرائيل ، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده الى أشراف بنى اسرائيل، فرأوا الله وأكلوا وشربوا) (خروج ٢٤) .

ويتكرر ذكر هذا التجسيم لله فى كل كتب (العهد القديم) تقريبا .. مما يثير أكثر من تساؤل .

لقد عاش الاسرائيليون خمسمائة عام فى مصر ، ومرت بهم دعوة (اخناتون) الى الوحدانية ، وهاجروا بعدها بقليل ، وكانت هجرتهم مرتبطة بدعوة موسى الى

التوحيد ، فكيف انهم بمجرد غياب موسى لفترة محدودة يصنعون (عجلا جسدا له خوار) من الذهب الذى جمعوه من مصر ، وتنتشر بينهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين ، والاعتقاد فى الأرواح الشريرة ، ويعبـدون الحجارة والأغنام والاشـجار ، ويتخذون فى بيوتهم أصناما صغيرة يعبدونها ، وينتقلون بهـا من مكان الى آخر ؟!

أيكون ذلك بسبب ما أصابهم فى التيه من اضطرابات نفسية ، وعناء شديد ، أفقدهم الايمان بالقيم ، وربطهم بالخرافات والأوهام ؟ أم أن كتاب العهد القديم هم الذين وقعوا تحت تأثير الحضارات من حولهم ، فخـلطوا بين ما ترسب فى وجدان (الشعب) من أوهام ، وما أخذوا أنفسهم به من عادات مكتسبة ، وما بقى من آثار موسى ؟

لكن واقعة (العجل الذهبى) قد تفيد أن الاحساس المادى عند هؤلاء القوم أقوى من الاحساس الروحى ، فهم لا يقدرون الا ما يرونه ويلمسون وجوده ، ومن أجل هذا كان التجسيد ، وقـوى ، نتيجة الاحساس بالهوان والذلة عقب الخروج من مصر ، وحين التقوا بشعوب أقوى منهم حضارة ، ولها آلهة مجسدة .

ويؤكد هذا تلك الصفات التى ألبسوها لالههم ، فهى أحاسيسهم انطبعت على الاله الذى ارتبط بهم ، فأصبح هو وهم يعملون من أجل غاية واحدة .. هو اله يعد ويخلف ، لا يملك نفسه عند الغضب ، يأخذ الابن بجريرة الأب ، منتقم شديد الانتقام ، لا ينسى أن يثأر حين يقدر ، فظ غليظ القلب ، يحابى على حساب الآخرين .

هو اذن اله تذهب به الظنون مذاهب ، لكنه حصيلة

انفعالات نفسية ذات أعماق رهيبة ، نتيجة الضياع في التيه أربعين عاما ، وحروب وحشـــية مدمرة لا تبقى ولا تذر ، تحت قيادة يشوع ثم داود ، وتمزقات قاسية في عهد رحبعام بن سليمان ويربعام ، ثم الوقـــوع تحت وطأة الأشوريين في عهد سرجون ، وأخيرا الشتات الكبير والأسر الطويل في عهد نبوخذ نصر .. وقد بدات كتابة التوراة بعد الأسر .

فاذا وجدنا في (أشعياء) بعد ذلك ملامح الوحدانية الحقة :

(أنت هو الاله وحدك لكل ممالك الأرض ، أنت صنعت السموات والأرض .

هكذا يقول الرب خالق السموات وناشرها ، باسط الأرض ونتائجها ، معطى الشعب عليها نسمة ، والساكنين فيها روحا .

أنا الأول ، وأنا الآخر ، ولا اله غيري .

مصدر النور ، وخالق الظلمة ، صانع السلام) .

اذا وجدنا مثل هذه الصفات فانا لا نجد تعليلا الا انها ثمرة ثقافات مختلفة ، أدت الى مراجعـــة عقائدية في مرحلة من مراحل حياتهم ، أو هي قدر مما بقى من آثار انبياء بني اسرائيل مختلطا بكثير ما دخل عليهم من ديانات وخرافات الشعوب التي نزلوا بها أو أحاطت بهم .

وهذا ما يؤكده صاحب كتاب (التوراة تاريخها وغاياتها) من أنه (لم يكن « يهوه » قبل حزقيال سوى اله آخر من الآلهة القبلية السامية ، لا يختلف عنها بشيء ، مثله مثل « بعل مردوخ » في بابل ، و « ملكارت » في صور ،

و (آشور) اله الآشوريين ، وقد أتى حزقيال فأضفي عليه صفات من الألوهية لم تكن موجودة) (١) .

ب ـ الانبياء :

واذا كان هذا هو اله (الشعب المختار) فما الظن بأنبيائه ؟

ان المتتبع لحال الأنبياء الذين جاء ذكرهم فى التوراة لا يكاد يجد نبيا سويا ، كلهم أصابته أقلام كتاب (العهد القديم) فى خير ما يملك من صفات .

نوح يشرب الخمر فيسكر ويتعـــرى ، وحين يفيق يصب لعنته على (كنعان) حفيده : (ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لاخوته) (تكوين ٩) ، لأن الكنعانيين سيكونون أصحاب الأرض التى يطمع فيها الاسرائيليون .

وابراهيم ، أبو الأنبياء ، يقف موقف المتاجر بعرض امرأته الجميلة سارة ، ويصير له من وراء ذلك (غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال) (تكوين ١٢) .

ولوط ابن أخى ابراهيم يضطجع مع ابنتيه ، لينجب بنى عمون وبنى يواب الذين سيصبحون من أعداء بنى اسرائيل .. (تكوين ١٩) .

ويعقوب يتآمر على أخيه عيسو ، فينال حق البكورية وبركة اسحق ، دون أن يدرى اســـحق النبى بشىء ، بمشاركة رفقة زوج النبى ، وأم عيسو ويعقوب معا .. (تكوين ٢٧) .

وداود يزنى بزوجة أوريا الحثى ، الجندى المخلص فى

(١) التوراة تاريخها وغاياتها ص ٢٧ .

جيشه ، ويعمل على قتل أوريا ، حتى لا يرى ان امرأته حملت سفاحا ، وحتى تنضم الزوجة الى حريم داود بعد ذلك وتلد سليمان .. (صموئيل الثاني ١١) .

وسليمان يقتسل أخاه (أدونيا) وقائد جيوش أبيه (يواب بن صروية) ، ويطرد (أبياثار) الكاهن ، ليخلص له الحكم ، ثم يتزوج (سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السرارى ، فأمالت نساؤه قلبه) ، وبنى لجميع نسائه الغريبات مرتفعات لآلهتهن فكن (يوقدن ويذبحن لآلهتهن) .. (الملوك الأول ١١) .

هؤلاء هم أعلام أنبياء بنى اسرائيل ، مجرمون مشركون أيضا ، فاذا أضفنا ما كان يفعل قادتهم باسم الرب من خراب ودمار وابادة كاملة لكل نفس حية ، وصلب وتمثيل بالجثث – حرنا فى تفسير هذا كله .

أيكون محاولة للتخفيف من أعباء الجرائم اليهودية على نفسية الأجيال الجديدة ؟

أهو تهوين من أمر الجريمة ، وتبرير لارتكابها فى حق الشعوب الأخرى ؟

أم هو صورة من التمزق النفسى الذى أصاب اليهود بعد الشتات ، فصرنا لا نرى الا تنبوءات عن غضب الله ووعيده ، وعن رجاء فى الخلاص مما حاق بهم ، وكأنهم يقولون للرب ، لقد غفرت لأنبيائك جرائمهم ، فلماذا لا تغفر لنا ، وما نحن الا أتباع هؤلاء الأنبياء ، ولم تعطنا قدراتهم ؟

ومن العجيب أننا نجد القمص صموئيل مشرقى يعلل هذه الجرائم بأنها تؤكد (أن الكمال لله وحده ، وأن

الجميع زاغوا وفسدوا .. لأننا نعرف أنهم جميعا بشر متناسلون من آدم الساقط ، ووارثون منه الطبيعة الفاسدة التى تميل الى الشر) (١) .

فماذا أبقى هذا القس الكبير لغيره أن يقول ؟

ولقد تميز أنبياء بنى اسرائيل بحلول روح الله فيهم ، اذ تقفز روح الله على النبى كما يقفز الطير الجارح (صموئيل الأول ص ١٠ ى ١٠) ، وكان بعض الأنبياء مثل اليشع يجرى طقوسا خاصة لاستقبال روح الله ، اذ يروى أنه كان يستدعى عازفا على الأوتار ليعزف له بعض الألحان (الملوك الثانى ص ١٨ ى ٢٦) ، أو يقف وقفة هادئة (الملوك الأول ص ١٨ ى ٤٢) ، واذا ما حلت الروح بالنبى انطرح أرضا طوال النهار والليل ، فاقدا وعيه ، وهو فى حالة غيبوبة ، وقد يظهر فى حالة تشبه حالة المجانين (صموئيل الأول ص ١٩ ى ١٨/٢٤) ، فمرض شاؤول العقلى اعتبر نبوءة ، والنبى كالمجنون غير مسئول عما يفعل ، فهو يأتى بحركات تريدها الروح ، كأن ينتقل من مكان الى آخر مثلا (الملوك الأول ص ١٨ ى ١٢) ، وابان فترة حلول الوحى بالنبى يتفوه بألفاظ وعبارات هامة جدا ، يتلقفها الجمهور ، لأنها نبوءات تتحدث عن المستقبل ، لذلك يحرص القوم على تخليدها .

وكان الأنبياء يتميزون بلبس الفراء والتمنطق بمنطقة من الجلد ، كما كانوا يقصون شعورهم قصا خاصا، شأنهم شأن رجال الدين اليسوعى اليوم ، وكان للنبى الحق فى الزواج والتناسل والملكية .

---

(١) مصادر الكتاب المقدس ـ ص ١١٩ .

جـ ـ المسيح المنتظر :

لقد بشر أشعياء ودانيال بمجيء السيد المسيح ، لكن الصيغة التي وردت في أشعياء تبدو مقحمة ، اذ يقول الرب : (يعطيكم السيد نفسه آية ، ها العذراء تحبل وتلد ابنا ، وتدعو اسمه عمانوئيل ، زبدا وعسلا يأكل متى عرف أن يرفض الشر ، ويختار الخير) (أشعياء ٧) .

فاذا قلنا انه يتحدث عن السيد المسيح ، كان لنا أن نسأل : كيف تكون (الآية) لقوم يعيشون قبل زمن وجودها بأكثر من سبعة قرون ؟ أي دور تلعبه هذه الآية في حياتهم حتى تكون في موضع البشرى ؟

لكن يبدو أن هذه (البشرى) كانت وسيلة بعث الأمل في النفوس ، أو هي من صناعة كتاب المسيحية الذين أكثروا من ترديد هذه (البشرى) في الأناجيل ، وبخاصة (متى) الذي يقول : ان ملاك الرب قال ليوسف زوج مريم (ستلد ابنا ، وتدعو اسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم ، وهذا كله لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل : هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا ، ويدعون اسمه عمانوئيل ، الذي تفسيره الله معنا) (متى ١) .

وعلى كل حال فان هذه البشرى كانت في صالح الكهان للتأثير على النفوس ، ولهذا كانت أوصافه ـ التي هي من أوصاف السيد المسيح في الأناجيل ـ ملهبة للخيال والشوق ، بحيث تظل الجموع متطلعة اليه ، ترجو لقاءه .. فهو انسان سماوي ، كائن معجز ، خلقه الله قبل كل الدهور وهو في السماء حتى تحين ساعة ارساله ، وستجمع طبيعته بين اللاهوتية والناسوتية ، ولابد أن يكون من نسل داود .. وقد تنبأ (ميخا) أنه سيخرج

من بيت لحم ويعيد العدالة والحق الى سائر العالم ... (ميخا ـ ٦/٣/١) .

ويمكن القـــول ان البشرى برسول قادم سنة الهية لتهيئة النفوس ، لكن الاعتراض على العبارة التى صيغت البشرى فى طياتها ، وبخاصة ان بشرى (المسيح المنتظر) لم تظهر الا فى كتابات ما بعد السبى ، أشبه بما جاء فى عبادة مترا الفارسية التى انتشرت فى العالم لمدة تقرب من ستة قرون ، من (أن مترا ولدته عذراء فى كهف فى ٢٥ ديسمبر ، وأنه جاب الآفاق يبشر برسالته ، وكان حواريوه أثنى عشر رجلا ، وأنه مات فى سبيل البشرية ، واحتفل بقيامه من القبر بفرح عظيم ، وقد أطلق عليه اسم المخلص ، ومما هو جدير بالذكر أن هذا الدين كان قويا الى القرن الثالث الميلادى) (١) .

وقول (روبرتسون) هذا يفيد أن (المسيح المنتظر) ما هو الا ثمرة اتصال بالثقافة الفارسية ، واحساس بالحاجة الى من يخلص اليهود من أسر البابليين .. ومن أجل هذا فان أصحاب (المصـــالح الحقيقية) لم يؤمنوا بالسيد المسيح حين ظهوره ، بالرغم من اتفاق الصفات ، وظلت الـكتابات اليهودية على حالهـا تدعو الى ظهـــور (المسيح المنتظر) حتى أيامنا هذه ، (فاليهود القاطنون فى حى « مياشعاريم » بالقدس يعتبرون دولة اسرائيل ثمرة « الغطرسة الآثمة » ، لأنها قامت على يد نفر من الكافرين الذين حرفوا مشيئة الله بعلمهم ، وتطاولوا على وعد الرب ـ بدلا من انتظار المسيح الموعود ، وتدخل الرب بصورة عجائبية فالمسيح المنتظر هو وحـــده القادر على اقامة

---

(١) د. جابر الحينى ـ فى العقائد والاديان ـ ص ٢٤٩/٢٥٠ .

الدولة ، حيث تكون « مملكة الكهنة والقديسين ») .

وهؤلاء سكان (مياشعاريم) يعبرون عن ايمان صادق بما أوحاه الكهان وعمقوه فى نفوسهم .

د ـ الآخرة والبعث :

من خلال دراسة العهد القديم نجد أنه لم يمس العالم الآخر من قريب أو بعيد ، وكأنه قد اكتفى بالعقوبات الشديدة التى تنزل بالمجرمين أو لعله تأسى بديانة اخناتون دون ما سبقها من الديانات المصرية التى كانت تؤمن بالحياة الثانية ، لكن كان لاخناتون عذره ، فقد كان اغفاله العالم الآخر ضرورة أملتها عليه محاربته للديانات الشعبية التقليدية ، حيث يحتل اله الأبدية أوزوريس مكانا رئيسيا ، وربما كان يلعب دورا أنشط من أى اله آخر .

واذا كان دانيال قد أشار الى يوم البعث ، والى الحساب والجزاء بقوله (كثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء الى الأبدية ، وهؤلاء الى العار ، الى الازدراء الأبدى) (دانيال ١٢) فهذا دليل على ما أصاب التوراة من تحريف وتزييف ، أو قل انه أثر الاتصال بالديانة الزرادشتية ، زمن الأسر الطويل ، وابان الاتصال بدولة الفرس فى عهد قورش ، وهو احتمال يؤكده العبث بالأصل السماوى ، ويزكيه قول يوسيفوس المؤرخ اليهودى الفريسى : (ان الفريسيين قد سلموا الشعب وصايا وفرائض تسلموها من الآباء ، وليست مما جاء فى شريعة موسى)

(اله اسرائيل .. قدوس اسرائيل .. الساكن فى بيت اسرائيل شعب الله المختار .. تراث الرب .. أفرزتهم لك ميراثا من جميع شعوب الأرض .. اختارك الرب لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الارض) .

تعبيرات كثيرة تزخر بها اسفار (العهد القديم) تؤكد الرابطة بين (الرب) و (الشعب ، مما يوحى بأن (الشعب) على جميع مستوياته يقف أمام الرب على مستوى واحد ، وهذا يخالف الواقع ، كما سيتبين بعد .

ويرجع اختيار الرب لهذا الشعب منذ أخطأ (حام) فلم يغط عورة أبيه (نوح) الذى سكر وتعرى ، وغطاه سام ويافث ، فلما أفاق قال : (ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لاخوته ، وقال : مبارك الرب سام ، وليكن كنعان عبدا لهم ، ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام ، وليكن كنعان عبدا لهم) (تكوين ٩) .

فاذا كان تخوم الكنعانى (من صيدون ، حينما تجىء نحو جرار الى غرفة وحينما تجىء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم الى لاشع) (تكوين ١٠) ــ أدركنا لماذا كان الحكم على آل كنعان بالعبودية ، ولا ذنب لهم فيما حدث !!

ويمضى كاتب التوراة ، فيوقع ميثاقا بين الرب وابراهيم ، (قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض ، من نهر

(١) أنظر « شعب صلب الرقبة » من كتاب « هذا الكتاب المقدس » للمؤلف .

مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات) (تكوين ١٥) ، اى ان الرب لا يكتفى بلعن كنعان ، وأن يكون عبدا لسام ، وأن تصبح أرض كنعان ملك أبناء سام ، بل يتسع الميثاق حتى يتحقق (حلم صهيون) المدون على جدران الكنيست (من الفرات الى النيل) .

وبحث (الرب) عن علامة مميزة لهذا (الشعب) من غيره ، فاهتدى الى (الختان) الذى لا يعد وسيلة (تمييز) الا اذا مر بوسيلة (كشف) ابتلى بها (نوح) فى حالة سكر ، فأصابت اللعنة (كنعان) .

وكان أن عاهد (الرب) ابراهيم : (بختن منكم كل ذكر .. وأما الذكر (الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته ، فتقطع تلك النفس من شعبها) (تكوين ١٣) .

ولا يقف الأمر عند هذه العلامة التى لا تبين الا بعد (التعرية) ، فقد طلب الرب من موسى (أن يصنعوا لهم أهدابا فى أذيال ثيابهم فى أجيالهم ، ويجعلوا على هدب الذيل عصابة من اسمانجونى) (عدد ١٥) .

وينبغى ملاحظة أن هيرودوت الملقب بأبى التاريخ يخبرنا ان عادة الختان قد مورست منذ زمن طويل فى مصر ، وثبتت صحة هذا القول بفحص موميات المصريين القدماء ، بل حتى من الرسوم الموجودة على جدران المقابر .

ولعل هذه العادة انتشرت بين القبائل التى سكنت شرقى البحر المتوسط ، بعدما خضعت هذه البلاد زمنا طويلا للحكم المصرى .

هذا الى أن ابراهيم عاش زمنا فى مصر ، وتنقل فى مناطق كانت خاضعة للحكم المصرى ، والاسرائيليون عاشوا

في مصر زمنا طويلا ، وتناسلوا أجيالا عديدة ، واخذوا عن المصريين الكثير من عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ، مما يبين ان (الختان) ليس مظهرا يهوديا خاصا ، ولهـذا ينفى الاستاذ العقاد (أن الاسرائيليين اعتبروه ــ الختان ــ علامة لقبيلتهم ، تميز الاسرائيلى من غيره ، وانما الصحيح أنهم اعتبروه علامة تسليم اربهم) ، مؤكدا ذلك بأن الختان اختصار لعادة الضحية البشرية نشأ مع تقـدم الانسان فى الحضارة والمدنية ... ففى أقدم العصور كان الفاتح المنتصر يقتل الأسرى قربانا على محراب الهه ، ثم تدرجوا من قتلهم الى قطع أعضائهم ، وتدرجوا من قطع أعضائهم الى قطع أغلفتهم ، وجعلوا ذلك علامة على تسليم الأعداء بالهزيمة ، وقد فعـل ذلك الاسرائيليون مع أعـدائهم فى مواقف مختلفة ، كما فعله المكابيون مع أعدائهم (١) .

لكن ما فعله الاسرائيليون مع شكيم ــ كما أورد سفر تكوين ٣٤ ــ لم يكن الا تأكيدا للعـلامة المميزة ، وان اتخذت وسيلة انتقام .

ثم ان التقرب بقطع الأغلفة ــ وهى عملية جراحية دقيقة ــ يكلف الفاتح المنتصر مشقة بالغة ، تحـرمه شهوة الانتصار وشهوة الانتقام .

وتدوس العقلية الصهيونية كل الحقائق التاريخية من أجل توثيق نقل ملكية أرض كنعـان الى (الشعب) ، ولابد أن يـكون التـوثيق عـلى أيدى ابراهيم وهاجر واسماعيل حتى لا يأتى العرب فى يوم ويدعون ملـكية هذه الأرض .

تقول (التوراة) : حين غضبت سارة على هاجر ، لم

(١) أبو الانبياء ص ٢٠٩/٢١٠ .

يذهب بها ابراهيم الى الصحراء العربية ـ كما حكى القرآن ـ « بوادى غير ذى زرع » عند البيت الحرام ، بل ذهب بها وبابنها الى صحراء (فاران) سيناء .. وكان أن (تاهت فى برية بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الأشجار .. ورفعت صوتها ، وبكت .. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة ماء ، وسقت الغلام ، وسكن فى برية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من مصر) . (تكوين ٢١) ، لا من جرهم ، ولا من ذرية ، (الشعب المختار) .

ويستمر التحريف والتضليل ، ويصبح (الذبيح) اسحق لا اسماعيل ، لأن اسحق أبو يعقوب الذى ينسب اليه الاسرائيليون (تكوين ٢٢) .

وحين يكبر ابراهيم ويشيخ يحدث (عبده كبير بيته المستولى على ما كان له) قائلا : (أستحلفك بالرب اله السماء واله الأرض الا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم ، بل الى أرضى وعشيرتى تذهب وتأخذ زوجة لابنى اسحق) (تكوين ٢٤) .

وزيادة فى الحيطة والحرص على الطهارة والنقاء (أعطى ابراهيم اسحق كل ما كان له ـ مع أنه ليس بكره ـ وأما بنو السرارى اللواتى كانت لابراهيم ـ ومنهن هاجر أم اسماعيل جد العرب ـ فأعطاهم ابراهيم عطايا ، وصرفهم عن اسحق شرقا ، الى أرض المشرق ، وهو بعد حى) (تكوين ٢٥) ، حتى لا يختلط نسل اسحق بغيره من نسل ابراهيم ، أو اسماعيل خاصة .

وحين ماتت سارة اشترى لها أرضا ، فى أرض

الحيثيين ، ودفن (ابراهيم أمرأته في مغارة حقل المكفيلة امام ممرا التى هى حبرون ، فى ارض كنعان) (تكوين ٢٣) حتى يحيط (الشعب) هذه الفتره برعايته وعنايته، فيمتلك كل ما حولها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، على أساس نظرية الأمن الاسرائيلى .

و (كان فى الأرض جوع) .. وأراد اسحق أن يهاجر، فظهر له الرب ، (وقال : لا تنزل الى أرض مصر ، اسكن في الأرض التى اقول لك ، تغرب فى هذه الأرض فأكون معـك ، وأباركك ، لأنى الك ولنسلك أعطى جميع هـذه البـلاد ، وأفى بالقسم الذى أقسمت لابيك ، ابراهيم وأكثر نسلك كنجوم السماء ، وأعطى نسلك جميع هـذه البلاد ، وتتبارك فى نسـلك جميع أمم الأرض .. فأقام اسحق فى جرار) (تكوين ٢٦) .

واذا كان (الرب) قد سمح بعد ذلك ليعقوب بالهجرة الى مصر فى حالة جوع مماثلة ، فلم يكن ذلك الا بعد ان توثقت (الملكية) على يد اسحق ، والا بعد أن وطد يوسف لابيه فى مصر ، وحتى يـكون مولد يعقـوب فى (أرض الميعاد) ، لا فى الأرض التى انصبت على رءوسهم فيهـا لعنة الفراعنة .

وكما فعل ابراهيم حفـاظا على نسل اسحق (دعا اسحق يعقوب ، وباركه ، واوصاه ، وقال له ، لا تأخذ زوجة من بنات كنعان ، قم اذهب الى فدان آرام ، الى بيت بتوئيل أبى أمك ، وخذ لنفسك زوجة من هناك ، من بنات لابان أخى أمك) (تكوين ٢٨) .

وخرج يعقـوب من بير سبع ذاهبـا نحـو حاران ، واضطجع فى الطريق ، فأتاه الرب قائلا : (الأرض التى

نت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ، ويكون نسلك كتراب الأرض ، وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا ، ويتبارك فيك وفى نسـلك جميع قبـائل الأرض) (تكوين ٢٨) .

ويضرب الجوع (شعب الله المختار) ــ الذى كان يبلغ اذ ذاك سبعين نسمة ــ فلا يجد القوت الا فى مصر ..

ويستيقظ المصريون فى يوم ، وقد أصبحت الثروة والسلطة فى أيدى الغرباء .

وتشتد قبضة سفنن رع وكامس وأحمس ، فيطرد الهكسوس ، ويعرف أصحاب الأرض الدور الاستعمارى الذى يلعبه الاسرائيليون ، فيضيق رمسيس الخناق عليهم حتى يضطروا الى الخروج ، ويعلم منفتاح أنهم سرقوا ذهب مصر وفضتها ، فيلاحقهم .

وأمكنهم الافلات من قبضة فرعون ، لكن بعد ما قذف فى قلوبهم الرعب ، حتى جعلهم يتيهون فى الصحراء اربعين عاما لا يقدرون على مواجهة تجـربة جديدة ، لا يدرون مصيرهم معها .. ولهذا قالوا على لسان الرب ، (لا يرد الشعب الى مصر ، الرب قد قال لكم ، لا تعودوا ترجعون فى هذه الطريق) (تثنية ١٧) .

ويحاول موسى أن يبث فى نفوسهم الأمل فلم يفلح .

ويصعد موسى الجبل ، ويلتقى بربه ، ويعود ببشارة (الآن ، ان سمعتم صوتى ، وحفظتم عهدى ، تكونون لى خاصة ، من بين جميع الشعوب فـان لى كل الأرض ، وأنتم تكونون لى مملكة كهنـة ، وأمة مقـدسة) (خروج ١٩) .

وما داموا قد أصبحوا بمثابة أبنــاء الله وخلفائه فى الأرض ، فلابد من أن يحقق الله لهم ما وعد من (أرض تفيض لبنا وعسلا) .

لقد فجر على يدى موسى اثنتى عشرة عينا بعدما استبد بهم العطش ، واغــدق عليهم المن والسلوى حين استبد بهم الجوع ، أفلا ينصرهم على (القوم الجبارين) ؟

وكان أن حارب الله معهم ، أرســل هيبتــه أمامهم (وأزعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم) وأرسل أمامهم الزنابير ، فطردوا الحوريين والكنعانيين والحيثيين .. تحت قيادة يشوع .. وتملكتهم شهوة التسلط والتملك والانتقام والغدر والحرق والتدمير .

وحين شاخ يشوع (دعا جميع اسرائيل وشــــيوخه ورؤسائه وقضاته وعرفاءه وقال لهم : أنا قد شخت ، تقدمت بى الأيام ، وأنتم قد رأيتم كل ما عمل الرب الهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم ، لأن الرب الهــكم هو المحارب عنكم ، أنظروا ، قد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكا حسب أســباطكم ، من الأردن ، وجميع الشعوب التى قرضتها ، والبحـــر العظيم نحو غروب الشمس، الرب الهكم هو ينفيهم من أماكن ويطردهم من قدامكم ، فتملكون أرضهم ، كمـــا كلمكم الرب الهكم ، فتشددوا جدا ، لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب فى سفر شريعة موسى .. ولكن اذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب ، أولئك الباقين معكم ، وصاهرتموهم ودخلتم اليهم وهم اليكم . فاعلموا يقينا أن الرب لا يعود يطــرد أولئك الشعوب من أمامكم ، فيكونوا لـــكم فخا وشركا وسوطا على جوانبكم ، وشوكا فى أعينكم ، حتى تبيدوا

عن تلك الأرض الصالحة التى أعطاكم اياها الرب الهكم)
(يشوع ٢٣) .

ويأتى سليمان بن داود فيؤكد الرابطة بين الرب واسرائيل ، قائلا : (لأنهم شعبك وميراثك الذين أخرجت من مصر ، من وسط كور الحديد ، لتكون عيناك مفتوحتين نحو تضرع عبدك وتضرع شعبك اسرائيل ، فتصغى اليهم فى كل ما يدعونك ، لأنك أنت أفرزتهم لك ميراثا من جميع شعوب الأرض) ، (الملوك الأول ٨) .

ونسى سليمان انه تزوج ــ كما جاء فى (الملوك الأول ١١) بحوالى سبعمائة امرأة من شعوب أخرى ، وتسرى بثلاثمائة ، كما نسى أن بنى اسرائيل لم يعتزلوا الشعوب الأخرى عزلة كاملة ، وبخاصة خلال الهزائم التى لحقت بهم ، وخلال التطواف الطويل ، والاقامة فى أكناف شعوب كثيرة .. فاذا انتهى بهم الأمر الى الشتات الكبير على أيدى البابليين والأشوريين ، وتمزق مجتمعهم كل ممزق ، بين بلاد ذات حضارة وأصالة وقوة شكيمة ــ اختلط الزرع المقدس ، وهذا ما يؤكده جوستاف اوبون ولومبروزو ، بل يعلنه سفر عزرا صراحة : (لم ينفصل شعب اسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأراضى حسب رجاساتهم ، من الكنعانيين والحيثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والموابين والمصريين والأموريين ، لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم) (عزرا ٩) .

وهذا الاعلان اعتراف من الرؤساء لعزرا الذى أصدر أمرا جديدا لاستنقاذ بقية الدم المقدس ، (لا تعطوا بناتكم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ، ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم

الى الابد ؛ لكى تتشددوا وتأكلوا خير الارض ، وتورثوا بنيكم اياها الى الأبد) (عزرا ٩) .

ولكن الرؤساء فى حيرة بالنسبة لما حدث .. ماذا وقد (أكثرنا الذنب فى هذا الامر ؟ ووجد بين بنى الكهنة من اتخذ نساء غريبة .. ومنهن نساء قد وضعن بنين) ؟

والحل أن يقربوا (كبش غنم لأجل اثمهم) !!

ومع هذا تظل دعوى (شعب الله المختار)،على حين ترتفع أصوات كثيرة تقول : ان تاريخ اليهود مختلق على نطـاق واسع ، اختلقه المتآمرون البابليون ــ اليهود فى أسر بابل ــ وهدفهم خلق تقاليد قومية لها غاية قائمة بذاتها لدى المنفيين وذريتهم ، تفرض عليهم تنظيما باطشا تحت امرة الشريعة ، ومن ثم اضفاء ثوب الدين عليهم ، لاخفاء وتبرير غاياتهم الاجرامية ضد العالم ، وقد اسـتعار واضعو المؤامرة الأفـكار من مضيفيهم البابليين ، ثم أضافوا اليها تقاليدهم القبلية الخـاصة بعد تنميتها وتزيينها ، ثم أطلقوا لمخيلاتهم الخصبة العنان .

ويفسر هذا أن كل كتب الأنبياء تنبأت بقيام مملـكة (يهوه) حيث يسيطر اليهود على شئون العالم (ويرثون الأمم) ، الى حد أن (أشعياء ٢٠/٦٠) يقول : (لا تغرب شمسك من بعد ، وقمرك لا ينقص ، لأن الرب يـكون لك نورا أبديا ، وتكون أيام مناحتك قد انقضت ، ويكون شعبك كلهم صديقين ، والى الأبد يرثون الأرض) .

وما أتى (دانيال) حتى كان اليهود قـد أخـذهم الاستنكار والسخط لأن (الوعد) لم يتحقق ، فسارع دانيال الى تهدئتهم ، منبئا اياهم أن الرب سيعلمهم فى الوقت المناسب متى سيتحقق الوعد وينتهى سخطهم :

(وقال : انى أعلمك بما سيكون فى آخر السخط ، فانه يتم فى الميعاد المحدود) (دانيال ١٩/٨) فلا تقلقوا يا بنى اسرائيل ، ولا تتحول مناحتكم الى سخط لأنه فى الوقت المحدد تكون (الضربة التى يضرب بها الرب كل الشعوب الذين تجندوا على أورشليم ، لحومهم تذوب وهم واقفون على أقدامهم ، وعيونهم تذوب فى اوقابها ، والسنتهم تذوب فى فمهم) (زكريا ١٢/١٤) .

ان صلاة اليهود الأكثر ترددا اليوم هى (فليتمجد ويتقدس اسم الرب العظيم فى كل العالم الذى خلقه حسب مشيئته ، ولتتحقق مملكته أثناء حياتكم ، وخلال أيامكم ، وأثناء حياة كل بنى اسرائيل ، بسرعة وبالقريب العاجل آمين) .

وهذا الحلم الذى طال أكثر من ثلاثة آلاف عام ، هو الذى حرك ويحرك عبقرية هؤلاء القوم الى تزييف كل شىء : الدين والتاريخ والضمير والمبادىء والشعارات والمذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

قال فيلون الفيلسوف اليهودى الذى عاش فى القرن الأول الميلادى : (ان اليهود يكونون شعبا يجاوز حدود الوطن والجنس المحلى ، وتصبح معه القومية مفهوما لا يستند الى الجنس أو الحدود الجغرافية أو نوع الحكومة السياسى ، ولكن الى الدين والوضع الحضارى) .

وقال يهوذا بن غاليف الفيلسوف : (ن تشتت الشعب الاسرائيلى يعتبر قرارا ربانيا مدهشا ، وضع لالهام بقية شعوب الأرض) .

وقال هرتزل : (ان جنسنا أكثر فاعلية فى كل شىء من باقى شعوب الأرض) .

وقال فرويد : (ان اليهود هم الذين أعطوا البشرية الشريعة ، وكانوا لها الضمير ، وان اليهودية مصدر للطاقة لا يعوض) .

وقال ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية السابق : (ان اليهود لم يكونوا أبدا مثل الشعوب الأخرى ، كانوا دائما شيئا مميزا ، أكبر من مجرد شعب ، وأكبر من مجرد دين ، وأكبر من مجرد حضارة، هم كل هؤلاء مجتمعين ، ولا توجد هناك جماعة تماثلهم ، فتاريخهم شيء مميز خاص) .

وقال بن جوريون : (انني أومن بتفوقنا الخلقي والفكري ، بحيث يستخدم كنموذج لاصلاح الجنس البشري) .

وهذه الأقوال مجرد نموذج للدعاوى المستمرة لتغذية الشعور بالتفوق أو بالأحرى العنصرية ، الشعب المختار ، بالرغم من أن (واقع تطور علم السلالات الانسانية أثبت منذ وقت طويل أن اليهود لا يمثلون عنصرا مستقلا ، وجاء في اعلان الأجناس والتباينات العرقية الذي أقرته مجموعة من علماء السلالات البشرية البارزين عام ١٩٥١ أن المسلمين واليهود لا يمثلون أجناسا ، شأنهم في ذلك شأن الكاثوليك والبروتستانت ، وسكان أيسلندا أو الهند ، والشعوب الناطقة بالانجليزية أو أي لغة أخرى) (١) .

وسكان اسرائيل اليوم يتكونون من عدة مجموعات : السابرا ، وهم اليهود الذين ولدوا في فلسطين ..

---

(١) البروفيسورة ميليفا مود زجينسكايا ـ بمجلة آفاق عربية ـ عدد كانون الثاني سنة ١٩٧٧ .

والاشكنازى : اليهود ذوو الاصل الأوروبى واليهـــود الشرقيون ومن بينهم جزء كبير من السفارديم : اليهود المنحـدرون من بلدان أفريقيـا وآســيا ، والمجموعتان الاخـيرتان لا تمثـلان شـيئا موحدا من وجهة نظر علم السلالات البشرية ، اذ انهما لم تتخلصا بعد من التقاليد الثقافية والمعيشية لبلدان اقامتها الســابقة .. وعلى الرغم من أن المهاجرين من بلدان آسيا وافريقيا يشكلون ٦٠ ٪ من سكان اسرائيل اليهود فانهم يعانون من التفرقة سواء فى المجالات السياسية والثقافية .

وتعمى العيـون عن هـذا التمزق الداخلى ، لتنطلق الألسنة محدثة عن الانتخاب العرقى والسيادة العالمية .

و ـ الكهنة (١)

وقد يثير الدهشة أن الرب ـ فى كثير من أســفار التوراة وكتب الأنبياء ـ يستغل اســـتغلالا قاسيا فى سيطرة طبقة ، أو فى ابتزاز خيرات (الشعب) لصالح سبط من الأسباط (فريضة دهرية) .

ويتخذ (تابوت الرب) الذى هو نصب من الأنصاب، بمثابة شرك ، للايقاع بالشعب المخـدوع ، بين أنياب ومخالب لا تشبع ولا ترتوى .

فاذا كان (هرون) فى عبـــارة (القرآن) فصيحا شجاعا ، وشريكا فى اداء الرسالة : « وأخى هرون هو أفصح منى لسانا ، فأرسله معى ردءا » (القصص ٣٤) ،

(١) أنظر : « إله من ذهب » من كتاب « هذا الكتاب المقدس » للمؤلف .

« اشدد به أزرى ، واشركه فى أمرى » (طه ٣١/٣٢) فانه فى عبارة (العهد القديم) يهودى ، قبل أن يكون ربانيا .

(لما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هرون ، وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هرون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم ، وائتونى بها ، فنزع كل الشعب اقراط الذهب التى فى آذانهم ، وأتوا بها الى هرون ، فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوره بالأزميل ، وصنعه عجلا مسبوكا ، فقالوا : هذه آلهتك يا اسرائيل التى اصعدتك من أرض مصر ، فلما نظر هرون بنى مذبحا أمامه ، ونادى هرون وقال : غدا عيد للرب ، فبكروا فى الغد ، وأصعدوا محرقات ، وقدموا ذبائح السلامة (خروج ٣٢) . طلب الشعب الها مصنوعا ، وكان بوسع هرون أن يجعله من طين أو من خشب أو من نحاس مثلا ، لكنه أراده من ذهب ، فى صورة الاله المصرى القديم — قبل عهود الذلة والعبودية فى مصر — وصنعه بيده لا بيد أخرى ، وبنى له مذبحا ، وجعل له عيدا ، وأصعد المحرقات ، وقدم الذبائح .

ويلاحظ أن عبادة (العجل) تتكرر وتتجدد فى حياة بنى اسرائيل .. فقد عمل يربعام عجلى ذهب ليعبدهما اتباعه فى دولة اسرائيل حتى لا يحتاجوا الى الذهاب الى الهيكل الذى يقع فى دولة يهوذا برئاسة رحبعام (الملوك الاول ١٢) .

وملك بعشا بن اخيا على جميع اسرائيل ، وسار فى

طريق يربعام ، في خطيئته التى جعل بها أسرائيل تخطىء (الملوك الأول ١٥) وكذلك فعل عمرى ، وجاء أخاب بن عمرى فتزوج ابنه ملك الصيدونيين ، وعبد البعل ، وسجد له ، وأقام مذبحا (الملوك الأول ١٦) .

كما يلاحظ أن الاله من ذهب دائما ، كأنما هو التعبير عن القوة في عرف اليهود .

ويعود موسى من لقاء الرب .. وحين أبصر هذا الانقلاب الذى أحدثه هرون (حمى غضب موسى ، وطرح اللوحين من يديه ، وكسرهما في أسفل الجبل ، ثم أخذ العجل الذى صنعوا ، وأحرقه بالنار ، وطحنه حتى صار ناعما ، وذراه على وجه الماء وسقى بنى اسرائيل) (خروج ٣٢) .

أراد موسى أن يحطم الوثنية ، فأجراها في دمائهم ، ذرات ذهبية تصبح نسيج أبدانهم ، وميراث أجيالهم .

ويكافأ هرون من الرب على ما فعل ، فيقول الرب لموسى : (قرب اليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بنى اسرائيل ليكهن لى) (خروج ٢٨) .

وتكون أول (تقدمة) للرب ــ أى لحساب هرون وبنيه الكهنة ــ من (ذهب وفضة ونحاس واسمانجونى وأرجوان وقرمزوبوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة ، وجلود تخس ، وخشب سنط ، وزيت للمنارة ، وأطياب لدهن المسحة ، وللبخور العطر ، وحجارة جزع ، وحجارة ترصيع للرداء والصدرة) حتى يصنعوا للرب (مقدسا لاسكن فى وسطهم) .

هذا مع أن تعاليم الرب لموسى فى أول لقاء (لا تصنعوا

معى آلهة فضة ، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب ، مذبحا من تراب تصنع لى ، وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك .. وان صنعت لى مذبحا من حجارة فلا تبنه منها منحوتة ، واذا رفعت عليها أزميلك تدنسها ، ولا تصعد بدرج الى مذبحى ، كيلا تنكشف عورتك عليه)(خروج ٢٠).

صورة مبسطة ارتضاها الرب لعبادته ، وحذر من المغالاة في المظاهر ، حتى لا تصبح هذه المنشآت أوثانا ، ومن ثم اشترط أن تكون من تراب ، فاذا استخدمت الحجارة لا تكون منحوتة ، بل بصورتها الطبيعية ، لم يستخدم معها ازميل ، والا تدنست ، لأنها ستكون سبيلا الى الاعجاب ، فالتقدير ، فالاجلال فالوثنية ، فتنكشف عورة المتقرب الى (الرب) .

ومع هذا فان الرب يضع أمام موسى رسما تفصيليا للمقدس فى صورة مشروع هندسى معد للتنفيذ :

(بحسب ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعونه) .

(فيصنعون تابوتا من خشب السنط ، طوله ذراعان ونصف ، وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف ، وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف ، وتغشيه بذهب نقى ، من داخل ومن خارج تغشيه ، وتضع عليه اكليلا من ذهب حواليه ، وتشبك له أربع حلقات من ذهب ، وتجعلها على قوائمه الأربع ، على جانب الواحد حلقتان ، وعلى جانبه الثانى حلقتان ، وتصنع عصويه من خشب السنط ، وتغشيهما بذهب ، وتدخل العصوين فى الحلقات على جانبى التابوت ، ليحمل التابوت بهما ، تبقى العصوان فى حلقات التابوت ، لا تنزعان منها ،

وتضع فى التابوت الشهادة التى أعطيك) .

نلاحظ من هذا الوصف المطول أن التابوت لا يخرج عن صندوق فيه لوحا الشهادة ، وقاية لهما .. وكان بوسع (الرب) أن يؤكد على صيانة اللوحين ، وعلى شعبه المختار أن يختار الطريقة التى تتناسب مع ظروف حياتهم ، كأن تحفظ التعاليم وترتل ، أو تكتب منهما نسخ مختلفة ، حتى يكون عهد الطباعة ، فتطبع آلاف النسخ أو ملايينها .

لكن (الكهنة) أرادوا شيئا ، أو صنما (١) ، يلتف حوله الشعب ، أو أرادوا حقل تجارب لمعرفة امكانيات الشعب وقدرته على الحركة داخل اقتصاديات الشعوب المستقلة .

لهذا لزم أن (تبقى العصوان فى حلقات التابوت ، لا تنزعان منها) رمزا للحركة المستمرة .

(وتصنع غطاء من ذهب نقى ، طوله ذراعان ونصف ، وعرضه ذراع ونصف ، وتصنع كروبين من ذهب ، صنعة خراطة ، تصنعهما على طرفى الغطاء ... ويكون الكروبان باسطين اجنحتهما الى فوق ، مظللين بأجنحتهما على الغطاء . ووجهاهما كل واحد الى الآخر) .

ومن وصف التابوت والغطاء نجد أن الرب مهتم بأن يكون الاكليل والحلقات والغطاء والكروبان من ذهب نقى ، لان حديث الرب بعد ذلك سيكون (من على الغطاء بين الكروبين) ، فلابد وأن يكون (العرش) ذهبيا ، حتى يتناسب ومكانته (العلية) !!

---

(١) يقول الدكتور فؤاد حسنين علي : وظل الاسرائيليون زمنا طويلا يقدسون التابوت ، ويستخدمونه مجلبة الخير .

ثم يمضي في وصف المائدة والمنـارة التى هى (من ذهب نقى ، عمل الخراطة) حتى ليحار القارىء : من أين هذا الذهب كله ، وقد جمعه هرون فى العجل الذهبى الذى احرقه موسى فصار رمادا فشرابا ؟ واذا كان الله قد صنع صورة لهذا كله ، فلماذا لم يقدمها هدية الى شعبه المختـــار ، ويعفيه من هـــذا الابتزاز الذهبى الرهيب (١) ؟

لكن يبدو أن سياسة (الرب) مستقبلية ، فهو يضع أسس المذاهب الاقتصادية التي ستنبثق فى صورة الهام من العقلية اليهودية .. فتركيز الثروة فى يد (اللاويين) يعنى سيطرة الطبقة ، أو السياسة الرأسـمالية ، وأن تجتمع الثروة فى يد (المشرعين) يعنى عـــدم الملـكية الفردية ، أو السياسة الشـيوعية ، وتتجلى السياسة الاشتراكية فيما سنعرضه بعد بناء (المسكن) من ألوان الضرائب التى تثقل كاهل الشعب .

ويمضى فى وصف المسكن فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، وحدد مقاييسها ومادتها ، وطريقة صنعها ، وارتباطها بغيرها .. ولم يكتف بهذا ، بل صنع بيتا فى الجبل ، لينقل موسى صورة على مثاله : (كما اظهر لك فى الجبل هكذا تصنعونه) .

وزاد الرب فدعا (بصلئيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا باسمه ، وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة ، لاختراع مخترعات ، ليعمل فى

---

(١) يقول الدكتور فؤاد حسنين على : فى نصوص قديمة لم يرد ذكر لهذه الطبقة الذهبية أو الحلقات أو القوائم . ص ٥٩ اليهودية ، واليهوديه المسيحية .

الذهب والفضة والنحاس ، ونقش حجـــارة للترصيع ونجارة الخشب ، ليعمل فى كل صنعة ، وهانذا جعلت اهولياب بن أخيساماك من سبط دان ، وفى قلب كل حكيم القلب جعلت حكمة ، ليصنعوا كل ما أمرتك) (خروج ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١) .

ويلاحظ أن هذا البيت صمم على أساس امكانية نقله مع هذا (الشعب) الذى لم يستقر به المقام بعد ، وتبعا للاحداث المريرة والحروب التى خاضها لم يكن بمستطاع أن يجدد البناء .

يقول الدكتور فؤاد حسنين على : وجاء فى الخبر الصادق ان داود فكر فى اقامة معبد ليهوه فى عاصمة ملكه وعاصمة أسرته أورشليم ، حتى يكون هذا المعبد عاملا من عوامل اتحاد الأمة وجمع شمل البلاد ، الا أن معارضة بعض المحافظين من رجال الدين ، وعلى رأسهم النبى ناثان عرقل تنفيذ الفـــكرة (صموئيل الثانى ـ ص ٧) (١) .

فلما كان عهد سليمان حيث (لا يوجد خصم ولا حادثة شر) ، واتسعت امكانيات (الشعب) بأموال اغتنموها ، ومزارع أبادوا أصحابها .. تهيأ لسليمان بناء البيت ، فسخر ثلاثين ألف رجل يساعدون عبيد (حيرام) ملك (صور) فى قطع أخشاب الأرز والسرو ، وثمانين ألفا يقطعون حجارة كريمة مربعة فى الجبل وسبعين ألفـــا يحملون الأخشاب والحجارة ، (ما عدا رؤســاء الوكلاء لسليمان الذين على العمل ثلاثة آلاف وثلاثمائة المتسلطين على الشعب العاملين العمل) واجتمع بناءو حيرام وبناءو

(١) اليهودية ، واليهودية المسيحية ص ٦٠ .

سليمان والجبليون (وهيئوا الأخشاب والحجارة لبناء البيت) .. وعلى صورة بيت الرب الذى أشرف على بنائه موسى ، أعاد سليمان بناء البيت ، لكن مع امكانيات باهظة التكاليف ، وعلى أساس أن يكون البيت ثابت الدعائم فى أورشليم (الملوك الأول ٥/٨) .

(ومقابل خدمات حيرام قدم سليمان لصور كثيرا من الحبوب والزيت ، كما تنازل عن جزء من مملكته لصور) (١) .

وخرب نبوخذ نصر ما بنى سليمان ، وقضى على وجود اسرائيل فى ارض كنعان سنة ٥٨٧ ق . م . ثم استولى قورش ملك فارس على بابل ، وفك أسر بنى اسرائيل فأخذ الرب (حزقيال) ، وصعد به على جبل عال جدا ، و (اذا برجل منظره كمنظر النحاس ، وبيده خيط كتان ، وقصبة القياس ، وهو واقف بالباب ، فقال لى الرجل : يابن آدم ، أنظر بعينيك ، واسمع بأذنيك ، واجعل قلبك الى كل ما أريك لأنه لأجل ارادتك أتى بك الى هنا ، أخبر بيت اسرائيل بكل ما ترى) .

ومضى به الرجل يقيس السور خارج البيت ، ويرسم أبوابه ، ورواق الباب ، وغرفات الباب ، ثم أتى الى الدار الخارجية ، ومخادعها ، وأبوابها ، وغرفاتها وكواها ، وقببها ، ونخيلها ، ثم الدار الداخلية ، وغرفاتها ، وأروقة أبوابها وموائدها ، ومخادعها ، والهيكل ، وعضائده ، وقوائمه ، والبيت ، وغرفاته ، ومخادعه ، وكواه ، وعتباته ، وأساطينه ، وكروبيمه ، ونخيله ، والمذبح بكل تفصيلاته .

(١) المصدر السابق ـ ص ٦١ .

واشترط أن تكون (المخادع العليـــــا أقصر ، لأن الأساطين أكلت من هذه من أسافل البناء ، ومن أواسطه، لأنها ثلاث طبقات ، ولم يكن لها اعمدة كأعمدة الدور ، لذلك تضيق من الأسافل ، ومن الأواسط من الأرض) .

ويلاحظ ان بيت (حزقيال) أكبر كثـــيرا مما بنى سليمان ، فبيت سليمان (طوله ستون ذراعا ، وعرضه عشرون ذراعا) ، على حين أن سور بيت حزقيـــال بلغ خمسمائة قصبة طولا وعرضا ، و (قصبة القياس ست أذرع طولا بالذراع وشبرا) .

كما يبدو اهتمام (الرب) ببيت (حزقيال) اذ اتخذ له من البيت مقاما (يابن آدم .. هذا مكان كرسي ، ومكان باطن قدمي ، حيث أســـكن وسط بنى اسرائيل الى الأبد) (حزقيال ٤٠/٤٣) .

***

واذا كان الرب قد اهتم ببيته هــذا الاهتمام ، فان عنايته بالقوامين عليه ، وبخدامه تبدو واضحة من خلال الأوصاف التى تتمثل فيهم ، والملابس التى يتحلون بها ، والحقوق التى كفلها لهم .

وفى هذا يقول الرب لهرون : (اذا كان رجل من نسلك، فى أجيالهم ، فيه عيب ، فلا يتقدم ليقرب خبز الهه ، لا رجل أعمى ، ولا أعرج ولا أفطس ، ولا زوائدى ، ولا رجل فيه كسر أو كسر يد ، ولا أحدب ، ولا أكثم ، ولا من فى عينه بيـــاض ، ولا أجرب ، ولا أكلف ، ولا مرضوض الخصى ، لئلا يدنس مقدسى) (لاويين ٢١) .

وأوصى موسى أن (اصنع ثيابا مقدسة لهرون أخيك ، للمسجد والبهاء) وهذه الثياب التى يصنعها (حــكماء

القلوب الذين ملأتهم روح حكمة ... صدرة ، ورداء ، وجبة . وقميص مخرم ، وعمامة ، ومنطقة) .

ويمضى فى وصف هذه الملابس بدقة ابرع مما فعل فى وصف البيت .

ولم ينس الرب أن يذكر ملابس بنى هرون من أقمصة، ومناطق ، وقلانس ، للمسجد والبهاء .. لكنه سكت عن وصفها لتاخذ نفس صفات ملابس أبيهم ، وبخاصة انه اتبع ذكر ملابس الابناء بقوله : (وتلبس هرون أخاك اياها ، وبنيه معه ، وتمسحهم وتملأ أياديهم ، وتقدمهم ليكهنوا لى ، وتصنع لهم سراويل من كتان لستر العورة من الحقوين الى الفخذين تكون ، فتكون على هرون وبنيه عند دخولهم الى خيمة الاجتماع ، أو عند اقترابهم الى المذبح للخدمة فى القدس ، لئلا يحملوا اثما ، ويموتوا ، فريضة أبدية له ، ولنسله من بعده) (خروج ٢٨) .

يحار المرء — دون شك — فى تكاليف هذه الثياب اكثر من حيرته فى اوصافها ...

هذا الذهب ، وهذه الحجارة الكريمة كلها ، ممن ؟ من شعب ضائع فى الصحراء ؟ ولماذا ؟ من أجل المثول بين يدى الرب ؟ اى رب هذا الذى يستولى على كل ما يملك شعبه ، ليصنع ثياب أسرة لا شرف لها الا الانتساب الى موسى الرسول ؟ ويجعله فى بيتها وسائل ترف وخداع ، بحسبان أن البيت بيت الرب ، ولابد أن يتناسب المكان مع جلاله (سبحانه) ، هذا الرب الذى يحتاج الى أن يلبس من يدخل عليه رمانات وجلاجل تحدث صوتا ، حتى لا يفاجأ متلبسا بما لا ينبغى ، فيغضب ، وتكون النتيجة موت من انكشف له ما لا ينبغى أن يرى ؟

وهل يكفى أن تسجل أسـماء الاسباط على حجاره الصدرة لينساق الجميع وراء هذا الشرف العظيم ؟

هل يظل (الشعب) أسير هذه الترهات أبد الدهر ، من أجل مغفرة آثامه ، ونيل مرضاة (الرب) ؟

أليس هـذا الشعب لا يؤمن بالآخرة ، والشريعـة المدونة فى لوحى التابوت لا تحمل اشارة الي ثواب او عقاب بعد الموت ؟

ماذا يدفع الشعب اذن الى ان يجوع ويعرى ، من أجل ان يأكل الكهنة القادة فى صحاف من الذهب ؟

أهو ذلك الوهم الكاذب الذى يربط بين الشعب والرب ، والدجل الطويل الذى ألقى فى قلوب هؤلاء القوم الرعب من المجهول ، والسخط والحقد على كل الشعوب ، والأمل الخادع فى مملكة الرب تسيطر — فى يوم — على كل العالم ؟

***

لننظر فى الالتزامات التى فرضها الـكهنة على هؤلاء الأشقياء باسم (الرب) ، وتكررت بصورة أو بأخرى فى معظم الأسفار ، حتى تنغرس فى قلوبهم ، وتسرى فى دمائهم مسرى اله الذهب الذى سقاهم موسى ترابه .

يتحدث سفر (لاويين) الكهنة عن القرابين من الفطير والرقاق وما هو على الصاج ، وفى الطاجن ، والفريك المشوى بالنار ، والذبائح من البقر والغنم والماعز ، ومن أخطأ فعليـه ثور صحيح (للرب ذبيحة خطية) ، ومن اخطأ بسهو ، ثم أعلم بخطيئه (يأتى بقربان تيسا من المعز ذكرا صحيحا) ، فان كان من عامة الأرض (يأتى بقربانه عنزا من المعز أنثى صحيحة) (لاويين ٤/١) وبهذا يكفر عنه الكاهن ، ويصفح الرب .

و (ذبيحة الاثم كذبيحة الخطية ، لها شريعة واحدة ، الكاهن الذي يكفر بها تكون له ، والكاهن الذي يقرب محرقة انسان ، فجلد المحرقة التي يقربها يكون له ، وكل تقدمة خبزت في التنور ، وكل ما عمل في طاجن او على صاج يكون للكاهن الذي يقربه ، وكل تقدمة ملتوتة بزيت أو ناشفة تكون لجميع بني هرون ، كل انسان كأخيه ...

وهذه شريعة ذبائح السلامة التي يقربها للرب .

ان قربها لأجل الشكر يقرب على ذبيحة الشكر اقراص فطير ملتوتة بزيت ورقاق فطير مدهونة بزيت ، ودقيقا مربوكا أقراصا ملتوتة بزيت ، مع اقراص خبز خمير يقرب قربانه على ذبيحة شكر سلامته ، ويقرب منه واحدا من كل قربانه رفيعة للرب ، يكون للكاهن الذي يرش دم ذبيحة السلامة ، ولحم ذبيحة شكر سلامته ، يؤكل كل يوم قربانه ، لا يبقى منه شيئا الى الصباح .

وان كانت ذبيحة قربانه ، نذرا أو نافلة ، ففي يوم تقريبه ذبيحته تؤكل وفي الغد يؤكل ما فضل منها ، وأما الفاضل من لحم الذبيحة في اليوم الثالث فيحرق بالنار — اذ لم تكن الثلاجات اخترعت بعد ، وحتى لا يذوق — الفقراء طعمها ، فتنفتح أفواههم — ويكون الصدر لهرون وبنيه .. فريضة دهرية ، تكون هذه لهم في أجيالهم) .. (لاويين ١٧) .

ولم يكتف رب موسى بهذا ، بل أوصى بني اسرائيل بأن (قرباني طعامي مع وقائدي رائحة سرور ، تحرصون أن تقدموه في وقته .. وقل لهم هذا الوقود الذي تقربون للرب خروفان حوليان صحيحان لكل يوم محرقة دائمة .

وفي يوم السبت خروفان حوليان صحيحان وعشران من دقيق ملتوت بزيت ، تقدمه مع سكيبه .

وفي رءوس شهوركم تقربون محرقة للرب ثورين ابني بقر ، وكبشا واحدا ، وسبعة خراف حولية صحيحة ، وثلاثة أعشار من دقيق ملتوت بزيت تقدمه لكل ثور ، وعشرين من دقيق ملتوت بزيت تقدمه للكبش الواحد ، وعشرا واحدا من دقيق ملتوت بزيت تقدمه لكل خروف ، وسكائبهن تكون نصف الهين للثور ، وثلث الهين للكبش ، وربع الهين للخروف من خمر .

وفى الشهر الأول فى اليوم الرابع عشر من الشهر فصح للرب .

وفى اليوم الخامس من هذا الشهر عيد ، سبعة أيام يؤكل فطير) . (عدد ٢٨) وتستمر المحافل المقدسة والقرابين فى أيام محددة واجبة الالتزام على مر العام (عدد ٢٨/٢٩) .

هذا بالاضافة الى (كل عشر الأرض من حبوب الأرض وأثمار الشجر فهو للرب ، قدس للرب ، وان فك انسان بعض عشره يزيد خمسه عليه ، وأما كل عشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قدسا للرب ، لا يفحص أجيد هو أم ردىء ، ولا يبدله ، وان أبدله يكون هو وبديله قدسا لا يفك) (لاويين ٢٧) .

ومن الغنائم يؤخذ واحد فى المائة زكاة للرب من البقر والغنم والحمير ، غير رفيعة للرب ، نفس من كل خمسمائة من الناس والبقر والحمير والغنم ، فضلا عن كل ما يوجد من أمتعة ذهب (حجولا وأساور وخواتم واقراطا وقلائد) وغيرها .. (عدد ٣١) .

ويؤكد الرب حقوق هرون وأتباعه من هذا كله بتقسيمه بينهم على أساس أن لهرون (من قدس الأقداس، من النار، كل قرابينهم ، مع كل تقديماتهم ، وكل ذبائح خطاياهم ، وكل ذبائح آثامهم التى يردونها لى ، قدس أقداس هى لك ولبنيك ، فى قدس الأقداس تأكلهــا .. كل ذكر يأكلها .. الرفيعة من عطاياهم .. لك أعطيتها ولبنيك وبناتك فريضة دهرية .

كل دسم الزيت ، وكل دسم المســطار والحنطة ، أبكارهن التى يعطونها للرب لك أعطيتها .

ابكار كل ما فى أرضهم التى يقدمونها للرب لك تكون .. كل طاهر فى بيتك يأكلها .. كل محرم فى اسرائيل يكون لك .

كل فاتح رحم – البكر – من كل جسد ، يقدمونه للرب من الناس ، ومن البهائم ، يكون لك .. غير أنك تقبل فداء بكر الانسان وبكر البهيمة النجسة .

جميع رفائع الأقداس .. أعطيتها لك ، ولبنيك وبناتك معك ، حقا دهريا) .. (واما بنو لاوى فانى قد أعطيتهم كل عشر فى اسرائيل ميراثا ، عــوض خدمتهم التى يخدمونها ، خدمة خيمة الاجتماع) .

لكن على بنى لاوى أن يرفعوا عشر ما يحصلون عليه لهرون الكاهن (عدد ١٨) .

ثم تكون واجبات تدشين المذبح :

(قال الرب لموسى : رئيسا رئيسا فى كل يوم يقربون قرابينهم لتدشين المذبح .

أطباق فضة اثنا عشر ، ومناضح فضة اثنا عشر ،

وصحون ذهب اثنا عشر ، كل طبق مائة وثلاثون شاقل فضة ، وكل منضحة سبعون وجميع فضة الآنية ألفان وأربعمائة على شاقل القدس ، وصحون الذهب اثنا عشر مملوءة بخورا ، كل صحن عشرة على شاقل القدس ، جميع ذهب الصحون مائة وعشرون شاقلا ، كل الثيران للمحرقة اثنا عشر ثورا ، والكباش اثنا عشر ، والخراف الحولية اثنا عشر مع تقدمتها ، وتيوس المعز اثنا عشر للذبيحة الخطية ، وكل الثيران للذبيحة السلامة أربعة وعشرون ثورا ، والكباش ستون ، والتيوس ستون ، والخراف الحولية ستون ، هذا تدشين المذبح بعد مسحه) (عدد ٧) .

***

من كل ما سبق تتجلى الأطماع اليهودية التي لا تقف عند حد ، مع استغلال كل الوسائل الممكنة ، دون تقدير للظروف القاسية التي كان يمر بها الشعب .

ولقد حدث أن (قورح بن يصهار بن قهات بن لاوى ، وداثان وأبيرام ابنا الياب ، وأون بن فالت بنو رأوبين) أخذوا (يقاومون موسى مع أناس من بنى اسرائيل ، مائتين وخمسين رؤساء جماعة) غير راضية عن هذه الامتيازات، التي فرضت لهرون وبنيه .. (كل الجماعة بأسرها مقدسة ، وفي وسطها الرب ، فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب) ؟ .

ثورة على وضع شاذ ، وحتى لا تكون سابقة خطيرة في حياة هذه الجماعة المقدسة ، كان لابد من ضربة قاصمة تردع من توسوس له نفسه بأن يفكر فيما فرض «الرب» .. فقال موسى لشيوخ اسرائيل : (اعتزلوا عن خيام

هؤلاء القوم البغاة ، ولا تمسوا شيئا مما لهم ، لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم) .

ثم أعلن (ان مات هؤلاء كموت كل انسان ، وأصابتهم مصيبة كل انسان ، فليس الرب قد أرسلني ، ولكن ان ابتدع الرب بدعة ، وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم ، وكل مالهم ، فهبطوا احياء الى الهاوية ، تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب) .

(فلما فرغ من التكلم بهذا الكلام ، انشقت الأرض التى تحتهم ، وفتحت الأرض فاها ، وابتلعتهم وبيوتهم ، وكل ما كان لقورح من كل الأموال، فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء الى الهاوية ، وانطبقت عليهم الأرض ، فبادوا من بين الجماعة ... وخرجت نار من عند الرب ، وأكلت المائتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور) (عدد ١٦).

ومع أن تقديم البخور كان بأمر موسى ، وفى الطاعة نوع من التوبة ، والاستغفار، فان الرب قد قضى ، ولا راد لقضائه ، (لكيلا يقترب رجل أجنبى ليس من نسل هرون ليبخر بخورا أمام الرب) (عدد ١٦) .

ومن ثم سارت الجماعة فى أسر الكهنة والقضاة والأدعياء (أمة متمردة) مغلولة بقيود لا قبل لهم بها .

فلما كان أول تجمع اسرائيلى فى أورشليم بعد السبى، تزعم نحميا وصدقيا وسرايا وعزريا ويرميا وفشحور وأمريا وملكيا ، وغيرهم من الكهنة .. جموع الشعب (فى قسم وحلف) أن يسيروا فى شريعة الله ، وأن يلتزموا – ولم تستقر الحياة بهم بعد – بهذه الفرائض الجائرة : (أقمنا على أنفسنا فرائض أن نجعل على أنفسنا ثلث

شاقل كل سنة لخدمة بيت الهنا ، لخبز الوجوه ، والتقدمة الدائمة ، والمحرقة الدائمة ، والسبوت ، والأهلة ، والمواسم ، والأقداس ، وذبائح الخطية ، للتكفير عن اسرائيل ، ولكل عمل بيت الهنا ، والقينا قرعا على قربان الحطب بين الكهنة واللاويين والشعب لادخاله الى بيت الهنا ، حسب بيوت آبائنا ، فى أوقات معينة سنة فسنة ، لأجل احراقه على مذبح الرب الهنا ، كما هو مكتوب فى الشريعة ، ولادخال باكورات أرضنا ، وباكورات ثمر كل شجرة ، سنة فسنة ، الى بيت الرب ، وأبكار بنينا وبهائمنا ، كما هو مكتوب فى الشريعة ، وأبكار بقرنا وغنمنا ، لاحضارها الى بيت الهنا ، الى الكهنة الخادمين فى بيت الهنا ، وأن نأتى بأوائل عجيننا ورقائعنا واثمار كل شجرة من الخمر والزيت الى الكهنة ، الى مخادع بيت الهنا ، وبعشر أرضنا الى اللاويين ، اللاويون هم الذين يعشرون فى جميع مدن فلاحتنا) (نحميا ١٠) .

وتستمر هذه الأوضاع الشاذة حتى نجد لعاموس ما يشبه الثورة على الكهنة والأغنياء ، اذ يقول : (من أجل أنكم تدوسون المسكين ، وتأخذون منه هدية قمح ، بنيتم بيوتا من حجارة منحوتة ، ولا تسكنون فيها ، وغرستم كروما شهية ، ولا تشربون خمرها ، لأننى علمت أن ذنوبكم كثيرة ، وخطاياكم وافرة ، أيها المضايقون البار ، الآخذون الرشوة الصادون البائسين عن الباب) .. (عاموس ٥) .

ولا تلبث أن تمضى صرخة عاموس .. بلا صدى !!

تقول الوصايا : (أكرم أباك وأمك ، لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب الهك ،

لا تقتل .. لا تزن .. لا تسرق .

لا تشهد على قريبك شهادة زور .

لا تشته بيت قريبك .

لا تشته امرأة قريبك ، ولا عبده ، ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا شيئا مما لقريبك .

أما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك .. لا تصنع عملا ما أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك) .. (خروج ٢٠) .

نلاحظ جانب الخير فى هذه الوصايا ، لكنه ليس الخير المطلق ، الآن ربط النهى بالقرابة ، يوحى بإباحة المنهى عنه مع غير الأقرباء .. ثم ان التوقف عن العمل يوم السبت مرده أن الله خلق الخلق فى ستة أيام ، ثم استراح فى اليوم السابع ، ولكن أى أيام هذه ، وهل كان زمان الانسان قبل أن يكون الانسان ؟ وهل ثم دليل على أن يوم السبت هو السابع ؟ وهل كلمة (سبت) فى غير العبرية والعربية ، ولم يكن موسى يعرف احداهما ؟ وأين السبت فى أيام (الأسبوع) العشرة عند الصينيين ؟ ثم ما علة (الاستراحة) فى اليوم السابع ؟ والله — سبحانه — لا يمكن أن يوصف بالتعب « ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، وما مسنا

(١) انظر : « شريعة سماوية .. ولكن » من كتاب « هذا الكتاب المقدس » للمؤلف .

من لغوب » (سورة ق ٣٨) .. أليس اللغوب من صفات المخلوق لا الخالق ؟

واذا كان اكرام الوالدين حقا وواجبا ، فهل التفريط فى هذا الواجب يوجب القتل (من ضرب أباه أو أمه يقتل قتــلا .. ومن شتم اباه أو أمه يقتل قتــلا) (خروج ٢١) .

أليس من سبيل الى الندم والتوبة المغفرة ؟ ألا تضع محكمة العدل السماوية فى اعتبارها العوامل النفسية التى تثور بالابن فيخطىء ، وتدور بالأب فيعفو ؟!

هل من العدل السماوى أن تـكون الشريعة لصالح فريق دون فريق (للأجنبى تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا ، لكى يباركك الرب) (تثنية ٢٣) .

هل تحل بركة الرب على من يستغل حاجة المسلمين ؟

وما ذنب ابن الزنى وغير الاسرائيلى حتى يحرم من خدمة الرب (لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب ، حتى الجيل العاشر .. لا يدخل عمونى ولا موابى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر) (تثنية ٢٣) .

وكيف للرب أن يقول : (لا تضطهد الغريب ولا تضايقه) (خروج ٢٢) .. ثم يعود فيقول : (لا تأكل جثة ما ، تعطيها للغريب الذى فى أبوابك فيأكلهـــا ، أو يبيعها لأجنبى ، لأنك شعبه مقدس) ؟!

هل من القداسة المتاجرة فى جثث الموتى ، والعمل على قتل الآخرين من أجل دراهم معدودة ؟

***

ومع هذا فان تعاليم موسى تحمل ــ الى اليوم ــ قيما انسانية راقية ، أثبتها بترتيب ورودها :

(لا تسيء الى أرملة ولا يتيم) (خروج ٢٢) .

(لا تقبل خبرا كاذبا ، ولا تضع يدك مع المنافق ، لتكون شاهد ظلم ، لا تتبع الكثيرين الى فعل الشر ، ولا تجب فى دعوى ، مائلا وراء الكثيرين للتحريف ، ولا تحاب مع المسكين فى دعواه ، اذا صادفت ثور عدوك أو حماره شاردا ترده اليه ، اذا رأيت حمار مبغضيك واقعا تحت حمله وعدلت عن حله فلابد أن تحل معه) (خروج ٢٣) .

(لا تبت أجرة أجيرك عندك الى الغد) (لاويين ١٩) .

(لا تشتم الأصم ، وقدام الأعمى لا تجعل معثرة) (لاويين ١٩) .

(لا ترتكبوا جورا فى القضـــاء ، لا تأخذوا بوجه مسكين ، ولا تحترم وجه كبير ، بالعدل تحكم لقريبك ، لا تسع فى الوشاية بين شعبك .. لا تبغض آخاك فى قلبك ، لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك) (لاويين ١٩).

(لا يكن متاع رجل على امرأة ، ولا يلبس رجل ثوب امرأة) (لاويين ١٩) .

(لا تحرث على ثور وحمار معا) (تثنية ٢٢) .

(لا تكم الثور فى دراسة) (تثنية ٢٢) .

***

(وتضع (التوراة) أسسا صالحة للتعامل الانسانى ، بحيث تساعد على تحقيق العدل ، وعلى أن تستل الأحقاد والضغائن .

(لا يقوم شاهد واحد على انسان فى ذنب ما ، أو خطية ما ، من جميع الخطايا التى يخطيء بها ، على فم

شاهدين ، أو على فم ثلاثة شهود يوم الأمر) (كتثنية١٩).

(ان فحص القضاة جيدا ، واذا الشاهد كاذب .. فافعلوا به كما كان نوى أن يفعل بأخيه) (تثنية ٢٣) .

(اذا أقرضت صاحبك قرضا ما ، فلا تدخل بيته لكى ترتهن رهنا منه ، فى الخارج تقف والرجل الذى تقرضه يخرج اليك الرهن الى الخارج) (تثنية ٢٤) .

(اذا ارتهنت ثوب صـاحبك ، فالى غروب الشمس ترده اليه ، لأنه وحده غطاؤه) (خروج ٢٢) .

(لا تأخذ رشوة ، لأن الرشوة تعمى المبصرين ، وتعوج كلام الأبرار) (خروج ٢٣) .

(لا يكن لك فى كيسك أوزان مختلفة ، كبيرة وصغيرة، لا يكن لك فى بيتك مكاييل مختلفة ، كبيرة وصغيرة) (تثنية ٢٥) .

(اذا حصدت حصيدك فى حقلك ، ونسيت حزمة فى الحقل ، فلا ترجع لتأخذها ، للغريب واليتيم والأرملة تكون) (تثنية ٢٤) .

***

ونجد فى الكتابات اليهودية التزامات خاصة بالذبح اشبه بالطقـوس الدينية .. اذ يشترط فى الذابح أن يكون يهوديا ، متمسكا بتعـاليم دينه ، ليس كفيفا ، ولا أصم ، ولا أبكم ، ولا سكيرا ، ولا صغيرا ، الا اذا أثبت انه كفء للذبح ، ولا يجوز للذابح أن يذبح الا بعد حصوله على ترخيص من الحاخام .

والذبح جائز فى أى مكان عدا الأنهـار والبحـار والأوعية المملوءة ماء والحفر ، ويجب أن تكون السكين

ذات نصل ضعف زور الطائر أو الحيوان المراد ذبحه ، كما يجب أن يكون النصل حادا ولا عيب فيه من خدش أو تلم ، وعلى الذابح أن يفحصه بظفره أو طرف اصبعه قبل أن يذبح .

وعلى الذابح أن يبدأ بتلاوة بركة الذبح : (مبارك أنت يا رب الهنا ملك العـــالم ، الذى قدستنا بوصـــاياك ، وأوصيتنا بالذبح) .

والذبح لا يتم الا فى الزور ، فى القصبة الهـــوائية والبلعوم ، وفى أول القصبة الهوائية توجد لوزتان ، اذا ذبح الذابح بينهما فهذا حلال ، على أن يبقى على قليل بينهما فى أعلى الزور ، واذا لم يبق على شىء منهما وذبح فوقهما فالذبيحة محرمة .

واذا ضغط بالسكين على الزور كما لو أنه يقطع شيئا ما ، أو كمن يضرب بسيف حرمت الذبيحة .. وقد جرت العادة على تحريم الذبيحة التى تقطع كل رقبتها .

واذا غطى الريش أو الشـــعر الســـكين فالذبيحـــة محرمة .

وعلى الذابح أن يوارى الدم التراب ويباركه : (مبارك أنت يارب ، الهنا ، ملك العالم ، الذى قدستنا بوصاياك ، وأوصيتنا على تغطية الدم بالتراب) (١) .

***

وقد قدمت (التوراة) صورا من العقوبات المادية ، يمكن أن تكون وسيلة الى حماية الحقوق .

(اذا رعى انسان حقلا أو كرما ، وسرح مواشيه فرعت فى حقل غيره ، فمن أجود حقله يعوض .

(١) اليهودية واليهودية المسيحية ص ١١٩/١٢١ .

اذا خرجت نار وأصابت شوكا فاحترقت اكداس أو زرع أو حقل ، فالذى أوقد الوقيد يعوض .

اذا أعطى انسان صاحبه فضة أو أمتعة للحفظ ، فسرقت من بيت الانسان فان وجد السارق يعوض باثنين ، وان لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت الى الله ليحكم ، هل لم يمد يده الى ملك صاحبه .

واذا استعار انسان من صاحبه شيئا فانكسر أو مات وصاحبه ليس معه يعوض ، وان كان صاحبه معه لا يعوض) .. (خروج ٢٢) .

ويؤخذ على هذه العقوبات — وغيرها كثير — أنها تتحدث عن التعويض ، دون بيان ما اذا كان المعتدى لا يملك ما يعوض به ، كما أن التعويض لا يلتزم قاعدة مطردة ، فهو تارة المثل ، وتارة الضعف ، وقد يصل الى خمسة أضعاف ، مع أن (التكييف القانونى) متشابه .. هذا الى أن الأحكام ترتبط بحالات ، لا بكل الحالات .. (انظر تفصيل ذلك فى خروج ٢٢) .

أما بالنسبة لجريمة القتل ، فالأصل (لا تقتل البرىء والبار) (خروج ٢٢) واذا حدث العدوان (فلا تشفق عينك ، نفس بنفس ، عين بعين ، سن بسن ، يد بيد ، رجل برجل) .. (تثنية ١٩) .

(كل من قتل نفسا فعلى فم شهود يقتل القاتل ، وشاهد واحد لا يشهد على نفس للموت ، ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت ، بل انه يقتل) (عدد ٣٥) .

حكم صارم ، لا يشوبه الا أن (ولى الدم يقتل القاتل ،

حين يصادفه) (عدد ٣٥) مما يساعد على مزيد من القتلى ، لأنه يأخذ طابع الثأر ، لا عدالة القصاص .

وان كنا نجد فى سفر (خروج) أن الكهنة هم الذين يتولون القصاص (فمن عند مذبحى تأخذه للموت) (خروج ٢١) ، فتبعة التفيير تقع على أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، دون ادراك لقداسة الكلمة .

وفى حالة الخطأ : (ان دفعه بغتته بلا عداوة ، أو القى عليه أداة ما دون تعمد ، أو حجرا ما مما يقتل به بلا رؤية ، أسقطه عليه فمات ، وهو ليس عدوا له ، ولا طالبا أذنيه ، تقضى الجماعة بين القاتل وولى الدم .. وتنقذ الجماعة القاتل من ولى الدم ، وترده الجماعة الى مدينة ملجئه التى هرب اليها ، فيقيم هناك الى موت الكاهن العظيم الذى مسح بالدهن المقدس .. ولكن .. ان وجده ولى الدم خارج حدود مدينة ملجئه ، وقتل ولى الدم القاتل ، فليس له دم) (عدد ٣٥) .

ومن هنا اختلط العدل بالجور ، فقضاء الجماعة بين القاتل وولى الدم قد يصل الى دية مرضية ، وابعاد القاتل علاج نفسى يدعمه الحزن العظيم على الكاهن العظيم ، أما أن يلتقى ولى الدم بعد ذلك بالقاتل فيقتله دون عقاب فأمر ليس من العدالة فى شىء .

حالات كثيرة تعرضها التوراة ، وصور من العقاب تميل الى العدل الرادع الذى قد يصل الى حد القسوة .

ولكن .. مع هذا فان أحداث اسرائيل الواردة فى التوراة ، كثيرا ما تخرج على ما ورد فى الشريعة ، فاذا كان (كل انسان بخطيته يقتل) (تثنية ٢٤) فماذا حدث لداود وقد قتل أوريا الحثى حتى يظفر بزوجته ؟ وكيف

يقتل ابشالوم بن داود أخاه أمنون ، ويكون للملك حق العفو عن القاتل (صموئيل الثانى ١١ و ١٤) .

ثم كيف تول الشريعة : (لا يقتل الآباء عن الأبناء ، ولا يقتل الأولاد عن الاباء) (تثنية ٢٤) ويقول الرب : (افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء ، فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى) (خروج ٢٠) ؟

وتاريخ بنى اسرائيل حافل بالقتل الجماعى رجالا ونساء واطفالا وبهائم وكل نسمة حية ، اذا حمى غضب الرب ، أو حمى غضب نبى من أنبيائه ، أو قائد من قادته .

***

واهتمام (التوراة) بحماية الأعراض شديد .. من يقرأ الاصحاح الثامن عشر من سفر (لاويين) يجد صورة تكاد تكون مطابقة لما أورد القرآن فى سورة النساء عن المحارم ، أما ما جاء فى سورة النور من عقاب المعتدين على المحارم فان روح التشريع واحدة ، متمثلة فى :

(لا تدنس ابنتك بتعريضها للزنى ، لئلا تزنى الأرض ، وتمتلىء الأرض رذيلة) (لاويين ١٩) .

(اذا اضطجع رجل مع امرأة طامث ، وكشف عورتها، عرى ينبوعها ، وكشفت هى ينبوع دمها ، يقطعان كلاهما من شعبهما) (لاويين ٢٠) .

(اذا راود عذراء لم تخطب ، فاضطجع معها ، يمهرها لنفسه زوجة .. ان أبى أبوها أن يعطيه اياها يزن له فضة كمهر عذراء) (خروج ٢٢) ، وزاد فى مكان آخر انه اذا تزوجها (لا يقدر أن يطلقها كل أيامه) .. (تثنية ٢٢) .

(اذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل ، فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها ، فأخرجوهما كليهما الى باب تلك المدينة ، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا ، الفتاة من أجل انها لم تصرخ فى المدينة ، والرجل من اجل انه اذل امرأة صاحبه .

ولكن ان وجد الفتاة المخطوبة فى الحقل ، وأمسكها الرجل واضطجع معها ، يموت الرجل الذى اضطجع معها وحده) لأنه (لم يكن من يخلصها) (تثنية ٢٢) .

هذه حالات — وغيرها كثير — تتسم بالعدالة ، أو لا تبعد عنها .. وقد نجد مبالغة فى الأحكام فيما اذا كانت الجريمة من النوع الواحد أو مع الحيوانات .

لكن ما نعيبه أن تكون هذه التشريعات فى (التوراة) الى جانب اتهام الأنبياء بهذه الجريمة الشنعاء ، حتى جعلوا النبى يضطجع مع بنتيه ، أو زوجة جاره ، وأمنون ابن داود يعشق أخته ثامار ، ويحتال حتى يخلو بها ويضطجع معها (صموئيل الثانى ١١) ولا عقاب .

وحين أخطأ شكيم مع (دنية) ابنة يعقوب ، وأراد أن يصلح خطأه ويتزوج منها ، فقال حمور أبو شكيم ليعقوب وبنيه : (ابنى قد تعلقت نفسه بابنتكم ، أعطوه اياها زوجة ، وصاهرونا ، تعطونا بناتكم ، وتأخذون لكم بناتنا ، وتسكنون معنا ، وتكون الأرض قدامكم ، اسكنوا، واتجروا فيها ، وتملكوا بها ، ثم قال شكيم لأبيها واخوتها : دعونى أجد نعمة فى أعينكم ، فالذى تقولون لى أعطى ، كثروا على جدا مهرا وعطية ، فأعطى كما تقولون لى ، وأعطونى الفتاة زوجة) .

(فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر) واشترطوا

ان يتم ما اراد اذا اختتنوا ...

وحسن القـــــول فى عينى آل حمور (واختتن كل ذكر) .

(وفى اليوم الثالث اذ كانوا متوجعين ، أن ابنى يعقوب شمعون ولاوى ، أخوى دينه ، أخذا كل واحد سيفه ، وأتيا على المدينة بأمن ، وقتلا كل ذكر ، وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف ، وأخذا دينة من بيت شكيم ، وخرجا ، ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ، ونهبوا المدينة ، لأنهم نجسوا أختهم ، غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما فى المدينة وما فى الحقل أخذوه ، وسبوا ونهبوا وغنموا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما فى البيوت (تكوين ٣٤) .

فاذا عرفنا أن موسى وهرون والكهنة جميعا من سلالة (لاوى) لم يغب عنا أن ما يفعله (لاوى) يصبح من شريعة موسى ، وتقوم الكهنة على تنفيـــذه دون تساهل .. فالهدف هو ابادة الشعوب الأخرى ، والاستيلاء على كل ما يملكون ، دون حاجة الى جريرة !!

***

بقيت الاشارة الى العنـاية الـكبيرة فى (التوراة) بالنجاسة والطهـــارة الى حد أن يصبح الأصـل هو النجاسة ، وتؤدى للطهـــارة طقوس معقدة حتى يمكن تحقيقها ، بعد تقديم القرابين اللازمة .. فمثلا .

(المرأة التى يضطجع معها رجل اضطجاع زرع يستحمان بماء ، ويكونان نجسين الى المساء) (لاويين ١٥) .

(اذا مات انسان فى خيمة ، فكل من دخل الخيمة ،

وكل من كان فى الخيمة يكون نجسا سبعة أيام .

(وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف ، أو ميتا ، أو عظم انسان ، أو قبرا يكون نجسا سبعة أيام .

فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيح الخطية ، ويجعل عليه ماء حيا فى اناء ، ويأخذ رجل طاهر زوفا ، ويغمسها فى الماء ، وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة ، وعلى الأنفس الذين كانوا هناك ، وعلى الذى مس العظم أو القتيل أو الميت أو القبر ، ينضح الطاهر على النجس ، فى اليوم الثالث واليوم السابع ، ويطهره فى اليوم السابع ، فيغسل ثيابه ، ويرحض بماء ، فيكون طاهرا فى المساء ، وأما الانسان الذى يتنجس ولا يتطهر ، فتباد تلك النفس من بين الجماعة .. وكل ما مسه النجس ينجس ، والنفس التى تمس تكون نجسة الى المساء)) عدد ١٩) .

(كل فراش يضطجع الذى له السيل يكون نجسا ، وكل متاع يجلس عليه يكون نجسا ، ومن مس فراشه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا الى المساء .

واذا طهر ذو السيل من سيله يحسب له سبعة أيام لطهره ، ويغسل ثيابه ، ويرحض جسده بماء فيطهر ، وفى اليوم الثامن يأخذ لنفسه يمامتين أو فرخى حمام ، ويأتى الى أمام الرب ، الى باب خيمة الاجتماع ، ويعطيهما للكاهن ، فيعملهما الكاهن الواحد ذبيحة خطية ، والآخر محرقة ، ويكفر عنه أمام الرب من سيله) (لاويين ١٥) .

أما طهر الأبرص فيكاد يصل الى الشعوذة والدجل .. ويلاحظ أن موضوع البرص يشغل من شريعة الرب ثلاثة اصحاحات فى سبع صفحات .

ولم تقتصر النجاسة على ما سبق .. فكل من مس جثة حيوان لا يؤكل والحيوانات التى لا تؤكل كل ما لا يجمع بين الاجترار وشق الظلف - (يكون نجسا الى المساء ، ومن حمل جثتها يغسل ثيابه ، ويكون نجسا الى المساء) .. (لاويين ١١) .

ويدهش المرء اذا علم أن الجمل والحصان والحمار والأرنب مما لا يؤكل ، وكان الحمار وسيلة الانتقال قبل أن يعرفوا الجمل ، فكيف ينجس من مسه ؟

وتسأل لماذا تظل النجاسة حتى المساء ، ولماذا يكسر الوعاء الخزفى ، ولا يكفى معه الغسل ، مع أن جودة صنعه قد تختفى معها المسام ، فضلا على أنه يطلى بطلاء أملس ؟

(كل قاع خزف وقع فيها منها ، فكل ما فيه يتنجس ، وأما هو فتكسرونه) .

(التنور والموقد يهدمان) (لاويين ١١) الا تطهرهما النار .. ؟

(واذا حبلت المرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام ، كما فى أيام طمث علتها تكون نجسة ، ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها ... وان ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين ، كما فى طمثها ، ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها) (لاويين ١٢) فلماذا تختلف النجاسة مع الذكر عنها مع الأنثى ؟ وهل تختلف أيام الطمث مع المرأة الواحدة باختلاف ما تلد ؟

وعلى ذكر الطمث ، فأيام نظافة الحائض تبدأ فى اليوم الخامس ،اذا ما انقطع الدم ، وأيام النظافة سبعة ، ابتداء من اليوم السادس من مجىء الحيض ، ثم تبدأ

الطهارة ، وقبل غروب الشمس لا بعده ، تستحم المراة ، وتفسل الرحم جيدا . ثم تلبس ملابس بيضاء نظيفة ، وتغطى سريرها بملاءة بيضاء نظيفة ، وتضع قطعـــة من القماش أو القطن الأبيض فى بيت الرحم ، فاذا لم تشاهد أثرا للدم تبدأ بعد هذا اليوم أيام النظافة السبعة ، وعليها أن تفحص نفسها مرتين فى كل يوم من أيام النظافة السبعة ، مرة فى الصباح واخرى قبل الغروب ، وبعد اتمام النظافة تتوجــه المراة الى المغطس وتجرى عملية الغسل والطهارة ، وذلك بأن تكون :

١ ـ فى مغطس طاهر أو نبع ماء .

٢ ـ أن يتم الغطاس ليلا وبعد ظهور النجوم ، واذا حال دون ذلك حائل تغطس فى اليوم الثامن نهارا ، وتخفى ذلك عن زوجها حتى الليل .

٣ ـ قبل الغطاس تغسل كل جسمها بماء ساخن ، وخاصــــة الأماكن المستورة من الجسم مثل الابطــين والسرة والأنف والأذن ، كما يجب عليها أن تقص أظافر اليدين والرجلين وتغسل ما بين الأصابع جيدا ، كمـــا يجب عليها أن تغسل رأسها بماء ساخن وتمشط شعرها جيدا ، على الا تختلط شعرة بأخرى والا بطل الغطاس ، كما أن عليها أن تنظف أسنانها جيدا ، وتتجرد عنـــد الغطاس من حليها .

٤ ـ غسل الرأس قبل الغطاس لابد أن يتم نهارا قبل غروب الشمس بقليل ، أو قبل ظهور النجوم ، ومن ثم تتوجه الى الغطس ، ولا يجوز لها أن تأكل أو تؤدى عملا قبل الغطاس ، ويحرم عليها أكل اللحم فى اليوم الذى تغطس فيه ليلا ، عدا يوم السبت فأكل اللحم مباح لها .

٥ ـ وفى الغطس يجب أن يغطى الماء كل جسمها وشعر راسها ، واذا ظهرت شعرة فوق الماء تعتبر المرأة نجسة ، وعليها أن تطلق يديها وساقيها فلا تقترب اليد من الأخرى ولا الساق من الأخرى .

٦ ـ بعد اتمام الغطاس تتلو البركة : (مبارك انت يارب ، الهنا ، ملك العــالم ، الذى قدسنا بوصــاياه وأوصانا بالطهارة) (١) .

أسئلة كثيرة حول النجاسة والطهارة تحتاج الى دراسة نفسية لهذا الشعب المختار .. أمرد ذلك الى الخوف أو التسامى ؟ أو هو وسيلة الكهنة للسيطرة ؟

حين أراد عيسى عليــه السلام أن يقضى على سلطان الكهنة ، قال : (ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان ، بل ما يخرج من الفم ، هو ينجس الانسان) (متى ١٥) .. فلما ازدادت شراسة اليهود فى محاربة المسيحيين ، قال بولس : (ليس شىء نجسا بذاته ، الا من يحسب شيئا نجسا ، فله هو نجس) (رسالة بولس الى أهل رومية ١٤) .

لعل موقف عيسى وبولس من النجاسة اشــعار بأن الكهنة اتخذوا منها وسيلة قيد واعنــات لتظل النفوس رهن الاحساس بالاثم ، ولا تجد خلاصها ، أو ما يشبه الخلاص الا على يد الكهنة .. ومن ثم يظل سلطان الكاهن يلاحق الرعية حيثما وجدوا .

***

وفى نهاية هذا البحث ينبغى أن نشير الى أن بعض

(١) اليهودية واليهودية المسيحية ص ١٢٢/١٢٣ .

رؤساء الدين الذين فسروا التوراة اقتبسوا من العهد القديم والتامود عقائد جمعها موسى بن ميمون فى ثلاث عشرة عقيدة ، هى :

١ — أنا أومن ايمانا تاما أن الخالق تبارك اسمه موجود وخالق ومدبر كافة المخلوقات ، وهو وحده صنع ويصنع كل الأعمال .

٢ — أنا اومن ايمانا تاما بأن الخالق تبارك اسمه وحيد ، وليس لوحدانيته مثيل على أى وجه ، وهو وحده الهنا ، كان كائن يكون .

٣ — أنا أومن ايمانا تاما أن الخالق تبارك اسمه ليس جسدا ، وهو منزه عن أعراض الجسد ، وليس له شكل مطلقا .

٤ — أنا اومن ايمانا تاما أن الخالق تبارك اسمه هو الأول وهو الآخر .

٥ — أنا أومن ايمانا تاما أن به وحده تليق الصلاة والعبادة ، ولا تليق بغيره .

٦ — أنا أومن ايمانا تاما أن كل الأنبياء حق .

٧ — أنا أومن ايمانا تاما أن نبوءة سيدنا موسى عليه السلام كانت حقيقية ، وأنه كان أبا للأنبياء الذين قبله والذين بعده .

٨ — أنا أومن ايمانا تاما أن الشريعة الموجودة الآن بأيدينا هى المعطاة لسيدنا موسى عليه السلام .

٩ — أنا أومن ايمانا تاما أن هذه الشريعة لا تتغير ، ولا تكون شريعة من لدن الخالق تبارك اسمه .

١٠ ـ أنا أومن ايمانا تاما أنه عالم بكل أعمال بنى البشر وأفـكارهم .

١١ ـ أنا أومن ايمانا تاما انه يـكافىء خـيرا للذين يحفظون وصاياه ، ويعاقب الذين يخالفونها .

١٢ ـ أنا أومن ايمانا تاما بمجىء المسيح ، ولو تأخر انى أنتظر مجيئه .

١٣ ـ أنا أومن ايمانا تاما أنه ستكون قيامة الأموات عندما تصدر ارادة من لدن الخالق تبارك اسـمه وتعـالى ذكره الى أبد الآبدين (١) .

ويلاحظ على هذه العقائد انها من صناعة موسى بن ميمون ، ولا دليل عليها من التوراة ، وان كانت اكتسبت شيئا من التلمود ، فهو في انكار ما عدا اليهودية (هذه الشريعة لا تتغير ، ولا تكون شريعة لدن الخالق) ، وفى فرض سلطان موسى على التاريخ الانسانى كله ، اذ (كان أبا للأنبياء الذين قبله والذين بعده) ، وبانكار الشريعة بعده يكون الأنبياء بعده مجرد عاملين على صيانة شريعته . . . ثم ان المسيح عيسى ليس الا دعيا كاذبا ما دام الايمان قائمـا ـ على يد موسى بن ميمون ـ بمجىء المسيح ، ولو تأخر فسننتظره ، ومن سياق (المعتقدات) لا يكون دور المسيح الا مخلصـا للأمة اليهودية على دين موسى وليس رسولا .

ثم ان العبارات التى صيغت بها المعتقـدات تحمل الطابع الاسلامى (سيدنا موسى عليه السلام . . الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره) وكون موسى لا رسول بعده ، ثم

(١) اليهودية واليهودية المسيحية ص ١١٤/١١٥ .

الأوصاف التى وصف بها الخالق سبحانه ، وليس منها فى التوراة والتلمود ، بل والانجيل الذى بين أيدينا .

اما ما يتصل بقيـــامة الأموات فقد سبق القول أن التوراة تخلو منها ، وما ورد فى كتب الأنبياء ، فليس الا اشارات هى صدى للثقافة الفارسية كمـــا جاء فى (اشعياء ٢٦) و (دانيال ١٢) و (الجـــامعة ١٢) و (مزمور ١٦) .. لكنها اشارات لا تكسب معتقدا ، لأنها لا تتحدث عما وراء هذه القيامة ، مما قد يذهب بالقارىء مذهبا مجازيا ، أو يقول انها خطفة ثقافية من هنا ، وخطفة من هناك ، كما فعل موسى بن ميمون وليد الثقافة الاسلامية .

الفـــــرق اليـهـوديـة

كثيرة هى الفرق الدينية ، واختلافاتها متشعبة ، من حيث المعتقدات والنظرة الى الكون والتعامل فى داخل المجتمع اليهودى وخارجه .. ومن أهم هذه الفرق :

١ ـ الفريسيون :

ومن دلالة الكلمة يفهم أنهم المنعزلون ، أو المنشقون .. ذلك لأن أعداءهم كانوا يدعون أنفسهم الأحبار او الربانيون ، وفيما بينهم كانوا يدعون بعضهم بعضا بالرفقاء .

وقد ظهر الفريسيون لأول مرة قبل الميلاد بمائتى سنة ، وتبوءوا المسرح اليهودى حتى مائتى سنة بعد الميلاد ، وهم يتبعون الحاخام عزرا Ezra والكتبة اليهود الأقدمين الذين يعتبرون عزرا أكبر معلم يهودى بعد موسى عليه السلام .

وأهم معتقدات هذه الفرقة أن الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم مخلوقة منذ الأزل ، وكانت مدونة على الألواح المقدسة ، ثم أوحيت الى موسى .

وهذا المعتقد قد يكون ناشئا عن الاتصال بالثقافة

الاسلامية التى تتحدث عن أن القرآن كان جملة فى اللوح المحفوظ ، ثم نزل الى السماء السابعة ، فالسماء الدنيا ، فالى رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام .

واعتقد الفريسيون كذلك بالبعث وقيــامة صالحى الأموات ، ليشتركوا فى ملك المسيح الذى سيأتى آخر الزمن ، وتزهدوا ، ولم يؤمنوا بتقـــديم القرابين الى المعابد ...

وتؤمن هذه الفرقة كذلك بالتلمود ،وبسلطة الحاخامات على اليهود ، وعصمتهم ، واعتبار أن مخافتهم هى من مخافة الله .

ومن أهم معتقداتهم الايمان بمجىء (المسيح المنتظر)، ليعيد (ملكوت الله) .. ومع ذلك كانوا ــ بسبب تعصبهم ــ الطـائفة التى وقفت فى وجه السيد المسيح وكانت على رأس المتآمرين به ، ولم ينفكوا يدبرون له الكيد حتى حكم بصلبه .

وتتمسك هذه الفرقة بمعتقدات الأنبياء والآباء الأولين، وترفض الايمان بالأنبياء اليهود المتأخرين .

وكان الفريسيون يكافحون فى سبيل اعلاء ســلطة العقيدة اليهودية ، وتقويم العـــادات وتطبيق الطقوس الدينية تطبيقا دقيقا .

وكانوا يدعون الى جعل الـكتاب المقدس ملكا مشاعا للجميع .. وكانوا يعـلمون شـــعبهم فى الاجتماعات الأسبوعية للكنيس اليهودى ، واعظين مرشـــدين الى الحقائق الدينية .

وهم يقولون : (انه لو كتبت النجاة فى الدنيا لاثنين ،

يجب أن يكون الفريسي أحدهما) .

يقـــول القس (بوكس) : كافح الفريسيون كفاحا مستبسلا في سبيل وضع الحياة تدريجيا تحت ســلطة العقائد الدينية ، فتــأثرت قلوب الشعب بتعاليم الدين ونواهيه ، بفضل ما بذله الفريسيون من العنـــاية في سبيل تقويم العادات ، وتطبيق الطقوس الدينية تطبيقا دقيقا ، ولكن الظواهر الخارجية كانت دائمــا خاضعة للعقائد الكامنة .

٢ ـ الصدوقيون :

قيل أن اسمهم منسوب الى ملكي صادق ، الذي (كان كاهنا لله العلى) وكان (ملك شاليم) ، وبارك ابراهيم الخليل حين لقيه (وقال : مبارك أبرام من الله العلى ، مالك السموات والأرض) (تكوين ١٤) .. وقيل نسبة الى صادوق الكاهن الأعظم في عهد سليمان .

وهذه الفرقة أنكرت (التلمود) ، ولا تقدس (التوراة) قدسية مطلقة .

وهم ينكرون البعث واليوم الآخر لأنهم يعتقــدون أن العقاب والثواب يتمان في الدنيا ، وكانوا يؤمنون بحرية الاختيار ، ولا يترقبون مسيحا قادما ، وفي ذلك يقول انجيل (متى) : (في ذلك اليوم جاء اليه صدوقيون يقولون ليس قيــامة) ، كما أنهم لا يؤمنون بالأرواح والملائكة ، تقول (أعمال الرسل ٢٣) (لأن الصدوقيين يقولون ليس قيامة ولا ملاك ولا روح) .

ويرى بعض الكتاب أن هذه الفرقة كانت من طبقــة

الأرستقراطيين التى كانت تحاول أن تحمى مصالحها ، فمالت الى احترام القـــوانين الموجودة ، طالما اعترفت السلطات الحاكمة بيهوه ، واحترمت ديانة اليهود ، ولذلك لا يميلون الى العنف ، ولا الى الحركات الثورية .

ولقد كان عيسى عليه السلام على اتصال بهم فى بدء دعوته ، الا أنه انفصـــل عنهم بسبب انـكارهم البعث واليوم الآخر .. ومن ثم كانت مقاومتهم دعوته أكثر من سواهم .

وبالمقارنة بين الفريسيين والصدوقيين نجد :

أ ـ انهما تؤمنان بالتوراة .. الا أن الصدوقيين قدموا الولاء للدولة على الولاء للأحكام الدينية ، بينما الفريسيون يجعلون الولاء المطلق للدين .

ب ـ أن الصـــدوقيين يرون أن (يهوه) هو اله بنى اسرائيل وحدهم ، فهو اله قومى خاص بهم ، مما جعلهم يميلون الى العنف مع الأقوام سواهم .. على حين يرى الفريسيون أن يهوه اله جميع العالمين ، فنزعوا الى السلم مع غير اليهود .

ج ـ أن الصدوقيين ـ كما قلنا ـ أنـكروا البعث واليوم الآخر ، بينما صدقه الفريسيون وآمنوا به ، ثمرة اتصالهم بالثقافات الدينية الأخرى ، وتفتحهم العقلى .

د ـ أورد ابن حزم أن فرقة الصدوقيين كانت تقول ان العزيز ابن الله .

٣ ـ الحسديون ((الاساة)):

ظهرت هذه الفرقة حوالى القرن الثانى قبل الميلاد ،

وتختلف عن بقية فرق اليهـــود اختلافا جوهريا ، فى عقائدها وعباداتها ونظمها وتقاليدها .

وقد ظل اتباعها يمارسون طقوسهم الدينية الى القرن الأول الميلادى ، وكانوا يحيون حياة أقرب الى الرهبنة، ويكرهون الزواج ، ويميلون الى الاشتراكية ، ويباشرون الزراعة والحرف المختلفة ، ويهتمون بالغسل اليـومى حرصا على الطهارة ، ويحرمون الأضاحى والقرابين ، وينكرون التفرقة العنصرية ، ويحرمون نظـام الرق ، ويدعون الى سلام دائم .

ويرجح أن يوحنا المعمدان كان واحدا منهم .

٤ - القراءون :

وهم فرقة نمت بعد تدهور فرقة الفريسيين ، فورثت الكثير من أتباعها .. وقد أسسها عنان بن داود فى بابل ، فى القــرن الشـــامن للميلاد ، وهذه الفرقة لا تعترف بالتلمود .. وتؤمن بتطبيق نصوص التوراة حرفيـــا ، وتحرم التأويل ، وتتشدد فى تطبيق الطقـوس الدينية ومظاهرها ، وتؤمن بالجبر ، لا بالاختيار .

ومن أهم التشريعات التى خالف فيها عنان بن داود الأحكام المقررة عند الربانيين ، تحريم زواج العم من ابنة أخيه ، وزواج الخال من ابنة أخته ، وسوى بين الابن والبنت فى الميراث ، وقرر أن الزوج لا حق له فى تركة زوجته ، وفتح باب الاجتهاد فى فهم النصوص المقدسة.

ويعزو محرر دائرة المعارف اليهودية العامة أسباب ظهور هذه الحركة الى عوامل ثلاثة :

أ ــ ظهور الخلافات بين اليهود بسبب التلمود الذى اعتبره بعضهم بدعة فى الدين .

ب ــ تأثر اليهود الشرقيين بالنصر السياسى المدهش الذى أحرزه الاسلام فى القرن السابع ، والذى أقــام امبراطورية عالمية فى بضع سنين .

جـ ــ تأثير المعتقدات الاسلامية ، والتقلبات السياسية ، والصراع بين الفرق الاسلامية .

فتحت راية الاسلام تثقف الشباب الاسرائيلى ثقافة عربية اسلامية استطاع بفضلها المحافظة على (الاسرائيلية) والارتقاء بهــا فى العصور الوسطى ، عصور الجهـــالة والظلام .

وكان لفلسفة المعتزلة أثرها الكبير فى العلمـــــاء الاسرائيليين الذين اتجهوا الى ايجاد تعليل فلسفى للدين اليهودي واحكامه ، كما وسع الاعتزال شقة الخلاف بين القرائين والربانيين .

وانشعبت هذه الطائفة الى طوائف من أشهرها طائفة بنيامين بن موسى ، التى تأثرت بأفكار ابن سيناوالفارابى ، وطائفة الأكبرية التى اقتربت من السامرية ، فى عــدم الاعتراف بغير أسفار موسى الخمسة .

ه ــ الكتبة :

أطلقت هذه التسمية على جماعة كانت مهمتها كتــابة الشريعة ، فعرفوا الكثير من المعــلومات التى دونوها من الــكتب المقدسة التى نسخوها ، واختاروا وظيفة الوعظ والارشاد وسيلة ارتزاق ، وأطلقــوا على أنفسهم اسم

الحكماء ، أو الآباء وكانوا يمثلون الزعامة الدينية أيام الحكم الفارسي واليوناني والروماني .

وتطورت وظيفتهم الدينية ، فأخذ كثير منهم يفتحون المدارس الخاصة ؛ ينشرون من خلالهـــا برامج للتعليم الديني .

تقول الموسوعة اليهودية : (هم هيئة من المعلمين كانت مهمتهم تفسير الشريعة للشعب ، وقد ابتدأ تنظيمهم مع عزرا الذي كان رئيسـهم .. وهؤلاء الكتبة كانوا أول من علم التوراة ، وهم واضعو الشريعة الشفهية) .

٦ ـ السامريون :

فئة قليلة من اليهود ، لا تعترف بغير الأسفار الخمسة من الـكتاب المقدس .. وهي من بقـايا من اقاموا في (شكيم) بعد اجتياح نبوخذ نصر لاسرائيل .

وذكر ابن حزم أنهم يبطلون كل نبوة في بني اسرائيل بعد موسى ويوشع ، ويقولون أن مدينة القدس هي نابلس ، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه ، وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها .

ولقلة عددها الذي لا يتجـاوز ثلاثمائة نسمة ، فان اليهود لا يعترفون بها كفرقة يهودية .

٧ ـ الاصلاحيون :

قـام موسى مندلسون (١٨٢٩ ـ ١٨٨٦) في المانيا بحركة اعتبرت ضربا من الاصلاح الديني الذي تأثر به

كثير من يهـود العـالم الغـربى .. وكانت الحـركة ترمى الى تغيير فى المعتقدات اليهودية بما يتمشى مع واقع الحياة ، فأباحت أكل الخنزير ، وعدم تقديس السبت ، ومالت الى التخفيف من الطقوس الدينية ، واستعمال اللغات الدارجة فى العبـادة ، وأبطلت الصـلاة على الموتى .

ومن أشهر مؤلفات مندلسون كتابه (أورشليم) الذى قال فيه عمانويل كانت : (أعتقد أن هذا الـكتاب اعلان لاصلاح عظيم ، لا للشعب اليهودى فقط ، بل للشعوب الأخرى أيضا ، اذ ان الصلة بين الدين والضمير قـوية جدا فى اليهودية ، وهى قـوية قـوة ما كان الانسان ينتظرها ، ولا يستطيع أحد مجاراتهم فيها) .

وقد أصدر فى ألمانيا سنة ١٨٥٠ م صحيفة باللغـة العبرية تسمى (الواعظ الأخلاقى) جعلها منبرا لدعوته ، ولدعاة الاصلاح اليهودى .

ومن معـالم دعوة الاصـلاح انكار التوراة والتلمود كمصادر للتشريع ، وان كان الدعاة يؤمنون بأنهمـا نتاج العبقرية اليهودية الدينية .

وكان الهدف الرئيسى لهذه الدعوة اخراج اليهود من العزلة التقليدية والاندماج فى تيار الحضارة الأوروبية بقصد التوصل الى تقويض مقومات هذه الحضارة بعد أن تكون الريبة فى مقاصد اليهود الشريرة قد زالت بعد تمام الاندماج .

ويرجع المؤرخون أصول دعوة مندلسون الى (سباتاى

زفاى ـ ١٦٢٦/١٦٧٦) الذى كانت حركته (١) فى البانيا تحولا فى الدوافع اليهـــودية الخفيـــة من الدراسة المستترة الى الانطلاق فى حركة واسـعة النطاق بـكل متضمناتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وبعد (زفاى) عمل (جاكوب فرانك ــ ١٧٢٦/١٧٩١) ببولندا ــ من خلف قناع المسيحية الكاثوليكية ــ على أن يتضمن (مجد الدولة) القوة العسكرية والثورة وكل الملذات الدنيوية ، وكانت تراوده فـكرة تكوين الدولة اليهودية فى احدى مقاطعات بولندا .

ودعا (اسرائيل بن اليعازر ـ ١٧٠٠/١٧٦٠) الى وحدانية الاله الذى يملأ مجده كل الأرض ، حتى يتزود يهود الغربة بقوة تساعدهم على مقاومة كل الاغراءات المضادة لليهودية .

وهكذا ساعدت الحـــركات الثلاث ـ قبل مندلسون ـ على نقل اليهودية الصـــهيونية من سـلبية التقوقع والانتظار الى ايجابية الاندماج والحركة ، التى تحـولت على يد مندلسن الى تغيير فى مناهج التعليم اليهودى ، والى انشاء مدارس (حرة) يستعاض فيها عن تدريس العبرية باللغات العصرية والرياضيات والعلوم الحديثة .

وجاء ليوبولد زونز الذى اختط ـ فى سبيل ازالة الفواصل بين اليهودية والحضارة الغربية ـ نهجا آخر يقوم على دعوة اليهود الى أن يبينوا للعالم قسمة حضارتهم وعظمتها ، حتى يحظوا بالاحترام ، ويسهل قبولهم فى أمم

---

(١) س • زفاى تركى ، ظل نشاطه بين تركيا واليونان والبانيا ، ادعى الاسلام ، ليعمل تحت لوائه من أجل اعلاء شأن اليهود ، كما ادعى أنه المسيح المنتظر •

العالم ونتيجة هذه الدعوة أنشئت بالأموال اليهودية مئات المجلات التي تبحث في شئون اليهود ، وأقيمت معاهد عليا وكراسي لعلم اليهودية فى الجامعات ، وافتتحت متاحف ، وأنشئت جمعيات لنشر المعارف عن اليهودية فى أوسع نطاق ، وحدثت محاولات لتزييف التاريخ ، والسيطرة على الفكر الغربى وقيمه الأخلاقية والحضارية والاقتصادية ، كخطوة على طريق السيطرة العالمية .

ومع انتعاش الحركة القومية فى أوروبا وسيادة الاتجاهات العقلانية فى التفكير — وجد اليهود طريقهم الى الانتشار والتسلط ، والعمل على تحقيق الذاتية اليهودية ، والتأكيد على أنهم شعب الله المختار ، وأن بقائهم رهن بتمسكهم بالأرض الموعودة فلسطين حيث يوجد هيكل أورشليم ، وحيث يثبون منها لتحقيق ما وعد الله به نسل ابراهيم ، فى أرض تمتد من الفرات الى النيل .

وربما اعتبر كتاب (روما وأورشليم) لموريتس هيس (١٨١٢/١٨٧٥) حجر الأساس لظهور المذهب الصهيوني . وقد صدر سنة ١٨٦٢ فى صورة رسائل متبادلة وعليها تعليقات ، وقد أهدى المؤلف كتابه الى جميع الذين يكافحون فى سبيل اعادة بعث قوميات الشعوب التى خلقت التاريخ ، كما يؤمن (هيس) بأن النتيجة الحتمية لبعث الدول والقوميات ظهور الدولة اليهودية ، كما ساعد (فارص سمولنسكين ١٨٤٠/١٨٨٥) بقصصه على تأكيد أن اليهودية ليست رابطة دينية ، بل هي العقيدة الجامعة الرابطة لشعب خاص ، وأن هذه العقيدة الدينية — مباشرة أو غير مباشرة — مرتبطة ارتباطا وثيقا باللغة العبرية ، وكل انحراف عنها يؤدى

ولا شك الى اضعاف أواصر الترابط بين أفراد الشعب، وقد اصدر فى فينا سنة ١٨٦٧ م مجلة عبرية (صبح) يقول فى منهجها : (لا عار اذا اعتقدنا أن نفينا يجب أن ينتهى ، وانه سيأتى اليوم الذى تحصل فيه الأسرة الاسرائيلية على وطن ، مثلها مثل سائر الشعوب ، ولا عار اذا تمسكنا بلغتنا القـــديمة التى رافقتنا طيلة اجيال السبى والنفى والتجوال) .. ويقال أن (سمولنسكين) أول من عالج اليهودية علاجا قوميا فى كتابه (الشعب الخالد) ، اذ عالج اليهودية على أنها مذهب قومى ، يعتمد على أصول دينية وخلقية ، وهو يطالب بيهودية متعلمة ، تعتمد على السير قدما فى النهضة العقلية مع الحرص على خلق دولة يهودية .

وأخذ عدد الصحف والمجلات العبرية يزداد تدريجيا، حتى بلغ المئات فى أوروبا الغربية وفى روسيا ، أما فى أمريكا فقد صدرت صحف ومجلات أسبوعية وشهرية منذ سنة ١٨٧٠ م وفى فلسطين عرفت الصحف العبرية منـــذ عام ١٨٦٣ م ، وفى عام ١٨٨٠ ظهرت الصحف اليومية الحــــديثة بفضل جهـــود سمولنسكين وبلوم وجوردون .

ونتيجة الاضطهاد القيصرى فى روسيا لليهود روجوا للشيوعية ، وناصروها لكن ما لبثوا بعد نجــاح الثورة البلشفية أن ركبوا ظهـــرها ، وصاروا عبئا ، وكانت النتيجة أن حد البلشفيون من نشاطهم ، فانتقل النشاط الى وارسو التى صارت مركز أصدار عدد من الصحف العبرية ، فضلا عن دار نشر أسسها دافيد فريشمان .

الأعيـــاد اليهوديـة

نستطيع أن نميز بين نوعين من الأفراح والأعياد ، دينيا ودنيويا .

فمن الأعياد الدنيوية ما ارتبط بتتويج الملوك أو عند النصر ، ومنه ما يتعلق بالأسرة كالزواج والفطام والختان وجز الأغنام .

ومن الأعياد الدينية ما هو خاص ، وما هو عام ، وأن كانت النكبات التى نزلت باليهود وبخـــاصة على يد الأشـــوريين والبابليين والرومان قضت على كثير من أفراحهم وأعيادهم الخاصة .. لكن الشريعة حرصت على الأعياد الكبرى ، حتى ابان السبى والعودة ، ولم يكتف الاسرائيليون بها ، بل أضافوا اليها أعيادا أخرى .

ومن أهم أعيادهم :

١ ـ عيد الفصح

وهو عيد قديم ، عرفه الاسرائيليون في البادية ، وتذكر بعض المصادر التى وصلتنا (خروج ١٢ ى ٢١) أن احتفال الاسرائيليين به كان بمناسبة الخروج من مصر ، بقيادة موسى عليه السلام .. وقد تزيد هذا العيد اهمية

ان اليهود يعتقدون أن (الرب) قاد اليهود بنفسه ، واخرجهم من نير العبودية . ولأن الخروج كان بصورة اضطرارية ، اذ أعجلهم الخوف من اللحاق بهم ، فقد اعدوا خبزهم على عجل فطيرا ، دون أن يختمر .. ولهذا اصبح على اليهود ان ياكلوا الخبز الفطير في الاسبوع الثالث من شهر نيسان ، ويقيمون احتفالات مقدسة في بداية العيد ونهايته ، حيث يتلون الأدعية ، ويقيمون الصلوات ، ويحرقون القرابين .

وهناك رواية أخرى تقول ان الاحتفال بهذا العيد كان يقع في فصل الربيع ، اذ يختار يوم اكتمال القمر وينحرون الضحايا ليلا وتشوى الأضحية وتؤكل لو قتها مع الفطير ، اما ما تبقى من الأضحية فيحرق . (خروج ١٢ وتثنية ١٦) .. الا أن العادات المتبعة عند الاحتفال بهذا العيد لا تشير الى الخروج من مصر ، كما أن صفات العيد ليست تاريخية ، بل متصلة بالطبيعة ، وبخاصة فصل الربيع واكتمال القمر ...

ويمكن القول ان هذا العيد عرف قبل أن يعرف الاسرائيليون (يهوه) ، في عهد كانوا يقدسون فيه الأرواح الشريرة ، اذ تذبح الأضاحي ، ويؤتى بدمها فيرش في أماكن مختلفة تهدئة لغضب الأرواح الشريرة ، فلما كانت عبادة (يهوه) احتفظوا باحتفالاتهم بهذا العيد، واخذ الاحتفال به يتطور مع تطور العقيدة والحياة .

والمزمور ١٠٧ خاص بعيد الفصح ، اذ بدأ الاسرائيلي تلاوته في صلاة المساء بعد تمام التضحية والأكل .

وفي مرحلة من حياة (القوم) خلطوا بين صنع الفطير وتقديم القربان ومعاداة غير اليهود وبخاصة المسيحيين ،

فكانوا يعجنون الفطير بدماء أحد ضحاياهم .. لا سيما في عيد الفصح وعيد أستير ومراسم الختان، واستخدموا هذه الدماء في طقوس سحرهم وشعوذتهم .. وقد جاء في (أشعياء / ٥٧) : (اما أنتم أولاد المعصية ، نسل الكذب ، المتوقدون الى الأصنام تحت كل شجرة خضراء ، القاتلون الأولاد في الأودية تحت شقوق المعاقل ؟!) .

وقد حدث في ٦ فبراير سنة ١٨٤٠ أن اختفى أحد الرهبان الكاثوليك من الرعايا الايطاليين بدمشق واسمه « توما » ، واختفى خادمه أيضا ، وأعلن الرهبان الكاثوليك أن اليهود ذبحوا أخاهم توما كما هي عادتهم ، وقد عثر على جثته وقد قطعت بصورة غير مألوفة لاخراج الدم منها ، ولما قام شريف باشا حاكم دمشق بتفتيش حارات اليهود ، وألقى القبض على سبعة منهم ، اعترف حلاق حارة اليهود بأنه هو الذي قام بذبح الراهب واقر بأن كل الذي جرى انما يتمشى مع ما جاء في التلمود عن ضرورة عجن الفطيرة بدم مسيحي أو مسلم ، واعترف بأنه قام بذبح الخادم .

وبعدها بيوم عثر اليونانيون في جزيرة رودس على واحد منهم مشنوقا بعد أن صفي دمه .

وقد أثار هذان الحادثان ثائرة الناس فهاجموا اليهود في حاراتهم ومعابدهم وحرقوا وهدموا المعابد في دمشق وبيروت وأزمير .

واذا كان الحادثان قد عملا على مثار فتنة واضطرابات عدوانية فليس شك في أن أحداثا كثيرة مماثلة أهملها

التاريخ ، أو أحكم اليهود تدبيرها ، بحيث لم يقف أصحاب الضحايا عندها .

والمؤرخ اليهودي القديم يوسيفوس (ت سنة ٩٥ م) يذكر أنهم ما كانوا يقتصرون على شرب دماء ضحاياهم ومزجها بعجن فطائرهم ، بل كانوا يأكلون كذلك قطعا من لحومهم .

٢ ـ عيد الهلال :

وفيه تنفخ الأبواق اعلانا عن ظهور الهلال الجديد الذى قد يعد فى مرحلة من مراحل معتقداتهم الها .. ويتبارى اليهود فى سرعة اخبار الكهنة برؤيته .. وبعدها يشعل اليهود النيران على جبال الزيتون لاعلام الآخرين ، وتقام وليمة فى قصر الملك ، كما كانت العائلات والبطون والأسباط تختار هذا اليوم لاجتماعهم ، وتقدم القرابين فى الأماكن المقدسة من الملك والشعب .. وقد نص العهد القديم على تقديس هذا اليوم اذ جاء (وفى رءوس شهوركم تقربون محرقة للرب ، ثورين ابنى بقر وكبشا واحدا وسبعة خراف حولية صحيحة) (عدد ٢٨ و ٢٩)، ويدعو المصلون ، (الهنا واله آبائنا ، جدد لنا هذا الشهر بخير وفرح وسرور وخلاص وتعزية وقوت واعالة وغفران الخطيئة وعفو عن الاثم ، وليكن هذا الشهر نهاية وحدا لكل ضيقاتنا ، وابتداء وأول فداء أنفسنا ، لانك اخترت شعبك اسرائيل من بين جميع الأمم ، وفرضت عليهم فرائض رءوس شهور) .

ولا يكتفى الاسرائيليون بتقديس الهلال ، بل القمر أيضا ، ففى احدى ليالى الأسبوع الثانى من شهر تتلى

صلاة اخرى ، تنتهى بأن يقفز المصلون ويقولون : (كما اننا نحاول أن نقفز نحوك ولا يمكننا أن نلمسك ، هكذا ليت كل الذين يقفزون نحونا ليضروا بنا لا يقدرون أن يلمسونا ، لتقع عليهم الهيبة والرعب بعظمة ذراعك ، يصمتون كالحجر كالحجر ، يصمتون بعظمة ذراعك ، الرعب والهيبة عليهم تقع) .

٣ ـ السبت :

خطيئة عظيمة عدم مراعاة حرمة هذا اليوم ، بحيث لا ينشغل فيه الانسان اليهودى بعمل .. ويدعى أن الوصايا العشر تقدس هذا اليوم ، وان كانت عبارة التوراة لا تفيد هذا ، اذ تقول : (أما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك) .. فأى يوم هو ذلك السابع ، ما دام لا دليل على الأول .

وفى هذا اليوم يتشبه اليهود بالرب فى الانقطاع عن العمل .

جاء فى سفر (خروج ص ٣١) : (تحفظون السبت ، لأنه مقدس لكم . من دنسه يقتل قتلا ، ان من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها ، ستة أيام يصنع عمل ، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب ، كل من صنع عملا فى يوم السبت يقتل قتلا .. لأنه فى ستة أيام صنع الرب السماء ، وفى اليوم السابع استراح وتنفس) .

يقول الدكتور فؤاد حسنين على : « كان السبت يوم راحة ، يخصص للأسفار والرحلات ، وبعد السبى

اخرجت اليهودية يوم السبت عن معناه الأصلى ، ونظرت اليه نظرة دينية خالصة ، اذ كان من اليهود من يفضل أن يقتل من أن يدافع عن نفسه يوم السبت .

ويرى ول ديورانت أن اليهود تأثروا فى هـذا اليوم بالبابليين الذين كانوا يطلقون على يوم الصيام (شبتو) ويقدسونه (١) .

٤ ــ يوم التكفير والغفران :

وتطلب المغفرة فيه عن الذنوب التى فعلها اليهود فى صلاة جماعية يؤديها الكهنة .. ويمكن القيام بالصـلاة فى أى وقت من السنة ... لـكن يوم التـكفير يتميز بتمسك اليهود فيه ، اذ يمضون اليوم كله فى الصـلاة والصيام ، ويسبقه تسعة أيام من التوبة عما فعلوا طول العام من آثام ... وهذا اليوم يكون فى الشهر السابع من السنة اليهودية .

٥ ــ الحج الى بيت المقدس :

على اليهودى أن يحج الى بيت المقدس مرتين كل عام .. يقضى أسبوعا فى كل مرة . مشتركا فى احتفالات يقودها الكهنة ، لتكون الفرصة متاحة فيتعرف يهود العالم بعضهم ببعض .

ويرى الدكتـور فـؤاد حسنين على أن الاسرائيليين أخذوا عن الكنعانيين كثيرا من أعيادهم الزراعية وحاولوا

---

(١) اليهودية واليهودية المسيحية ص ٦٥/٦٦ .

ارجاعها الى تاريخهم القديم .. ومن هذه الأعياد عيد الشعير ، حيث يصنع فيه الفطير .. وبعد نحو سبعة أسابيع نجد عيد الحصاد ، ثم عيد جمع العنب والفواكه، ويسمى عيد المظال .. وارتبط بهذه الأعياد تقديس ابكار الحيوان والنباتات والفواكه (١) .

وبعد السبي ظهر عيد الفوريم ، وكان ذلك فى ١٤/١٥ آذار اعتمادا على القصة الواردة فى سفر أستير ، وهو احتفال بذكرى القضاء على أعداء اليهود فى فارس أيام الملك أحشويرش .

وكذلك احتفلوا بذكرى انتصار المكابيين على اليونان وتطهير المعبد من الطقوس الوثنية ، ويحتفل بهذا العيد فى ٢٥ نوفمبر .

---

(١) اليهودية واليهودية المسيحية ص ٩٦/٩٧

فهرس

الفصل الأول : **التاريخ اليهودى**

الفصل الثانى : **النشاط العقائدى**

رقم الايداع ٢٣٣٦ ـ ٨١
الترقيم الدولى ٩٧٧ ISBN

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة ــ ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم علي نحاس
المملكة العربية السعودية .

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7. Bishopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND

البرازيل :

M. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo. BRASIL.

أسعار البيع للجمهور في البلاد العربية لهــذا العدد الممتاز فئة ٢٥٠ مليما للقارىء في مصر :

سوريا	٣٥٠	ق. س
لبنان	٣٠٠	ق . ل
الكويت	٤٠٠	فلس
الاردن	٣٠٠	فلس
العراق	٤٥٠	فلسا
السعودية	٥ر٥	ريال
السودان	٣٥٠	مليما



هذا الكتاب

تاريخ اليهود تاريخ غريب يحيط به الغموض ، وفيه عصور كاملة لا نعرف عنها شيئا ، لا لأن العلم عجز عن معرفة ما وقع فيها ، بل لأن اليهود عملوا دائما على ان يكون كل ما يتصل بهم وبعقيدتهم ونظامهم العائلي ونشاطهم الواسع في الدنيا خافيا عن الناس ، فاليهود مثلا منبثون في [illegible] في كل موقع وميدان . ولكنك لا تشعر بوجودهم الا اذا عرفت [illegible] الى المواقع الهـامة فى كل مرفق من مرافق الحياة في [illegible] عربي ، ومن هذه المواقع الهامة ينتشرون فى كل موقع آخر .

والدكتور كامل سعفان بما له من معرفة بالعبرية وتاريخ اليهـود وكتبهم الدينية وأساليبهم فى الحياة والعلم يستطيع أن يعرف الكثيـر من خفايا تاريخ اليهود وطبائعهم وأساليبهم فى الحياة ، وهـذا هو الذى فعله فى هذا الكتاب الصغير الحجم الذى نقدمه هنا . انه كتـاب نشرناه خدمة للعرب جميعا وقضاياهم التى تتعقد منذ أربعين سـنة بسبب اليهـود . ولا سبيل الى معالجة هـذه القضـايا الا بفهم اليهود ومعـرفة تاريخهم وعقيدتهم ونظمهم بالطريقـة التى اقتـدر عليها المؤلف فى كتابه هذا . انه كتاب اساسى ، ولابد ان يقرأه كـل عربى . ستجد فى الكتاب الكثير مما يفزع والكثير مما لا يقبله المنطق العادى ولكنها كلها حقائق من حياة اليهود وتاريخهم .

الثمن ٢٥ قرشًا